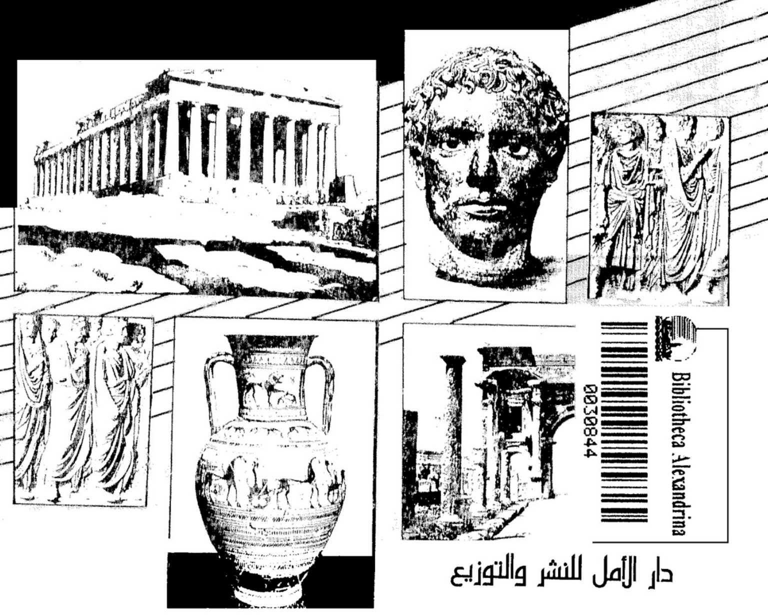
اليونان والرومان

تأليف

الاستاذ علي عكاشة
د. شحادة الناطور
د. جميل بيضون



دار الأمل للنشر والتوزيع

اليونان والرومان

□ الناشر

دار الأمل للنشر والتوزيع

إربد ـ ص . ب ٤٦٩ هاتف ٢٧٦١٧٤

الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩١ م

□ التنضيد الضوئي والإخراج

مركز الطيطي للكمبيوتر

مقابل البوابة الغربية لجامعة اليرموك

هاتف ٢٤٤٣٣٤ ص.ب ١٦٢٠

الطبعة الأولى

دار الأمل للنشر والتوزيع

اربد ـ ص.ب ٤٦٩ هاتف ٢٧٦١٧٤

اليونان والرومان

تأليف
الاستاذ علي عكاشة   د. شحادة الناطور
د. جميل بيضون

دار الأمل للنشر والتوزيع

الإهـــداء

الى من يصنعون التاريخ الحديث لامتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فاننا نضع هذا الكتاب بين أيدي زملائنا الاعزاء ليكون معينا لهم ومساعداً في تدريس مادة اليونان والرومان التعليمية. وبين ايدي طلبتنا في كليات المجتمع والجامعات،املين ان يكون لهم معينا ومصدرا قيما للمعلومات يغنيهم عن البحث في المصادر والمراجع الكثيرة،مع العلم انة يرشدهم الى هذة المصادر للرجوع اليها لاغناء واثراء معلوماتهم ومعارفهم.

جاء الكتاب في قسمين القسم الاول يتعلق بتاريخ اليونان وحضارتهم، والقسم الثاني يصف حياة الرومان وتاريخهم منذ نشأة مؤسساتهم السياسية الاولى وإلى بداية عصر الامبراطورية وقد مهدنا لذلك كلة بعرض موجز لاهم الحضارات التي سادت في حوض البحر الابيض المتوسط الشرقي، من اجل بيان تاثيرهافي نشاة ومجريات حياة وتاريخ كل من الامتين.وارفقنا مع ذلك مجموعة من الخرائط لكلا البلدين اليونان وايطاليا.

لقد توخينا في عرضنا لهذة المادة الايجاز والتبسيط رغم ما واجهنا في سبيل ذلك من مشقة وجهد، فالمادة كثيرة والاحداث محتشدة يحتار الكاتب ايها يثبت ويختار وايها يترك. وماذا يناسب طلبتنا الاعزاء، وما لايناسبهم، ونحن نعلم بان الزمن المخصص لهذة المادة غير كاف، فهي تحتاج الى وقت اكبر في البرنامج الدراسي للطالب.

ورغم ذلك فاننا نتوقع ان يرى البعض اننا قد اوجزنا واختصرنا اكثر مما يجب هذا هو اجتهادنا وثمرة جهدنا نضعه بين ايدي القراء الكرام من زملاء وطلبة وسواهم ونترك لهم جميعا الحكم لنا او علينا ،ولكل مجتهد نصيب.

وبعد، فان هذا العمل هو ثمرة جهد كبير ونتاج خبرة في تدريس هذة المادة التعليمية سنوات طويلة. وهو محاولة متواضعة للاضافة الى المكتبة العربيه، ولتيسير امور طلبتنا الاعزاء.

ونحن مع ذلك لا ندعي الاحاطة بكل شيء وان عملنا لايعتريه النقص فالكمال لله وحدة.هو الكامل الاكمل فنرجو ان نكون قد وفقنا في ما سعينا إليه، ونسال القراء الكرام العفو والمعذرة عما قد يجدون من نقص او غموض او خطأ.

والله الموفق

اربد في ١٥ / ١٢ / ١٩٩٠ المؤلفون

القسم الاول

تاريخ اليونان

الفصل الأول

- حوض البحر المتوسط قبل اليونان : وادي النيل
- الحضارة المصرية
- بلاد الشام : الفنيقيون
- آسيا الصغرى
- كريت
- الحضارة الايجية
- طروادة

القسم الأول

القسم الاول

تاريخ اليونان

الفصل الاول

(حوض البحر الابيض المتوسط الشرقي قبل اليونان)

تعتبر منطقة حوض البحر الابيض المتوسط من المناطق الاولى في العالم التي اجتذبت الانسان اليها منذ القدم ، وقامت فيها الحضارات الانسانية الاولى ، في وادي النيل ، و في منطقة بلاد الشام، وفي منطقة ما بين النهرين، وفي آسيا الصغرى ، وفي جزر بحر ايجة، وشكلت هذه الحضارات بؤرة اشعاع حضاري انتقلت الى معظم المناطق المجاورة ، ونهلت منها الحضارات المجاورة كما أفادت منها الحضارات التي قامت بعدها .

ومن الحضارات التي قامت على أساس هذه الحضارات كلها أو بعضها، الحضارة اليونانية، ولعل أهم الحضارات التي أحدثت تأثيرا في الحضارة اليونانية هي بلا شك حضارة كريت ، والحضارة المصرية، والحضارة الفينيقية.

وقد كان اليونان قبل استقرارهم وتحضرهم بدوا رُحّلا، غزوا العالم الايجي الذي كان منفتحا على العالم الشرقي بحضارته المزدهرة ، وتحت تأثير عوامل الشرق نهضت بهم همتهم الشماء لانشاء مدنيّة اسمى من كل المدنيات التي جاء بها الشرق ، بل أسمى المدنيات التي جاء بها الانسان القديم في كل زمان ومكان [١] . ويقول مؤرخون آخرون بأن التاريخ اليوناني يعتبر أهم موضوع يستحق عنايتنا لعدة أمور [٢] : -

١ـ ان التاريخ اليوناني حظي باهتمام كبير ، وتوسع العلماء كثيراً في دراسته وتوصلوا الى توضيحه اكثر من أي موضوع آخر.

---

(١) برستد ، جيمس هنري، (١٩٨٣) ، العصور القديمة ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت

(٢) عياد ، محمد كامل ، (١٩٦٩) ، تاريخ اليونان ، ط (١) جامعة دمشق ، دمشق ص (١).

٢ـ اننا في تاريخ اليونان نجد انفسنا أمام حضارة من ارقى الحضارات البشرية فنطلع على مبادئ نشأتها ونتتبع مراحل تطورها السريع ونشهد ازدهارها ونتعرف الى القيم التي ابدعتها ، وبهذا تكون دراسة تاريخ اليونان من اكثر الموضوعات فائدة لفهم تطور الحياة البشرية عامة وادراك عوامل تقدمها وتأخرها .

٣ـ هناك علاقة وثيقة مباشرة بين تاريخ اليونان وبين تاريخ الشرق القديم وقد بدأ اليونانيون حياتهم التاريخية باقتباس اسس الحضارة وعناصرها من المصريين والبابليين والفينيقين ، كما أنهم اسسوا كثيرا من المستعمرات على شواطىء آسية الصغرى ومصر وبرقة ثم استولوا على جميع بلاد الشرق الادنى والاوسط في عهد الاسكندر المقدوني، وشيدوا فيها المدن والمعابد واسسوا المدراس والمكتبات ونشروا لغتهم وحضارتهم.

٤ـ كان للتراث اليوناني أثر في تراث الفكر العربي – الاسلامي . حيث استفاد المسلمون منه في العلوم كافه وخاصة في الفلسفه.

٥ـ كان للتراث اليوناني أعظم الأثرفي نشاة الحضارة الحديثه ، بل ان هذا الاثر ما زال بارزا ملموسا في جميع مظاهر الحضارة المسيطرة اليوم على العالم كله.

وسنعرض فيما يلي بايجاز للحضارات التي قامت في حوض البحر الابيض المتوسط الشرقي والتي كان لها الأثر العظيم في الحضارة اليونانية اللاحقة بشكل مباشر أو غير مباشر.

الحضارة المصرية:

تعتبر الحضارة التي قامت في وادي النيل من الحضارات ذات الأهمية الكبيرة في تاريخ الانسان القديم سواء من حيث القدم والعراقه أو من حيث الرقي والانجازات المهمة التي توصلت اليها أو من حيث التاثير الذي احدثته في الحضارات المعاصرة لها واللاحقة التي تلتها .

الاصول والبدايات:

قامت الحضارة المصرية على امتداد وادي النيل من الخرطوم جنوبا حتى البحر الابيض المتوسط شمالا . وتعود كما يشير معظم المؤرخين الى ما بين ٥٠٠٠ـ٤٥٠٠ق.م ،... ولم يتم استيطان الوادي دفعة واحدة، بل يعتقد بأن الوادي قد اصبح مستقراً لمجموعات من

المهاجرين وفدت الى الوادي من المناطق المجاورة، فمن الشرق جاءت عناصر سامية ، وجاء الليبيون من الغرب وجاء النوبيون من الجنوب ، ومع الزمن امتزجت هذه العناصر معا مكونة الشعب المصري[1] .

عاش المصريون في بداية استقرارهم على شكل قبائل متفرقة لكل منها الهه الخاص وعقيدتها الخاصة وملكها ومدينتها الرئيسة (عاصمتها) وهي مركز الاله ، وبمرور الزمن استطاع سيد احدى هذه القبائل ان يفرض سلطته على جيرانه ويخضعهم لحكمه ويوحدهم في كيان واحد مع احتفاظ كل قبيلة بعادتها وآلهتها ومع الزمن عُبدَت هذه الآلهة من قبل جميع القبائل [2]، اما على الصعيد السياسي فقد تكونت وحدتان سياسيتان متميزتان:

١- مصر العليا :وتضم الاراضي المصرية الواقعة جنوب الفيوم الى اسوان في الجنوب واشهر مدنها طيبة ، ونخن، ونخب ، وادفو، ودندرة. اتخذ ملكها التاج الابيض، .واعتبرته رعيته نصف اله. الهها الرئيس «ست» .

٢- مصر السفلى : وتضم الدلتا وما حولها وكانت أرقى حضارة من الجنوب والهها «حوروس »وتاج مليكها أحمر .

وفي حوالي سنة ٣٢٠٠ ق. م قام ملك الجنوب «مينا أو " نارمر"، بحملتين على الشمال تمكن بعدهما من احتلال دولة الشمال وفرض عليها الوحدة وجعل «منف» أو ممفيس عاصمة له لموقعها المتوسط وتوج بالتاجين الابيض والاحمر وقد عرف التاج باسم بشنت[3] "Pshent" ، واعطى لنفسه صفة الالوهية ودعى باسم « الفرعون ».

عرف المصريون قبل تأسيس الدولة الواحدة مجموعة من الحضارات الاولى قامت في اجزاء متفرقة من الوادي وقد تعاصر بعضها مع بعض دون ان يكون بينها اتصال، وهذه الحضارات هي :-

أ- حضارة الخرطوم .

---

(١) عبد الساتر ، لبيب ، (١٩٨٣) ، الحضارات ، ط (١) بيروت ، دار المشرق، ص (٦).

(٢) حاطوم ، نور الدين ، (١٩٦٨) ، موجز تاريخ الحضارة ، دمشق، مطبعة الكمال ، ص (٩٠)

(٣) عبد الساتر ، لبيب ، الحضارات ، مرجع سابق، ص (٦)

ب- حضارة مرمدة.

ج- حضارة البداري.

د- حضارة ماقبل الاسرات.

وقد مر التاريخ المصري بعد التوحيد بأربع مراحل تخللتها فترات انتقاليه هي :

١- الدولة القديمة من ٣٢٠٠-٢١١١ ق.م

عصر الفراعنة الكبار المستبدين الاشداء بناة الاهرامات التي اصبحت رمزاً للحضارة المصرية.

٢- الدولة الوسطى من ٢١١١-١٥٨٦ ق.م

تعرضت فيها البلاد الى غزو الهكسوس (الملوك الرعاة) الذين اتخذوا أفارس عاصمة لهم.

٣- الدولة الحديثة من ١٥٨٦-١١٠١ ق.م

عصر التوسع والحروب الخارجية والفراعنة المحاربين «تحتمس الثالث» و«اخناتون» و«رعمسيس الثاني» الذين استطاعوا مد سلطان مصر إلى الشمال في سوريا وفلسطين.

٤- فترة الانحطاط من ١١٠١-١٣٣٢ ق.م

تعرضت مصر خلالها لغزو شعوب البحر الابيض المتوسط من كريتيين وايجيين وغيرهم من جهة ، ولغزو الآشوريين والكلدانيين والفرس من جهة أخرى ، حيث استطاع قمبيز فتح مصر واخضاعها لحكمه الى أن جاء الاسكندر المقدوني الذي خلصها من الحكم الفارسي، وحكمها هو ومن بعده قائده بطليموس الذي أسس فيها الدولة البطليموسيه، التي ظلت قائمة الى ان جاء الرومان واحتلوها ، ومنهم انتقلت إلى البيزنطيين حتى جاء المسلمون وفتحوها فاصبحت بذلك جزءا من العالم الاسلامي حتى اليوم.

المظاهر الحضارية:

بلغت الحضارة المصرية شأواً بعيدا من التقدم والرقي في جميع مجالات الحياة، لم تصل اليه أي امة من الامم التي عاصرتهم .

فمن الناحية الاجتماعية تكون المجتمع المصري من عدة طبقات:

الطبقة الاولى : وهي الفرعون واسرته وكانوا يعتبرون آلهة من سلالة الاله رع كبير الالهة

المصرية وابنه حوروس، وقدم لهم الشعب المصري فروض العبادة والطاعة المطلقة لدرجة العبودية. ويجمع الفرعون بيديه السلطتين الزمنية والدينية. كانت سلطة الفرعون مطلقة فكل مافي مصر يتعلق بالفرعون سواء شمل ذلك الاشخاص أم الاملاك. واهم واجباته ووظائفه :

العسكرية فهو القائد العسكري للجيش المصري، **والوظيفة الادارية** فهو الحاكم الاعلى يحكم البلاد ويوزع المناصب ويعين الولاة ويراقب اعمالهم. **والوظيفة القضائية** فهو القاضي الاعلى يجلس للقضاء والاستماع الى شكاوي المظلومين ويعين القضاة ويراقب اقامة العدل ،

والوظيفة الدينية فهو الذي يقود الصلوات ويبني المعابد ويصلحها ويعين الكهنة ويراقب اعمالهم ويقود الاحتفالات الدينية ، والوظيفة **التشريعية**، فهو المشرع الذي يسن القوانين والتشريعات ومن اهم الفراعنه المشرعين (بوركوريس) في القرن السابع ق. م [1].

الطبقة الثانية: الطبقة العليا وقد استأثرت بمقدرات البلاد وخيراتها وتتشكل من :

١- الوزراء ويلقبون بألقاب تدل على وظائفهم فهم (عيون الملك وأذانه) واسمهم (لاتي) وتعني الوزير في لغتنا الحالية [2] ، وهم يساعدون الفرعون في ادارة شؤون مصر. وقد عظم شأن الوزراء وخاصة في فترات حكم الفراعنة ضعاف الشخصية ، لدرجة انهم جعلوا هذه الوظيفة وراثية في اسرهم.

٢- الكهنة ورجال الدين الذين كانوا ينوبون عن الفرعون في أداء الواجبات الدينية ، وكانوا يعيشون في المعابد ويتمتعون بالخيرات التي تغدق عليها، وكانوا يعدون اعدادا مدرسيا خاصا يستغرق جزءا كبيراً من حياة الفرد الواحد منهم، ونتيجة لأهميتها اقتصرت على ابناء الكهنه والاغنياء، ويقوم رجال الدين بالاضافة للأعمال المتعلقة بالدين بالكثير من الاعمال التي يسندها اليهم فرعون كسفراء الى الامم المجاورة ، وقيادة الرحلات والبعثات التجارية ، والتعليم في المعابد، اضافة الى الكثير من الاعمال، مما يدل على الصلة الوثيقة بين الدين وبقية مناحي الحياة المصرية.

الكُتّاب : الكاتب شخص ذو اهمية كبيرة، نظرا لندرة من يتقنون الكتابة المصرية حيث

---

(١) حاطوم ، نور الدين ورفاقه ، (١٩٦٨)، موجز تاريخ الحضارة دمشق ، مطبعة الكمال ، ص (٩٧).

(٢)عبد الساتر ، لبيب، الحضارات، مرجع سابق ، ص (١٢)

يحتاج تعلم الكتابة المصرية الى جهد كبير وتكاليف وذكاء ولباقة، وكانوا يعيشون في القصور والمعابد بجوار الفرعون والوزراء وكبار الموظفين، وقد يقود مركز الكاتب صاحبه الى الوزارة أو الكهانة ولذا اقتصرت على ابناء الاغنياء والطبقة العليا.

الموظفون: وهم الولاة الذين كان الفرعون يعينهم حكاما على الاقاليم والولايات التي قسمت اليها مصر نتيجة لاتساعها، ويتم اختيارهم في الغالب من بين الكهنة أو الكتبة أو رجال الفرعون المقربين.

الطبقة الثالثة: هم عامة الشعب المصري ويشكلون اغلبية الشعب الساحقة المنتجة لخيرات مصر والمحرومة منها في الوقت نفسه وتتألف من :

أ- الفلاحين: ويشكلون الطبقة الاكثر بؤسا في المجتمع المصري، فهم اقنان ارض يقومون بالعمل الزراعي وتربية الحيوانات وبعد الحصاد وفي فترة الفيضان يقومون باعمال السخرة لخدمة الفرعون وافراد الطبقة العليا، ويدفعون جزءا كبيرا من انتاجهم كضرائب عينية للفرعون وتجبى هذة الضرائب منهم بقسوة متناهية .

ب) العمال والصناع :كانوا يقسمون الى قسمين . **القسم الاول** عمال القصور والمعابد وهم افضل حالا من بقية افراد العامة لانهم يعيشون في القصر وينالهم نصيب من خيراته وهم غالبا ممن يتمتعون بالمهارة والدقة واتقان الصنعة، استطاعوا انتاج معظم روائع النفائس المصرية التي انتشرت في معظم المناطق المجاورة ،

اما **القسم الثاني**، فهم العمال الشعبيون الذين كانوا اقل مهارة واقل كسبا ولا تعتبر احوالهم افضل بأي شكل من احوال الفلاحين ، ويخضعون للسخرة والعمل الشاق المضني.

جـ- الجيش:لم يكن الجيش المصري في عهد الدولة القديمة نظاميا ، بل كان يتألف من الفلاحين وصغار العمال ، وتأخر ظهور الجيش النظامي الى عهد الدولة الحديثة، حيث عمد الفراعنة لدعم توسعهم الى تجنيد مرتزقة من الليبيين والنوبيين والسودانيين والأحباش. كانت حياة الجندية مرهقة تتكون من التدريب العسكري والسخرة، ولكن هذا لم يمنع من ارتقاء بعض الجنود الى مراتب عليا في الدولة.

الطبقة الرابعة: طبقة العبيد ، ويقبعون في ادنى درجات المجتمع المصري وهم في الغالب اجانب عن مصر، يحصل عليهم اما بالاسر أو بالشراء امتلكوا اساسا من قبل الفرعون للخدمة

في القصور والمعابد وقد وزع الفراعنة بعضا من عبيدهم على بعض اخصائهم ، واعتمد عليهم بعض الفراعنة في تدعيم مراكزهم ضد القوى المنافسة التي تشكل خطرا عليهم.

الاسرة : تكونت الاسرة المصرية من الاب والام وأطفالهما ، وهناك اعتقاد بأن المصريين كانوا يتزوجون اخواتهم ، وليس هناك ما يثبت ذلك أو ينفيه، وقد احتلت المرأة مكانة سامية في المجتمع المصري ، فقد بلغ بعضهن مراكز مرموقة في الحياة السياسية. شاع عند المصريين ظاهرة تعدد الزوجات وخاصة بين طبقة الاغنياء، ولكن تكون احدى هذه الزوجات صاحبة المركز الاول. كما كان بمقدور الرجل المصري اتخاذ أي عدد من المحظيات الى جانب الزوجات. وكان للاولاد مكان في الاسرة وهم موضع حماية ورعاية كبيرين ، وكان الآباء يحرصون على تربية اولادهم تربية سليمة، وينقلون اليهم حرفهم ويعلمونهم مهنهم، كما يهتمون كثيرا بالتربية الاخلاقية وبالسلوك السليم المتصف باللباقة والأدب وحسن التصرف. ويهتم الابناء برعاية آبائهم واحترامهم وطاعتهم والوفاء لذكراهم حتى بعد الموت وذلك بالاهتمام بتوفير المسكن الأبدي الملائم لهم.

اما على **الصعيد الاقتصادي** فنجد ان الزراعة تشكل المورد الاساس والمصدر الرئيس للانتاج المصري ، وقد اعتمدت الزراعة المصرية على عوامل مواتية جعلت الانتاج غزيراً، كوفرة المياه التي يوفرها فيضان النيل ، وعلى خصوبة التربة وملاءمة المناخ ، وقد زرع المصريون الحبوب وخاصة القمح والشعير، كما زرعوا البساتين بالاشجار المثمرة والخضار ، وأبدعوا في تربية الكروم وانتجوا أحسن أنواع العنب، وكانت المنتجات الزراعية بالاضافة الى المصنوعات والتحف مادة التجارة الخارجية.

كانت **التجارة الخارجية** لمصر همزة الوصل بينها وبين والامم الاخرى المجاورة. وقد سخرت التجارة في مصر لخدمة الفرعون بالدرجة الاولى، ثم توسعت لتخدم القصر والمعبد والاغنياء. وتتم بشكل فصلي حسب مواسم الانتاج ، ففي الصيف تتجه شمالاً الى سواحل سوريا الشرقية والى سواحل آسيا الصغرى الجنوبية، حيث تأتي بالحبوب والاخشاب والمعادن وخاصة النحاس من قبرص، والزيت من كريت. وتتجه في الشتاء جنوبا نحو اليمن وبلاد بونت (الصومال حاليا) حيث تعود سفنهم محملة بالتوابل والعطور والطيوب والمواد الطبية اللازمة للتحنيط، وبأخشاب الأبنوس، والعاج والمعادن النفيسة. وقد استمرت التجارة المصرية على

هذا المنوال طيلة زمن الدولتين القديمة والوسطى، ولكنها ما لبثت ان تطورت في عصر الدولة الحديثة، حيث زادت علاقات مصر مع العالم الخارجي نتيجة التوسع المصري في سوريا وفلسطين وسيطرتهم على بلاد فينيقيا وفلسطين، فأخذ الاسطول المصري يجوب شرق البحر الابيض المتوسط بدءا من الساحل الشرقي حتى جزر البحر (العالم الايجي) غربا . ويعتقد بعض المؤرخين ان المصريين قد استعانوا في بناء وتسيير هذا الاسطول بالفينيقيين ثم اتخذوا اليونانيين بحارة وجنودا على هذا الاسطول وفي جيوشهم وحرس الفراعنة الخاصين فيما بعد[1]. وساهم هذا الاسطول في زيادة حجم الصلات بين الحضارة المصرية وبين الامم الاخرى المجاورة وخاصة الفنيقيين وكريت.

اما على **الصعيد الديني** فقد بدأت الديانة المصرية بعبادة القوى الطبيعية والطوطمية، حيث كان لكل قبيلة من القبائل التي استقرت على طول مجرى النيل الهها الخاص. وعندما توحدت هذة القبائل في وحدات سياسية اكبر ، كانت تأتي معها بالهها الخاص ليعبده الجميع، ولكن السيادة على الآلهه جميعها كانت تعطى لاله القبيلة الاكبر والاقوى، والتي تسيطر على الجميع. وهكذا نشأت عبادة الآلهه المتعددة ، واصبح (رع) اله الشمس هو كبير الآلهه المصرية وخالقها جميعا ، وعلت قيمة «حوروس » ابن «ايزيس» و« اوزيريس». وشاع تعدد الآلهه، وفي عصر الدولة الحديثة قام الفرعون أخناتون بتوحيد الآلهة جميعا في اله واحد هو قرص الشمس المجنح آتون، وجعل معبد آمون في طيبة المعبد الاكبر وأجبر الكهنة جميعا على ترك عبادة الالهه الأخرى وعبادة آتون وحده ولكن ما لبث كهنة المعابد الأخرى الناقمين نتيجة فقدانهم لأهميتهم الدينية وامتيازاتهم ان قاموا بالتمرد وابطال عبادة آتون، والعودة الى عبادة آلهتهم السابقة، وظلت التعددية سائدة في مصر الى عهد ظهور المسيحية.

أثر الدين المصري على جميع حياة وانشطة المصريين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والأدبية والفكرية. وربما كان اهم جانب برزت فيه تأثيرات الدين المصري هو الايمان بالبعث وبالحياة بعد الموت ، وما استتبع ذلك من اهتمام ببناء القبور بحيث تكون مساكن ابدية مريحة للميت ، وتزويده بكل ما يحتاج من امكانات الحياة بعد الموت ، والعناية بالمحافظة

---

(١) عياد ، محمد كامل، (١٩٦٩) تاريخ اليونان ، ط١ ، دمشق، (١٩٦٩) ، ص (١٢٠-١٢٩)

على جسده من البلى (بالتحنيط). ومن اجل تحقيق هذة الامور تقدم لديهم كثير من العلوم ، كالعلوم الطبية وخاصة تشريح الجسم البشري وهذا طور لديهم امكانية اجراء العمليات الجراحية ، وعلاج كثير من الامراض .

اما بالنسبة لبناء القبور فقد ساهم ذلك في تقدم علم الهندسة ، وعلم البناء وفنون الزخرفة والنحت والرسم والتصوير. فلم يكونوا يكتفون ببناء القبر بشكل يجعله مكانا يليق بالميت وخاصة الفراعنة، بل اهتموا اضافة الى ذلك بجعل حجرة الميت سرية تختفي عن اعين لصوص المقابر الذين لا يأخذون فقط متاع الميت بل يحرمونه من وسائل المعيشة والاشياء المحببة اليه في حياته الجديدة. كما اهتموا بتسجيل اهم الاعمال والآثار التي قام بها بكتابات ورسوم تنقش أو تصور على جدران القبر، أو في سجل خاص سمي «كتاب الموتى». وهو مجموعة من الادعية والصلوات واعتراف من الميت موجه الى آلهة الحساب التي تقوم بمحاسبة الميت على اعماله في الحياة وتقرر بعد ذلك مصيره ، اما الى الخلود في عالم الآلهة، واما الى الفناء، حيث تتولى آلهة العذاب تمزيق قلبه وحرمانه من الخلود. كما كان للنيل باعتباره آلها يفيض بمياهه في كل عام مرة فيسقي الارض وينبت الزرع ويهب الناس الحياة، أثر كبير في مجال الزراعة والعلوم وخاصة علوم الحساب والفلك والتقويم حيث حسب المصريون الزمن الفاصل بين الفيضان والفيضان. فتوصلوا الى حساب السنة وكانت عندهم ٣٦٠ يوما ، ثم لاحظوا ان هناك نجما سماويا يبزغ في موعد الفيضان هو نجم الشعرى، واسموه (سوتيس) حيث حسبوا الفرق بين ظهور النجم، فوجدوا الفرق يساوي ٣٦٥ يوم وربع اليوم. وبذلك حسبوا طول السنة بشكل اكثر دقة من الأمم الأخرى. كما عرف المصريون الاعداد فجعلوا الصفر خطا عموديا قصيرا والعشرة على شكل (n) والمائة(و) . ولكنهم مع ذلك اخفقوا في اتخاذ تقويم ثابت موحد. ولذلك تأخر عندهم علم التاريخ حيث أرخوا بحكم الفراعنة فكانوا يؤرخون بالسنة التي تقع فيها من حكم الفرعون الذي تقع في زمنه ، وعرفوا الاعداد بالنظام العشري فعرفوا ال ١٠، ١٠٠، ١٠٠٠، ١٠٠٠٠، ١٠٠٠٠٠، ١٠٠٠٠٠٠ [١]

---

(١) فرح ، نعيم ، (١٩٨٩) ، التاريخ القديم ، مطبعة دار الكتاب ، دمشق ، ص ٩٣٠ .

الفنيقيون

الفينيقيون هم منالكنعانيين و الكنعانئيون من الشعوب العربية (السامية) التي هاجرت حوالي العام ٢٥٠٠ق.م من اليمن الى منطقة سوريا. وقد اطلق اليونان اسم الفينيقيين على التجار الكنعانيين الذين كانوا يتاجرون معهم، وكانوا يسكنون السواحل الشمالية لبلاد الشام. ولعل اسم الفينيقيين مستمد من كلمة(فينكس Phoenix) وتعني اللون الأحمر الأرجواني الذي كان يستخرج من حيوانات بحرية لصبغ الاقمشة المطرزة .[١]

ان السهل الساحلي الضيق في منطقة لبنان كما تعرف اليوم كان الموطن الذي اختاره ذلك الفرع الكنعاني الذي عرف باسم الفينيقيين. نقول هذا السهل الساحلي الضيق لم يكن كافيا لاطعام سكانه، فاتجه الفينيقيون الى البلدان المجاورة يستوردون منها، والى البحر يبحثون فيه عن رزقهم، كما وفر لهم الجبل الاخشاب اللازمة للتصدير ولبناء السفن. وقد اتجهوا برحلاتهم الى قبرص، واحضروا منها النحاس والمنتوجات الزراعية ثم الى مصر فاقاموا المستودعات والمحطات التجارية فيها، ثم تحولوا شمالا الى رودس وكريت وبحر ايجه، واحضروا منها الاسماك المملحة ، والذهب والفضة والرصاص والقصدير... ثم اتجهوا الى مالطة وصقلية ثم عبروا مضيق الزقاق (مضيق جبل طارق)... ، ثم الى بحر الظلمات فسواحل انجلترا الجنوبية. وتذكر المصادر ان الملاحين الفينيقيين طافوا حول افريقيا بتكليف من احد فراعنة مصر (نيخاو). واقتبس اليونان عنهم صناعة السفن [٢].

وما ان جاء القرن العاشر ق. م حتى كان الاسطول الفينيقي يسيطر على البحر الابيض المتوسط كله. وكانت المستعمرات الفينيقية تنتشر على شواطئه واسست المدن العديدة في صقلية ، وسردينيا ، ومالطة، وجزر البليار ، وفرنسا ، واسبانيا ، وشمال افريقيا [٣] وهـذا الامتداد جعل التأثير الفينيقي يتسع ليشمل معظم سواحل البحر الابيض المتوسط. ان التأثير

---

(١) فرح ،. نعيم ، (١٩٨٩)، التاريخ القديم ، مرجع سابق، ص(٣٠٢-٣٠٥).

(٢) ، جيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ج٢ ص ٤٨

(٣) برستد، جيمس هنري ،(١٩٨٣)، العصور القديمة ، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

الفينيقي يشمل المظاهر المادية للحياة كالصناعات والمنجزات الفنية، ويشمل اضافة الى ذلك بعض مظاهر الفكر كالكتابة التي تشكل اصل الكتابات الاوروبية. فقد نقل الفينيقيون الى كريت واليونان الملابس المصبوغة، والزجاج والاواني الخزفية.

ولكن أهم ماعطاه الفنيقيون للحضارة الانسانية بشكل عام ومنهم اليونان هو الأبجدية والحروف الهجائية.[1] وعثر عندهم على أبجديتين الاولى في اوغاريت ١٤٠٠ق.م، مكونة من (٣٠) حرفا واخرى في جبيل بعدها مكونة من (٢٢) حرفا. وفي القرن التاسع ق.م نقل اليونان هذة الابجدية وادخلوا عليها بعض التعديلات. وما تزال بعض الاحرف اليونانية تحمل نفس الاسماء الفنيقيية (الفا، بيتا) ومن اليونان انتقلت هذه الابجدية الى الرومان.[2] وكان المؤكد ان هؤلاء القوم كانوا من انشط الوسطاء التجاريين، الذين أسهموا بدرجة كبيرة في نشر الحضارات على شواطئ البحر الابيض المتوسط. اذ كانت سفنهم تحمل البضائع ومعها الافكار والالهه والفنون ، وتصل ما بين الحضارات في بلاد ما بين النهرين ومصر، وآسيا الصغرى واليمن واليونان.

تأثير مصر في الحضارات المجاورة وفي اليونان

عاشت مصر في زمن الدولة القديمة وما قبلها في عزلة تكاد تكون تامة عن العالم الخارجي المحيط بها. ولكنها تعرضت في زمن الدولة الوسطى الى غزو الهكسوس الرعاة، الذين احتلوها ولكنهم لم يكونوا عامل اتصال حضاري، لان الغزاة الوافدين سرعان ما اقتبسوا جميع مظاهر الحضارة المصرية، إلا أن الغزو احدث ردة فعل عند المصريين حيث انهم بعدما تخلصوا من هؤلاء الغزاة انطلقوا يتوسعون ويغزون في المناطق المجاورة فبسطوا سيطرتهم على بلاد كنعان ، وعلى فينيقيا وحتى على بعض الجزر في البحر الايجي. وبذلك ازداد التاثير المصري على الاقطار المجاورة، وانطلقت السفن المصرية تجوب ارجاء البحر المتوسط وترتاد سواحله حاملة معها المنتجات والافكار ومظاهر الحضارة المصرية الى جميع

١- برستد، جيمس هنري، العصور القديمة، مرجع سابق ص ٢٩٢.

٢-فرح، نعيم ، التاريخ القديم ، مرجع سابق ص ٢٦٠ .

الحضارات المجاورة لهم، وانتقل تاثيرهم الى اليونان عن طريق الحثيين والفينيقيين والكريتيين، وقد تفاوت هذا التاثير من أمة لأخرى حسب درجة الاتصال ومدته ونوعه ، وكانت اكثر هذه الاتصالات تاثيراً بين المصريين والفينيقيين، الذين نقلوا بدورهم تاثيرهم الى اليونان عبر تجارتهم البحرية، التي كانت ترتاد السواحل اليونانية وجزربحر ايجه، ولم ينقل الفينيقيون الى اليونان المظاهر المادية للحضارة المصرية فقط بل نقلوا معهم افكار مصرية تتعلق بالأساطير والمعتقدات المصرية، وبعض الفنون.

كما أثرت الحضارة المصرية ايضا بدرجة كبيرة في الحضارة الكريتية والتي يطلق عليها كثير من المؤرخين اسم الحضارة الايجية ، والتي تعتبر الارضية الاساسية التي اقام عليها اليونان حضارتهم.

ففي كريت : تعود العلاقات بين مصر وكريت الى العصور الحجرية القديمة. وتشير الوثائق والكتابات التي وجدت سواء في مصر أم في كريت، على ان علاقات وثيقة قامت بين الطرفين. فتشير كتابة مصرية قديمة الى شعوب (هانيبو)، اي الشعوب المحاطة بالمياه [1] وتعود هذه الكتابة الى عهد الاسرة الثالثة حوالي (٣٠٠٠)ق. م . ومنذ ذلك الوقت استمرت هذه العلاقات في عهد الاسرة الرابعة والسلالة السادسة والتي امتد حكمها منذ (٢٨٠٠-٢٤٠٠)ق.م. ومن الشواهد المؤكدة لهذه العلاقات اكتشاف كثير من المصنوعات المصرية وبا لأخص التحف المصنوعة من العاج ، كما تشير كتابات وجدت في (طيبة) وتعود الى عهد الاسرة الثانية عشرة(٢٠٠٠-١٨٠٠) ق.م الى شعوب البحر كشعوب حليفة لمصر. واستمرت العلاقات وثيقة في عهد ملوك (الهكسوس)، حيث عثر على آنية في قصر (كنوسوس) عليها شارة ملك (الهكسوس) خيان (١٦٦٣) ق.م. وقد بلغت قوة العلاقة بين مصر وكريت درجة كبيرة من التقارب والاتساع لدرجة ان بعض المؤرخين اعتبر ان كريت في هذه الفترة تابعة لمصر، استنادا الى نقش يعود الى زمن (تحوتمس الثالث) (١٤٧٥-١٤٣٥) ق.م يصور وفود الامم الاجنبية التي جاءت الى مصر لتقديم الهدايا الى الفرعون، ومن بين هذه الوفود وفد (كفتي)، كما تؤكد بعض الكتابات المصرية ايضاً أن اسطول (كفتي) قد اشترك مع اسطول (بيبلوس) أي جبيل في نقل الاخشاب الى مصر لحساب فرعون[1] .

ومن الدلائل التي يراها المؤرخون ذات أهمية في الدلالة على عمق التاثير المصري في

كريت ثم في اليونان من بعد ، قصر (كنوسوس) الشهير بغرفه وقاعاته العديدة، والتي اشارت بعض الاساطير الى ان الداخل اليه يتوه في طرقاته وممراته فلا يستطيع الخروج منه بدون دليل ولذا يصعب على الغرباء الخروج منه اذا دخلوا اليه قاصدين الشر[٢].

ومما يؤكد وجود علاقة مبكرة بين المصريين وسكان شبه جزيرة المورة وجزر البحر الايجي، وذكر اسم مصر في الاساطير اليونانية القديمة، فقد اشارت اسطورة اختطاف باريس للاميرة الاسبارطية (هيليني)، ان السفينة التي أقلعت بالعاشقين من اسبرطة الى طروادة، على ساحل آسيا الصغرى، عرجت على بعض الموانيء الشرقية في قبرص وفينقيبا ومصر[٣]وقد تعرضت الحضارة الايجية لمؤثرات عديدة بعضها جاء من مكان قريب كالأناضول، وبعضها جاء من مكان بعيد وهو بلاد مابين النهرين عن طريق سوريا وسواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية. وكان الفينيقيون والمصريون والفلسطينيون وقبرص هي الممرات التي عبرت بوساطتها هذه التأثيرات الى شعوب البحر المتوسط. فقد وجد في كريت ختم اسطواني يشير في الغالب الى صلات تجارية وثيقة مع البلدان الشرقية مصر، فينيقيا ، آسيا الصغرى، ليبيا. ويذهب بعض العلماء الى القول :بأن قيام علاقات بين مصر وكريت يرجع الى العصر النيوليتي الذي بدأ في كريت حوالي عام (٣٠٠٠) ق.م ، بينما تشير الوثائق المصرية الى اسم (كيفيتيو) والتي تشير في الغالب الى اسم كريت باللغة المصرية القديمة –لاول مرة في اواخر الدولة القديمة اي حوالي عام (٢٢٠٠) ق.م. وتتمثل هذة العلاقات والصلات بالكثير من الجعارين[٤]، وتمثال صغير من حجر الديريت الصلب يمثل موظفا مصريا يسمى اوسر ، وفي الاواني الكريتية التي وجدت في مصر العليا (صعيد مصر). ويذهب البعض الى ان هذه الصلات ظلت حتى هذه الفترة غير مباشرة ، تمت من خلال احتلال مصر الى سواحل

١– تشير الوثائق والكتابات المصرية الى سكان كريت باسم (كفتي) وتميز بذلك بينهم وبين سكان جزيرة قبرص الذين يشار اليهم باسم (الازية) وبين سكان بحر ايجه الذين يسمونهم (اهل الدائرة)

٢– عبد اللطيف، احمد على ، التاريخ اليوناني (العصرالهيلادي)، مكتبة النهضة العربية ، بيروت، ص ٦٥٩.

٣– عبد اللطيق ، احمد على ، التاريخ اليوناني مرجع سابق ص ٤٥٩.

٤– كانت قبرص المكان الذي يبدو فيه الامتزاج بين الحضارة الايجة والحضارات الشرقية واضحا ، حيث تظهر فيها البيوت الطينية المبنية باللبن المرتكزة على قاعدة من الحجر ، والاواني الفخارية الملونه مما يثبت تاثيرها بحضارة ايران وبلاد مابين النهرين.

فلسطين وفنيقيا وما تبع ذلك من رواج السلع المصرية رخيصة الثمن ومنها انتقلت بوساطة التجارة المتبادلة بين فينيقيا وكريت، وظلت هذه الصلات غير مباشرة مستمرة حتى حوالي العام (١٥٧٠) أي زمن الدولة المصرية الحديثة. [1] وظلت هذة العلاقات في جوهرها تجارية اقتصادية حتى حوالي عام (١٤٠٠) ق.م أي (نهاية العصر المنيوي الحديث الثالث) عندما اختفت كلمة (كيفيتو) من النصوص المصرية ومنذ عصر تحتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦)، بدأت الوثائق المصرية تشير الى شعوب(وسط البحر) وتشير بذلك الى الكريتيين والميكينيين (نسبة الى مدينة ميكينا او مسينيا في وثائق أخرى). ويرجع ذلك لعدم استطاعة المصريين التمييز بين الشعبين عندما بدأ الميكينيون بالظهور في البحر بجوار الكريتيين واخذوا يتصلون بالشعوب المحيطة بهم. وما لبث نجم الكريتيين ان انطفأ فجأة - نتيجة غزو مفاجئ أو حادث غامض لم يجد الكريتيون معه وقتا لوصف ما حدث لهم - متيحا المجال للمكينيين لاحتلال محلهم ، وهم الذين اطلق عليهم المصريون اسم الدناويين.

---

(١) الجعران تمثال خنفساء اشتهر عند المصريين وانتشر عندهم كثيرا

حضارة كريت

يعود ظهور اليونان الإخائيين على مسرح الاحداث في شبه جزيرة المورة، الى حدود القرن التاسع ق. م ولكن الشعوب التي كانت تتكلم اللغة اليونانية قد بدأت بالهجرة الى المنطقة منذ ٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م، حيث ذكرت المصادر المصرية بعض الاسماء التي تشير الى هذه الشعوب مثل ((دانا- ووفا) و(آقايوشه) اي الدانائيين والاخائيين.

لم تكن المنطقة التي جاءت اليها هذه الشعوب خالية من السكان رغم ان المصادر اليونانية لم تتحدث عنهم الابشكل خرافي ، الا ان التنقيبات الاثرية كشف عن وجود حضارات شعوب سكنت جزر العالم الايجي قبل اليونانيين كان لها الأثر الكبير في نشاة الحضارة اليونانية وأهم هذه الحضارات هي حضارة كريت، وحضارة« ميسيني» «وتيرنس»في مقاطعة «آرغوليس»ولكننا سنقصر حديثنا في هذا المقام على حضارة كريت.

يعود الفضل في اكتشاف الآثار الكريتية الى الاكتشافات التي توصل اليها تاجر كريتي اسمه (مينوس كالو كابرينوس) (١٨٧٨) جنوب مدينة كاندية عاصمة كريت، ثم الى التنقيبات التي قام بها الالماني شليمان (١٨٨٦) ثم الى العالم الانجليزي آرثر ايفانس (١٨٩٣) - (١٩٠٠) الذي استطاع اكتشاف قصر (مينوس) ووجد آلافا من الاختام والالواح الكتابية.

ادوار التاريخ الكريتي:

دلت الاكتشافات الأثرية التي عثر عليها في جزيرة كريت على امتداد تاريخ كريت لفترة زمنية طويلة. وقد قام ايفانس بتقسيم عصور التاريخ الكريتي حسب تطور الادوات الفخارية التي عثر عليها وبالمقارنة مع الآثار المشابهة للامم الاخرى الى ثلاثة عهود هي:

العهد المينوي القديم دور اول ٣٠٠٠ - ٢٨٠٠ق.م

دور ثاني ٢٨٠٠ - ٢٤٠٠ ق.مم

دور ثالث ٢٤٠٠-٢١٠٠ ق.م

العهد المينوي المتوسط دور اول ٢١٠٠ - ١٩٠٠ ق.م

دور ثاني ١٩٠٠-١٧٥٠ ق.م

دور ثالث ١٧٥٠- ١٥٨٠ ق.م

العهد المينوي المتاخر دور اول ١٥٨٠-١٤٨٠ق.م

دور ثاني ١٤٥٠-١٤٠٠ ق.م

دور ثالث ١٤٠٠-١٢٠٠ ق.م

ويقابل الدور الاول من العهد القديم العصور الحجرية المتاخرة. وفي الدور الثالث من العهد القديم توصلوا الى صناعة البرونز واخذوا يصدرونه الى الامم الأخرى المجاورة وازدهرت نتيجة لذلك تجارة كريت الخارجية.

وفي الدور الثالث من العهد الاوسط وبالتحديد في عام ١٧٥٠ نزلت بجزيرة كريت كارثة غريبة احتار الباحثون والمؤرخون في تحديد كنهها وتعليلها فقال البعض بهزة أرضية ، وقال البعض الآخر بغزو مفاجئ ، وقال آخرون بقيام ثورة داخلية وهو الاحتمال الاكثر قبولا، لان التخريب والدمار لحق بجميع قصور ومباني الجزيرة. ولكن كريت ما لبثت ان اعادت بناء هذه القصور مثل قصور (فايستوس) و(هاجيارياداا) و (تيليسوس) و(كنوسوس) وبلغت كريت مجدها الاكبر وعصرها الذهبي في هذه الفترة وبالتحديد ما بين عامي ١٤٥٠-١٤٠٠ ق.م ، حيث انتشرت المصانع للاواني الخزفية والاواني المعدنية والحلي واصبح اسطول كريت يسيطر على بحر ايجة وان يقضي على القرصان البحريين. ويلاحظ ان قوة الاسطول ومنعته جعلت ملك كريت يستغني عن كل نوع من التحصينات حول المدينة أو حول قصر كنوسوس، وقد انتشرت بضائع كريت ومصنوعاتها على جميع شواطيءالبحر الابيض المتوسط. .

مظاهر الحضارة : سنستعرض فيما يلي[1] الملامح الحضارية المهمة لجزيرة كريت، فمن الناحية الزراعية كانت تعتبر فقيرة زراعيا ، وتغطي الغابات جزءا مهما من اراضيها فتوفر بذلك لسكانها الاخشاب الضرورية لبناء سفنهم وقواربهم. وقد عرف الكريتيون شجرة الزيتون ، واستخرجوا منها الزيت وعبأوه في جرار فخارية جميلة المنظر. حيوانهم الرئيس كان الماعز ولكنهم ربوا الابقار واهتموا بمصارعة الثيران ، واصطادوا السمك واعتمدوا عليه كثيرا في غذائهم .

---

(١) لمزيد البحث ارجع الى د نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق القديم (ترجمه صادق رستم) نحو مثاق لوين: الحضارة المصرية (ترجمه د احمد لمشري) عبد العزيز عبد الرحمن ، العلوم والفنون عند قدماء المصريين

دفع فقر الجزيرة زراعيا الكريتيين للاتجاه صوب البحر وللسفر وللتجارة فاصبحوا اول امة تجارية في التاريخ [1] . حيث كانوا يبيعون منتجاتهم ويستوردون طعامهم ، وقد اتوا بالمعادن كالنحاس والحديد والبرونز من الخارج حيث اتوا بالنحاس في وقت مبكر من قبرص (جزيرة النحاس) ، وصنع الكريتيون ادوات من المعادن المختلفة ومزجوا المعادن ببعضها ونجحوا في ذلك وربما يعتبر درع ديوميد خير مثال على ذلك. كما اشتهر الكريتيون في صناعة الخزف المزين برسوم ذات اشكال بديعة تدل على المهارة التي ابداها الصناع والفنانون الكريتيون. كما برع الكريتيون في حفر الخشب فقد عرفوا المنشار وصنعوه من البرونز، ويعتقد المؤرخون ان ذلك مكنهم من صناعة العربات وبناء السفن ، وصناعة الادوات اليدوية لاجراء كثير من العمليات الحياتية اليومية، وكانوا يبادلون صناعاتهم مع ما ينقصهم من منتجات كالخيل ، والعاج والنحاس.

اما اكثر ما يبرز تقدم الكريتيين هو الفن حيث شهد الفن الكريتي ازدهار مبكرا اذ عمد الفنانون الكريتيون الى ملاحظة الطبيعة ومجاراتها مع الاحتفاظ بالاتزان والتجانس في الرسم ، يمثل ذلك اصدق تمثيل اواني الفخار المزينة بالازهار وبالاحياء البحرية مثل ذلك الاناء الفخاري الذي رسمت عليه صورة متكررة لحيوان الدولفين[2] .

تميز الفن المينوي بصغر الحجم في التماثيل بعكس الفن المصري الذي اتصف بالضخامة ، كما ابدعوا في رسم الصور بالحجم الطبيعي وقد صنعوا التماثيل من الجبس أو الحجر أو البرونز (خاصة الصغيرة منها) أو العاج، وكانت تماثيلهم متقنة لدرجة كبيرة.

اما ملابسهم فقد اختلفت بين ملابس الرجال وملابس النساء وحسب العمر. فقد كان الشباب يلبسون قطعة صغيرة من القماش تلف حول الوسط، وحزام عريض من الجلد يلتف حول الخصر، أمّا الرجال المتقدمون في السن فيلبسون اردية طويلة أو عباءات طلبا للدفء، اما ملابس النساء فتشبه الى حد كبير ملابس النساء المعاصرات، تتكون من صديري قصير الاكمام ، وفوقه بلوزة من نسيج ابيض رقيق ، ومن إزار يشبه الناقوس في جزئه الاسفل ، او

١- لنتون، رالف شجرة الحضارة، ص ٢٥٩.

٢- لنتون، رالف، شجرة الحضارة، ص ٢٦٠.

من (بيجاما) فضفاضه مزركشة الالوان ، وفي اقدامهم يلبس الكريتيون احذية جلدية تشبه الاحذية الحديثة المخصصة للجيش وقد ينتعل الرجل صندلا من الجلد ، اما السيدات فكن يلبسن اما خفا مصنوعا من السيور الجلدية وذات كعوب عالية، يضعن على رؤوسهن قبعات كبيرة مزركشة بألوان زاهية . ويسرف كلا الجنسين في التزين بالحلي ، وكانت النساء الكريتيات مغرمات بتغيير ازيائهن من وقت لاخر ، وقد اطلق علماء الآثار اسم الباريسيه على صورة احدى النساء الكريتيات لما تبدو عليه من الرشاقة والعناية بزي الثياب والزينة [1].

اما لباس الحرب عندهم فيتكون من خوذة مرتفعة من البرونز ويحملون درعا من البرونز شكله يشبه الحرف (8)، وسلاحهم السيف الطويل المستقيم والرمح ، وبلطة ذات حدين قاطعين، وتفنن الكريتيون في صناعة سيوفهم التي تنوعت بين السيف الطويل المستقيم ، والقصير المدبب، المتسع عند المقبض، ويجعلون المقابض من الذهب أو العاج أو الكريستال (البلور الصخري).

مكانة المرأة :

وتدل جميع ظواهر الحياة على ان المرأة تمتعت بمكانة اجتماعية مساوية للرجل ، فبالاضافة الى قيامها باعمال المنزل كالنسيج ، وطحن الحبوب والطهو والحياكة، فقد كانت تشارك في اعمال الزراعة وصناعة الخزف والخروج الى الصيد ومصارعة الثيران والاشتراك في سباقات العربات. وقد جرت العادة على ان تخصص لها المقاعد الامامية في المسارح والحفلات، وعلى ان تعامل باحترام في المآدب والحفلات العامة ، كما انها انفردت بالاشراف على معابد الالهة الام[2]

نظام الحكم:

كان نظام الحكم في كريت ملكيا ، ويتم اختيار الملك من بين طبقة النبلاء والاشراف، ولنا ان نتصور ظهور سلطة الملك على النحو الآتي : ففي البداية كانت السلطة بيد رؤساء العشائر والنبلاء الذين كانوا يحكمون البلاد حكما اقطاعيا ويخرجون الى الاماكن العامة وقد

١-عياد محمد كامل، تاريخ اليونان، ص ٤٨.

٢- عياد ، محمد كامل ، مرجع. سابق. ص ٥١.

تمنطقوا بالخناجر، ولكن في فترة الحكم المينوي المتأخر تبدلت الحال حيث يبدو ان احد زعماء الاسر الكبيرة ، قد استطاع السيطرة على السلطة وعلى رؤساء القبائل الآخرين واصبح ملكا ، يطلق عليه لقب (مينوس).

استمد ملوك كريت سلطتهم من الآلهه ، فهو الكاهن الاعلى، يحمل شارات ملكية مكونة من العصا وزهرة الزنبق والبلطة ذات الحدين. وقد جرت العادة بان يجدد الملك سلطته الالهية كل تسع سنوات مرة، وذلك بالصعود الى الجبل المقدس والدخول الى مغارة الاله الثور والاتصال به، فاذا كان قديرا وكريما يخرج الى الناس سالما معافى، والا فانه يزول ولا يخرج ويعين غيره.

وكان الملك رأس الهرم الاداري في كريت يساعده في الحكم عدد كبير من الموظفين ، والكتاب ، ولكل واحد منهم ختم خاص باسمه مخصص للمعاملات قليلة الاهمية، اما المعاملات ذات الاهمية الكبيرة فينبغي ان تقترن بتوقيع الملك وخاتمه . بلاضافة الى السلطتين الدينية والادارية كان الملك المينوي القائد العسكري الاعلى وكانت اداته العسكرية الرئسية والاقوى هي الاسطول الذي استخدم على نطاق واسع في التجارة وفي تأسيس المستعمرات خارج كريت، حيث تدل الشواهد التاريخية على انهم استعمروا مناطق كثيرة في سواحل البحر الابيض المتوسط، ويشير المؤرخ اليوناني (توكيد يديس) الى وجود مدن عديدة تحمل اسماء ذات اصل كريتي مثل (مينوا) أوتنتهي بمقاطع (أتوس) أو (سوس)[1].

ديانتهم :

تعتبر الديانة الكريتية مزيجاً من العقائد البدائية التي تؤمن بالقوى الخفية والخرافات وعبادة القوى الطبيعية حيث عبدوا تقريبا كل شيء ولكنهم قدسوا الثيران والافاعي بشكل خاص، لاعتقادهم بقدراتها التناسلية الكبيرة، كما قدسوا الحياة واعتبروا ان استمرار الحياة ميسر بالتناسل، ولذلك قدسوا كل ما يمت الى الخلق والاخصاب والتناسل، والالهة الام هي رمز كل حياة، حيث عبدوها وبين ذراعيها ابنها الالهي (فلخانوس) الذي ولدته في مغارة

(١)عياد ، محمد كامل ، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٢) لنتون ، رالف ، مرجع سابق، ص ٢٦١.

بالجبال ، وقد صوروه في عدةاشكال وحالات فهو تارة دون امه مكانة ومنزلة، وأعلى منها شأنا طورا آخر ، وهو يموت ويعود الى الحياة كل سنة مرة (انظر اسطورة الاله دموزي، تموز، ادونيس)، ويمثلـــونه في شكل نصفه انسان ونصفه ثـور. اما الالـهة الام فقد غلب عليها اســم (ريا Rhea).

كان الكريتيون يتعبدون الى آلهتهم بالتعاويذ والادعية والقيام ببعض الطقوس ، ويتم ذلك في البيوت أو في بعض الامكنة المقدسة مثل المغارات، وفي الاعياد الكبرى يقيمون الاحتفالات والالعاب البهلوانية ، واهم هذه الالعاب مصارعة الثيران والشطرنج حيث عثر في قصر (كنوسوس) على رقعة مربعة مقسمة الى مربعات مرصعة بالذهب ، وكانت الاحتفالات تتم في مسارح خاصة ذات مقاعد متدرجة منحوتة من الحجر.

الكتابة الكريتية:

استطاع العالم الانجليزي آرثر ايفانزEvans تحديد نوعين من الكتابة عثر عليها في كريت وفي المستعمرات الكريتية اعطاهما اسم : الكتابة التخطيطية (أ) Linear Script والكتابة التخطيطية(ب) Linear Scipt ويبدو ان النوعين يختلفان اختلافا كبيرا لان العلماء استطاعوا حل رموز المجموعة الاولى ، وقد احتوت المجموعة الثانية على (٩٠) رمزا، ويبدو ان الكتابة كانت شعبية في كريت بخلاف مصر، التي اقتصرت الكتابة فيها على طبقة الكهان، يدل على ذلك كثرة اللوحات المكتوبة التي عثر عليها سواء من النوع الاول (A) اما االنوع الثاني(B) فقد عثر على حوالي (٥٠٠٠) لوحة حتى الآن في اماكن عديدة داخل كريت وخارجها في اليونان وفنيقيا . وقد كان من نتيجة هذا القصور في حل رموز الكتابة الكريتية العجز عن الاحاطة بعلوم الكريتين وآدابهم بشكل مفصل فكل ما عرف هو وجود معارف طبية وفلكية وقانونية لديهم. وقد جاءت بعض الاشارات الى ذلك من اليونان حيث تشير الاخبار اليونانية الى ان (ليكورغوس) المشرع الاسبرطي و(صولون) المشرع الاثيني المشهور اتخذا من تشريعات كريت مصدرا وقدوة لهما .

حضارة طراودة

تشكل حضارة طراودة حلقة متوسطة بين حلقات الحضارة الايجبية التي كانت حضارة كريت الممثل الاكثر وضوحا لها، وبتدميرها انتهت فعليا هذة الحضارة ويعود الفضل في اكتشاف مدينة طراودة الى(شليمان) الالماني الذي كشف عن تسعة مدن فوق بعضها البعض ، مدينة طراودة التي ذكرها هرميروس هي التي تحمل رقم(٦).

الموقع والسكان:

تقع مدينة طراودة عند مدخل مضيق الدردنيل وتتحكم بالممرات البحرية التجارية، وتسيطر على الطريق المؤدية الى السهول المجاورة لشواطيء البحر الاسود الغنية بالحبوب وغيرها من المواد الزراعية التي يحتاجها سكان بلاد اليونان . تأسست مدينة طراودة رقم(٦) في القرن السادس عشر ق. م فوق انقاض المدن السابقة وعلى مقياس اوسع منها قصر الملك في وسطها على ربوة عالية، كان نظام الحكم في طراودة ملكياً حيث كان ملكها حين هاجمها الاخائيون هو بريام.

ويبدو لنا من المعلومات المتوفرة حول سلوك هذا الملك انه كان متعدد الزوجات ربما للاكثار من الابناء. وكان سكان طروادة لطفاء المعشر اقرب الى الفضيلة من الاخائيين . أما اصلهم فقد اختلف في تحديده حيث نسبهم البعض الى الفريجيين الذين أتوا من تراكيا في آسيا الصغرى بينما ينسبهم البعض الآخر الى كريت ويمكن القول بانهم خليط من مختلف الاقوام التي كانت تسكن منطقة بحر ايجه.

الحضارة:

تعتبر حضارة طروادة مزيجا من حضارة كريت وحضارة ميكيني مع عناصر حضارية ليدية وحثية ومؤثرات حضارية آسيوية أخرى ويمكن الاشارة الى حقيقة أساسية تميز هذه الحضارة وهي انها حضارة تجارية في طابعها العام فقد كانت تأتيها القوافل البرية والسفن البحرية من آسيا ومن البحر المتوسط وبحر ايجه حيث يتم فيها تبادل السلع والمنتجات وتتقاضى سلطات المدينة عنها ضرائب المكوس والضرائب الاخرى المفروضة على السلع ، فاغتنى سكانها واكتسبوا الثروات الكبيرة مما اثار عليها غيرة وحسد جيرانها الاخائيين

اليونان الذين شنوا عليها حربا ضروسا وفرضوا عليها الحصار لمدة عشر سنوات (١١٩٤-١١٨٤) ق.م سقطت بعدها المدينة فدمروها تدميرا تاما .

شكلت حضارة طراودة حلقة وصل ونقطة اتصال وامتزاج حضاري بين مختلف الحضارات المعاصرة لها (وهذا شأن المدن التجارية في كل العصور) ، فمزجت بين الحضارات المصرية والفينيقية ، والبابلية ، والآشورية، والحثيه ، ونقلت ذلك الى اليونان . وقد ساعد في ذلك ان الطراوديين كانوا يتكلمون اللغة اليونانية مما سهل على اليونان اخذ هذه الحضارة منها .

الفصل الثاني

- الظروف الطبيعية
- اشباه الجزر
- صفات شبه جزيرة اليونان
- اقليم بلاد اليونان
- ظروف الحياة المادية

القسم الاول

الفصل الثاني

بلاد اليونان

الظروف الطبيعية:

لم تكن بلاد الأغريق ، وهي المنطقة التي تعرف بشبه جزيرة اليونان ، الرقعة الوحيدة التي استقر فيها اجداد الأغريق الحاليين فحسب إنما سكنوا في جميع أرجاء شبه جزيرة البلقان وفي جميع جزر بحر ايجة وشواطيء آسيا الصغرى وشواطيء البحر الأسود وبصورة عامة فضلا عن استقرارهم في بعض اجزاء فرنسا واسبانيا ، وقد عبر الفيلسوف الأغريقي افلاطون عن ذلك بقوله " لقد انتشرنا ، نحن معشر اليونانيين ، على شواطيء البحر الأبيض المتوسط انتشار الضفادع على ضفاف الغدير " بيد أن ذلك لم يمنع إغريق المناطق الثانية من ان يرنوا بأبصارهم الى اغريق شبه جزيرة اليونان ويعتبرونهم الأصل الذي منه انحدروا.

لكن تعدد فروع الشعب الأغريقي الذي سكن في هذه الرقعة الكبيرةالتي تتألف على العموم من حوض البحر الابيض المتوسط لم يؤد الى وجود اختلاف بينّ في أنماط معيشتها وطرق تفكيرها وفي حضارتها انما كان يشدها الى بعضها اواصر وشيجة كصلة الدم واللغة والنظم والديانة .

ولم يكن تاريخ الاغريق في جوهره سوى تاريخ إحدى تلك الحضارات المزدهرة التي تمكنت في حقبة وجيزة أن تتبوأ مركز الصدارة بين الحضارات البشرية . ومما ساعدها على احتلال ذلك المركز السامي انها في مجال الفكر قامت على أساس حرية التفكير فظهر فيها عدد من العباقرة الأعلام في ميادين الأدب والفلسفة والتاريخ والفن.

ويظن لاول وهلة ان نظام بلاد الأغريق السياسي الذي لم تعرف هذه البلاد في ظله الخضوع لسلطة سياسية مركزية وقف حجر عثرة في طريق ازدهار حضارة الشعب الأغريقي، لانه لم يتح لهذا الشعب أن يؤلف دولة واحدة تبسط سلطانها على جميع المناطق المأهولة بالعناصر اليونانية واقتصر الأمر على قيام دويلات صغرى ، وكانت تدعى آنئذ بحكومات المدن، أو حكومات مستقلة ظهر التنافس بينها في مختلف ميادين الحضارة فكانت نتيجة هذه المنافسة السير بحضارة الأغريق قدما في معارج الرقي والازدهار لكنها أدت في الوقت نفسه،

-ولاسيما- فيما يتعلق بالنظام السياسي لبلاد الأغريق- الى تفكيك عرى وحدتها وتمزيق أوصالها مما أدى الى ضعفها وخضوعها الى امبراطوريتين كبيرتيين هما امبراطورية فيليب المكدوني و إبنه الأسكندر الاكبر وامبراطورية الرومان . لا جرم ان تفكك بلاد الأغريق وافتقارها الى الوحدة السياسية كان الى جانب أسباب أخرى نتيجة حتمية لبيئتها الجغرافية ولتضاريسها الجبلية ولأحاطة البحر بها إحاطةالسوار بالمعصم ، وقصارى القول إنه كان لجغرافية بلاد الأغريق اوضح الأثر في طباعهم وأنماط وطرز معيشتهم ونظامهم السياسي وتطوره عبر العصور. غير انه يجب الأمتناع عن المغالاة في مدى تأثير هذة العوامل الجغرافية ، لأنه من المبالغة ان تدعي ان الحضارة الأغريقية هي وليدة تلك العوامل فحسب، وهذا ما لاحظه الفيلسوف الألماني هيغل حيث قال أن الأتراك سكنوا بلاد اليونان عصورا طويلة دون ان يبدعوا شيئا يشبه حضارة اليونان » اضف الى ذلك إنه شتان بين سكان بلاد اليونان الحاليين وهم حفدة الأغريق القدماء ، واجدادهم القدامى . فيغلب على الظن ان الازدهار الحضاري يقترن بعوامل متعدده تعتبر العوامل الجغرافية واحدة منها . وعلى ذلك يمكن الادعاء بان تقدم حضارة الأغريق كان مرتبطا بظروف تاريخية خاصة كانت موجودة في مستهل تاريخ بلاد اليونان ولم تعد متوفرة لاحفاد اولئك الاغريق القدامى في الظروف الراهنه.

بيد انه مهما حاولنا التقليل من أهمية العوامل الجغرافية فلا مناص من الاعتراف انها اسهمت بنصيب وافر في تقدم وازدهار الحضارة الاغريقية وساعدت على نشأتها وتطورها وجعلها-تتكيف وواقع بلاد الاغريق.

ذكرنا ان حضارة الأغريق نشأت وازدهرت في أجواء طبيعية ساعدتها على الازدهار كما ساعدت قبلها حضارات اخرى كالمصرية والفنيقية ، اما هذه الأجواء أو البيئة الطبيعية، فهي حوض البحر الأبيض المتوسط الذي يعتبر بجزأيه الشرقي والغربي ملائما لنمو ورقي الحضارات . وقد اعتبر العلماء هذا الحوض من اكبر مناطق العالم ملاءمة لسكنى البشر . وكانت الهجرات البشرية بصورة مستمرة تسعى الى بلوغ موانيء هذا الحوض وتستوي في ذلك الهجرات التي أمت ربوع هذا الحوض من صحارى الجنوب المحرقة ام من الغابات الباردة الموجودة شمالا .

وقد كلأت الطبيعة حوض هذا البحر بعنايتها ورعايتها فخصته بميزات قلما شاركته فيها

بقعة اخرى من العالم، فمياهه هادئة وقل ان تهب عليها العواصف في معظم ايام السنة ، والأراضي التي تحيط به معطاءة خيرة سمحة كريمة وسماؤه صافية الأديم . وأهم ما يتصف به مناخ هذا الحوض اعتدال طقسه وصفاء جوه وانتظام تعاقب فصوله، حيث يهطل المطر شتاء، وتهب الرياح باعتدال في فصلي الربيع والخريف من كل عام ، فتنشط وتنعش الانسان.

ونظراً لعدم قسوة الظروف المناخية في هذا الحوض فبوسع الأنسان الذي يسكن فيه ان يعيش في الهواء الطلق ، طيلة معظم أيام السنة ، وذلك للدفء المنبعث من شمسه المشرقة التي لا تسبب في فصل الصيف انهاك اعصاب الانسان وشل حركته .

ولا تتمتع تربة الارض الزراعية في المناطق المجاورة للشواطىء في هذا الحوض بخصب سهول احواض الانهار الكبرى كالغانج والسند (أو نهر الهندوس) ودجلة والفرات والنيل ، هذا فضلا عن استمرار فصل الجفاف في هذا الحوض حقبة اطول من المعتاد، مما يضطر المزارعين الى ان ينقطعوا عن العمل . ونظراً لقلة السهول وخاصة في بلاد الأغريق فانها لاتنتج كفايتها من الحبوب فاولى اليونانيون زراعتي الكرمة والزيتون عنايتهم حيث واتتهما التضاريس التي تكثر فيها المنحدرات « المدرجات أو المصاطب» .

ومن الصفات العامه لشواطىء حوض البحر الأبيض المتوسط، وجود سهول ساحلية ضيقة، تكاد تكون أشرطة ساحلية تتصل بها جبال شاهقة أو صحاري تعزل هذا الحوض عما جاورها من البلدان . وتبعا لذلك نلاحظ وجود عدد من السلاسل الجبلية تفصل هذا الحوض عن المناطق الموجودة شماله . وهي جبال البرانس (أو البرنس) وجبال الالب ودلماسيا والبلقان، بينهما تحمي هضبة ارمينيا وجبال طوروس وجبال لبنان وبادية الشام شواطئه الشرقية . وتعزل الصحراء الكبرى القسم العربي من الحوض عن القارة الأفريقية، وعلى الرغم من وجود هذه الجبال والصحارى ، فان هذا الحوض لم يكن أبدا منطقة معزولة ، انما قصدت ربوعه جموع غفيرة من الهجرات البشرية تمكنت من الوصول اليها ، بواسطة الممرات والشعاب والفجاج الموجودة بين تلك السلاسل الجبلية الآنفة الذكر ، والاستقرار فيها .

كم اعتبر البحر الابيض المتوسط بحيرة يونانية داخلية ، وقد دعاه العرب المسلمون بحر الروم ، ونظرا لوفرة الخلجان والرؤوس على سواحله ، ولكثرة الجزر في مياهه فقد امكن التنقل بسهولة بين مختلف أجزائه بفعل الرياح المنتظمة التي كان الفضل يعود اليها في تحريك

أشرعة السفن ودفعها . وساعدت هذه الظروف المواتية سكان موانئ هذا البحر فغدوا ملاحين مهرة وأدى ذلك كله الى تقدم الملاحة في هذا البحر سبقت في ظهورها وازدهارها الملاحة في أي بحر ثان .

ولا مندوحة لسكان حوض هذا البحر من السعي والجد لتأمين سبل العيش ، وكان هؤلاء تبعا لذلك اما ملاحين أو تجارا أو صناعا الى جانب اتخاذ فئة من السكان الزراعة حرفة لهم . لكن النشاط الضروري لتأمين المعيشة لم يكن يستغرق جميع اوقات الأفراد ، الذين كانوا يجدون متسعا من الوقت للتمتع بجمال الطبيعة الآسر الأخاذ، والتفكير في هذا الكون . وهكذا تأمنت لبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط جميع الشروط الضرورية لقيام وازدهار الحضارات بنسبة اكثر من اي مكان آخر من العالم .

أشباه الجزر الاوروبية الموجودة في البحر الابيض المتوسط:

نلاحظ وجود ثلاث أشباه جزر في مناطق اوروبا الجنوبية المطلة على هذا البحر ، وهي : شبه جزيرة ايبريا (اسبانيا والبرتغال) غربا ، وشبه جزيرة ايطاليا في الوسط ، وهي التي تعتبر بمثابة حد فاصل بين الحوضين الشرقي والغربي لهذا البحر ، واخيرا شبه جزيرة البلقان في الشرق . وقد اعتبرت ثلاثتها بمثابة قناطر أو معابر للوصل بين ثلاث قارات العالم القديم ، او بالاحرى لتصل اوروبا بكل من افريقية وآسيا . واهم ما يميز تضاريس أشباه الجزر الثلاثة هذه أنها جبلية، وان يكن ثمة خلاف بين تكوين جبال اسبانيا وايطاليا من جهة وجبال شبه جزيرة البلقان من جهة اخرى .

فنلاحظ بالنسبة لجبال اسبانيا، وجود حاجز جبلي هو جبال البرنس (أو البيرنه)، يعزل هذه الاصقاع عن بقية اجزاء اوروبا . وقد تفرعت عن سلسلة جبال البرنس سلاسل اخرى فرعية تمتد بصورة متوازية وتفصل بينها السهول ، كما تتصف هذه الجبال بوضوح تقاسيمها وانتظام هيكلها ، مؤلفة من سلسلة جبال الأبنين التي تتجه من الشمال الى الجنوب والتي تعتبر بمثابة العمود الفقري لايطاليا .

لكننا لا نلاحظ بالنسبة لشبه جزيرة البلقان وجود حاجز جبلي واضح المعالم ، يفصل بين أجزائها الشمالية وبين المناطق المتاخمة في اوروبا القارية . ان جبال البلقان متناثرة مضطربة

ليس من تنافس أو انتظام بينها .فنلاحظ **أولا** ان وجود سلاسل جبلية في الشمال لها اتجاه شمالي جنوبي ، لكنها تعترضها سلاسل جبلية اخرى متجه من الشرق الى الغرب . ونتج عن الأصطدام الجيولوجي بين السلاسل الشمالية الجنوبية والشرقية الغربية تشكل العديد من التموجات والعقد والانكسارات، كما كثرت الانهدامات وازدادت الانخفاضات في وفرة العدد في العمق ، وأدى كل ذلك الى ان شبه جزيرة البلقان غدت مجزأة الى عدد لا حصر له من المناطق التي انعزل بعضها عن بعض حيث استقر في كل منها عنصر غريب عن جيرانه ، لا بل فكثير ما ناصبهم العداء . ونتيجة هذا الانعزال اضحت العناصر التي سكنت هذه المناطق ضنينة باستقلالها ،مستعدة للذود عن حياضها ومسترخصة كل غال ونفيس في سبيل الحفاظ على ذلك الكيان السياسي القائم على التجزئة ، مما ذكر اعتبر العلماء وما زالوا يعتبرون بلاد الأغريق مأهولة بعناصر متنافرة في العرق واللغات والأديان ولذا قامت العقبات في وجه الامبراطوريات التي اخضعت بلاد الاغريق لسلطتها ، وهي المكدونية والرومانية والبيزنطية ، واخيرا العثمانية ، تلك الامبراطوريات التي لم تألُ جهدا في سبيل توحيد بلاد الأغريق على الصعيد السياسي لكنها بأت بالفشل ولم يرضخ الاغريق الا للقوة ، فاذا وهنت القوة عادوا لنظامهم السياسي المفضل القائم على التجزئة وتفكك الأوصال .

شبه جزيرة اليونان :

هي بمثابة لسان من اليابسة ممتد في بحر ايجة احد فروع البحر الأبيض المتوسط وتعتبر هذه البلاد امتداد جنوبيا لشبه جزيرة البلقان من حيث المساحة . وتتصل بلاد اليونان بصلب قارة اوروبا بسلسلة جبال هي امتداد لجبال الالب الدينارية ، وتكثر تفرعات هذه السلسلة داخل بلاد اليونان . وأول مناطق الأغريق في الشمال هي مقاطعة تساليا . ولم يعتبر قدماء الاغريق مقاطعتي تراقيا ومكدونيا الواقعتين شمالي تساليا داخل بلاد اليونان ، اضف الى ذلك انهم لم يجمعوا على اعتبار مقاطعة ابيروس نفسها (وهي كذلك في الشمال) داخل رقعة بلادهم وان يكمن القول الفصل في ذلك انها ضمن بلادهم ، واقصى امتداد جنوبي لبلاد اليونان هو شبه جزيرة البيلونيز التي تقوم فيها مدينة اسبرطة .

وشبه جزيرة اليونان صغيرة المساحة يبلغ طولها ٤٠٠ كم، وعرضها ٣٠٠ كم، لكنها تحتل

مركزا ممتازا يؤهلها لان تتوسط ثلاث قارات العالم القديم ، مما جعلها غير بعيدة عن المناطق التي ازدهرت فيها حضارات الشرق القديمة . ثم فان هذا الموقع المتوسط يجعلها تتأثر بيسر وسهولة بالمؤثرات الخارجية ، اضف الى ذلك ان موقعها يغريها بالاتصال بالمناطق المجاورة العريقة في حضاراتها كمصر وسواحل سورية وآسيا الصغرى وان تقتبس الشيء الكثير من تلك الحضارات الشرقية وان تؤثر فيها بعد ذلك . لقد ركب الأغريق البحر منذ فجر تاريخهم ، وكان بحر ايجة بجزره الوفيرة العدد وشواطئه في آسيا الصغرى منطقة متممة لبلاد الاغريق القارية . وعلى ذلك فدراسة بلاد الاغريق تتطلب دراسة بلاد الاغريق القارية أو الاصلية ، وهي التي تتألف من شبه جزيرة اليونان ، ودراسة جزر بحر ايجة ، ولا سيما جزيرة كريت ، عروس جزر هذا البحر ، وشواطىء آسيا الصغرى. فما هي الصفات البارزة التي خصت بها الطبيعة هذه المناطق الثلاث ؟ انه لمن الممكن ان نجملها في صفات ثلاث :

١- انها بلاد بحرية .

٢- هي بلاد جبلية.

٣- تتمتع باقليم ممتاز.

وسنقوم الآن بدراسة كل من هذه الصفات .

١- بلاد بحرية : تتصل بلاد اليونان بالبحر الأبيض المتوسط بواسطة أحد فروع هذا الاخير، وهو بحر ايجه الذي يعتبر بمثابة بحيرة داخل حوض البحر الابيض المتوسط . وقد ذكرنا آنفا ان هذا البحر اعتبر بحيرة كبيرة اعدتها الطبيعة ليتم بواسطتها الاتصال بين مختلف البلاد الواقعة على سواحله ، كما ساعد المركز المتوسط الذي يتمتع به هذا البحر على تامين وتسهيل المبادلات التجارية بين مختلف سواحله ، وساعد كذلك على انتشار الحضارات وتأمين التمازج الثقافي بين مختلف الحضارات التي كانت سواحله والبلاد القريبة منها مسرحا لها . وكانت حركة الملاحة النشيطة فيه كفيلة بوقوف الافراد على المنجزات الحضارية التي تمت في احد اجزائه ونقلها الى بلادهم أو نقلها عن اصحابها .

ويتميز بحر ايجة بتداخله في اليابسة، فتكثر خلجانه العميقة على سواحل بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، كما اشتهر هذا البحر بكثرة رؤوسه واشباه جزره وجزره الوفيرة العدد

المتناثرة في جميع انحائه والتي يربو عددها على الخمسمائة . ونجد في الجزء الشمالي الشرقي من حوض البحر الابيض المتوسط مضيق الدردنيل والبسفور اللذين كانا اداة اتصال بين قارتي آسيا واوربا عوضا من ان يكون حاجزا للفصل بينهما . ومما تجدر الاشارة اليه كثرة الرؤوس واشباه الجزر على ساحلي كل من آسيا الصغرى وشبه جزيرة اليونان ، وتقع هذة الرؤوس وأشباه الجزربصورة متقابلة،مما يقرب المسافة بين القارتين الآنفتي الذكر ويوضح الصلة الجيولوجية بينهما قبل حدوث الانهدام . وثمة ايضا مجموعات من الجزر هي الدليل على الصلة بين هاتين القارتين وتقع تلك الجزر الواحدة بجوار الاخرى حتى لكأنها قنطرة ، تمكن من الانتقال من قارة لاخرى

اما مجموعات الجزر هذه فهي:

١- المجموعة الشمالية وتضم جزر : تاوسوس وساموتراس وليمنوس وامبروس وتينيدوس وهذه المجموعة أو الجزر تمتد بين طروادة على ساحل آسيا الصغرى وشبه جزيرة خليكيديكه.

٢-المجموعة الثانية وتتألف من اربع جزر سيكروس وبسيرا ولسبو س وخيوس.

٣ المجموعة الثالثة وتضم خمس جزر هي : آندروس وتينوس وميكونوس وايقاريا وساموس .

٤- المجموعة الرابعة وتشمل تسع جزر هي : كيوس وكيتنوس وسيريفوس وسيفونوس وباروس وناكسوس وأمورغوس وآستيبالي وكوس .

٥- المجموعة الخامسة وفيها جزر سيتيرا وكريت وكارباتوس وردوس .

وتعتبر جزيرة كريت واسطة عقد هذه الجزر فهي اكبرها واهمها فهي فضلا عن كونها قنطرة تصل مابين آسيا الصغرى وشبه جزيرة اليونان فانها بمثابة محطة على طريق الملاحة مابين مصر وسواحل سورية والعالم اليوناني وذلك منذ زمن سحيق . فهذا كله من شأنه ان يجعل بحرايجة عقدة مواصلات هامة تسهم في وصل ثلاث قارات العالم القديم وتؤدي كثرة الجزر في بحر ايجة إلى ظاهرة جديرة بالانتباه وهي ان البر أواليابسة لا يغيب عن ناظرى الملاحين فيه . فبوسعك ان ترى من رأس ماليا Maleeجنوبي البليبونيز جبال جزيرة كريت وترى من شرقي هذه الاخيرة جبال رودوس سواحل آسيا الصغرى .

ولاتبتعد جزر بحر ايجة عن بعضها كثيرا ففي مدة ساعة أو اثنين بوسعك الانتقال من

احداها الى الاخرى. وكان صيادو الاسماك يأوون اول الامر الى هذة الجزر ثم اتخذها القراصنة ملاجيء يعتصمون فيها لسهولة الدفاع عنها كما راقبوا منها حركة الملاحة والطرق البحرية . ومع ان تلك الجزر ذات صخور جرداء لاتجود فيها النباتات فانها استهوت افئدة الناس فاقاموا فيها لما خصت به من اعتدال في الجو والاقليم ورطوبة في الطقس ووفرة في الاشجار المثمرة ولاسيما الكرمة والتين (كجميع مناطق حوض البحر الابيض المتوسط) هذا ناهيك عن غنى سواحلها بالاسماك . كما حبت الطبيعة بعض هذة الجزر ثروة معدنية والحجارة الكريمة كالذهب في جزيرة سيفنوس واجود انواع المرمر في كل من تاكسوس وباروس ، والعقيق في ميلوس . اضف الى ذلك وجود الفخار الممتاز الضروري لصناعة الاواني الخزفية في جميع هذه الجزر .

تتمتع جميع جزر بحر ايجة بمناظر خلابة آسرة أخاذة مما يبرر كلف الاغريق ببلادهم ذات الجمال الطبيعي الرائع فغدوا شديدي التعلق بها وشاركوا حكيمهم سقراط رايه بصددها ذلك الفيلسوف الذي اعتبر ان النفي بعيدا عن هذه الجزر هو اصعب على الاغريقي من الموت. وتتميز جزر وروؤس وخلجان بحر ايجة بشكل خاص تنفرد به من دون اخواتها فكانت تساعد ملآحي الاغريق على معرفة الطريق لاسيما ولم تكن البوصلة قد اكتشفت بعد .
وسّهل الملاحة في بحر ايجة وجود تيارات مائية دائمة في امواهه فثمة واحد منها يظهر في وسط ذلك البحر ويتجه من الشمال الى الجنوب ، وثمة كذلك تيارات اخرى تعارض الاول وتعاكسه وتيسر دفع السفن في غدوها ورواحها (الى جانب الاشرعة).

اضف الى ذلك كله ان هبوب الرياح على البحر الابيض المتوسط منتظم . وقد عرف الملاحون منذ فترة عريقة في القدم نظامها الثابت فاستفادوا منة لتعيين مواقيت رحلاتهم وتحديد اتجاهاتهم.فجميع هذة العوامل اهلت الاغريق لركوب البحر فحذقوا هذة المهنة وغدوا ملاحين مهرة.

هابت القبائل القديمة التي هاجرت من مواطنها الاصلية الى شبه جزيرة اليونان البحر وركوبه وملأته في مخيلتها بالمخلوقات العجيبة والحيوانات الضخمة المتوحشة ثم ما لبثت هذه القبائل ان الفت البحر وركوبه وبين عشية وضحاها صار اليونانيون من اجرأ الملاحين في العالم ومن اساتذة الملاحة بالنسبة للشعوب القديمة . وما اضطرهم الى ركوب البحر والتغلب

على خوفهم ووجلهم من ان رقعة بلدهم صغيرة وهي فقيرة بمواردها فبدلا من ان يعيشوا في فقر مدقع ركبوا البحر منتشرين على سواحله . وغدا الاغريق في بادىء الامر صيادين للسمك ثم مارسوا الملاحة بمحاذاة السواحل ولما اتقنوها مارسوا الملاحة في عرض البحار واخذوا يتجولون في طول حوض البحر الابيض المتوسط وعرضه واتقنوا صناعة السفن مظهرين تفوقا ملحوظا في هذا المضمار على اساتذتهم من المصريين والفينيقيين . ومن مظاهر هذا التفوق انهم صنعوا سفنا تجارية وحربية كبرى مزودة بثلاث صفوف من المجاذيف وتسير بقوة سواعد ١٥٠ من المجدّفين، هذا فضلاً عن ان السفن نفسها مزودة باشرعة كبيرة تحركها الرياح .

الف الاغريق البحر وتعلقوا بركوبه منذ فجر تاريخهم وصار البحر بمثابة البيئة الطبيعية الملائمة لامزجتهم ، ولم يعد بوسع اي اغريقي العيش دون ان يرى البحر فهو دائم الحنين الى ركوبه .

اسهم بحر ايجة في تعرف الاغريق الى بعضهم بعضا فتم بذلك التقارب بينهم . واخذوا يشعرون بالوحدة الاغريقية القومية وتآزروا وتساندوا للسيطرة في المجالين الاقتصادي والثقافي على جميع اقاليم حوض البحر الابيض المتوسط حيث كانوا يؤمون قبرص بحثا عن المعادن ، كما قصدوا موانيء المشرق للحصول على العطور ، هذا الى جانب وصولهم الى مصر وبرقة للحصول على كثير من السلع ، وقد يسر مضيقا الدردنيل والبوسفور الوصول الى البحر الاسود حيث كانوا يشترون الحبوب من مناطق « السكيث» .

وقد مكنتهم رحلاتهم البحرية في حوض الابيض المتوسط وفروعه من تصدير حضارتهم التي شملت جميع اجزائه .

٢- **بلاد جبلية** : تحتل جبال بلاد الاغريق مركزا هاما بالنسبة لجغرافية هذه البلاد وهي تصنف عادة بين البلاد الجبلية حيث ان نسبة الجبال فيها تصل الى ٨٠٪ من مساحة بلاد اليونان اي ان نسبة الجبال في اليونان اكثر منها في سويسره نفسها ، ومع ان جبال سويسرة اكثر مما هي عليه الحال بالنسبة لجبال اليونان . وعلى الرغم من ان جبال سويسرة قسمت اراضيها الى مناطق تتمتع بالاستقلال فلا نلاحظ ان هذه المناطق ينعزل بعضها عن بعض بل على العكس من ذلك ربطت الطبيعة فيما بينها وجعلتها كلها متساندة متعاونه من اجل

الدفاع المشترك على عكس ما يلاحظ بالنسبة لمناطق بلاد الاغريق التي ادت وفرة جبالها، ولايزيد ارتفاعها اطلاقا على ثلاثة آلاف متر ، الى وجود مناطق منعزلة لا سبيل الى احلال الوحدة بينها الا لمجابهة العدو المشترك الذي تعرضت بلاد الاغريق الى غزوه . اضف الى ذلك ان الانهدامات والانخفاضات الشديدة جعلت من جبال بلاد الاغريق حواجز قوية منيعة وعلى الغالب ليس بوسع الانسان اجتيازها علما ان ارتفاعها لا يتجاوز ابدا ٣٠٠٠م .

وتكثر الجبال في بلاد الاغريق وهي ذات اشكال يتداخل بعضها وتزداد الانكسارات والانهدامات ، وتختلط فيها المرتفعات بالانخفاضات . ومع ذلك فهناك اربع سلاسل رئيسة :

١- سلسلة جبال بلورية ممتدة على شكل قوس في تراقيا ومكدونية وشاملة شبه جزيرة خالكيديكة وشرقي تساليا ، وفيها اعلى جبال اليونان وهو جبل اولمب الذي يبلغ ارتفاعه ٢٩٨٥متر .

٢- سلسلة جبال البندوي الممتدة من الشمال الى الجنوب بين كل من تساليا وابيروس وهي مؤلفة من طبقات كلسية .

٣- كتلة صخور حوارية تلاحظ بين جنوب تساليا ومناطق اليونان الوسطى شاملة جزيرة اوبويا. واهم جبال هذة الكتلة أوالسلسلة ثلاث جبال : اوتريس ١٧٣٨م واوتا ٢١٥٢ م وبارناس ٢٤٥٩م.

٤- سلسلة كبيرة في الجنوب تبدا شمالي البيلوبونيز كهضاب ثم يتشعب منها ثلاثة شرايين . واعلى جبال هذه السلسلة تايغيتيوس ٢٤٠٩م . وتختفي جبال هذه السلسلة تحت مياه البحر لتعود الى الظهور مجددا في كريت وتكون نهاية جبال هذه السلسلة في آ سيا الصغرى .

وقد نتج عن تعاقب حوادث الانهدام والانكسار على هذه الجبال :

١- انفصال الكثير من الجزر عن ارض بلاد الاغريق كثلاث جزر كورسيرا (وهي المعروفة حاليا بكورفو) وكيفالينا وراكينتوس (اسمها الحالي زانتة) في الغرب تحت جزيرة اوبويا وجزر السيكلاد في الشرق .

٢- وصول البحر الى داخل البر في شتى انحاء البلاد مشكلاً خلجاناً عميقة وكثيرة العدد. وتتضح هذه الظاهرة بصورة خاصة في خليجي سالونيك وكورنتا وهما يقسمان بلاد اليونان الى قسمين مستقلين تماما وتكون قطعة الارض الصخرية بينهما بمثابة حاجز للفصل

اكثر من كونها اداة وصل . وهذا ماحمل الاغريق القدامى على اطلاق لقب جزيرة بيلوبس على الجزء الجنوبي من بلاد اليونان وذلك لان الانتقال من بلاد الاغريق الوسطى الى شبه جزيرة البلبيونيز في الجنوب كان يتم بواسطة البحر وبواسطة الزوارق في خليجي كورنثا وسالونيك ، لاسيما وان عرض خليج كورنثا لا يزيد في بعض اقسامه على الكيلومترين ، اضف الى ذلك امكانية الانتقال من احد ذينك الخلجيين الى الاخر من جراء انخفاض برزخ كونثا الذي لا يتجاوز طوله ستة كيلومترات وهذا ما حمل قدماء الاغريق على اختراع طريقة تمكن من جر السفن فوق هذا البرزخ .

٣- ادت حوادث الانهدام والانكسار الى تقسيم البلاد الى عدد كبير من المستطيلات ضمت الكثير من السهول والوديان، ونظرا لضيق المستطيلات من الارض فانه لا يمكنها ان تستوعب عدداً كبيراً من الافراد يشكلون دولة واحدة . وهذة المستطيلات معزولة عن بعضها بعضا بجبال عالية جعلت منها مناطق مفصولة بصورة تامة عن جاراتها مما كانت نتيجته الحتمية ظهور نظام الدويلات المستقلة المتمتعة بالسيادة وترجيح الاغريق (سكان تلك المستطيلات) له على نظام الحكم المركزي . وهذه المناطق السهلة الصغيرة – وهي نفس المستطيلات- صغيرة المساحة ففيما عدا سهل تساليا فانه ليس فيها سهل يزيد طوله على ٢٠ وعرضه على ١٢ كم. كمايلاحظ ان غالبية الوديان والسهول هي بمثابة خنادق ضيقة تنحدر منها السيول كما تجري فيها بعض الأنهار الصغيرة. وأهم المقاطعات اليونانية واهم سهولها هي :

تساليا في الشمال وهي ارض منخفضة تكتنفها الجبال من جميع جهاتها فتجعلها شبه مغلقة لأنها لا تتصل بالبحر الا من جانبها الشرقي (خليج باغازية Pagases). وتساليا أشد بلاد اليونان برودة تجود فيها زراعة الحبوب وفيها الخيول. وتحتل هذه المنطقة مركزاً حساساً وخطراً جداً بالنسبة لمناطق بلاد اليونان الوسطى حيث تقوم على الطريق ما بين مكدونيا وبلاد الاغريق الوسطى. ولا مناص للغزاة الذين يقصدون جنوبي اليونان من الشمال من سلوك طريقها بعد اخضاعها فهي بمثابة ساحة القتال الامامية.

ابيروس: وتقع هذه المقاطعة غربي تساليا ومعنى اسمها كما يذكر هوميروس: الارض الصلبة. وتتألف هذه المقاطعة من هضاب جدباء كما ان فيها بعض الوديان الخصبة وكان فيها

قديماً بعض الغابات وتتشكل جنوبي شرقي هذه المقاطعة المستنقعات وفيها ايضاً سهول وفيرة الخصب.

آتيكا: ويحيط بها من الشمال جبال تعزلها عن المناطق المجاورة في الداخل لتتجه بكليتها الى البحر. وتتميز هذه المقاطعة عن باقي مقاطعات الأغريق بثلاث ميزات هي:

١- طول سواحلها المطلة على بحر ايجة.

٢- وكبر مساحة سهلها نسبياً.

٣- وازدهار زراعة الزيتون فيها ووفرة اشجاره. هذا فضلاً عن جودة مناخها فهو أحسن من مناخ جميع مناطق الأغريق.

ونلاظ بالنسبة للاجزاء الغربية من مناطق بلاد الاغريق الوسطى ان سهولها صغيرة المساحة حيث انه في كل من مقاطعات :اكارنانيا Acarnanie ، وايتوليا Etolie ولوكريس Locres ,بمثابة خنادق ضيقة محفورة بين الجبال ومعزول بعضها عن بعض وليس من منفذ لها الى البحر سوى وادي نهر اخيلوس Acheloss.

اما بالنسبة لشبة جزيرة البليبونيز وتقع اقصى جنوب بلاد اليونان فتتوسطها هضاب تحيط بها جبال شديدة الانحدار ووعرة تقف عقبة كأداء تحول دون اتصال اجزاء هذه المنطقة ببعضها بعضا. ان اراضي هذه المنطقة الوسطي تكثر فيها المراعي وهي منيعة بمثابة ملاجئ حصينة ، وتحيط السهول الساحلية بهذه الهضاب وتؤلف السهول هذه كلا من مناطق آخايا Achaieشمالا واليد Elide ومسينا Messenieغربا ولاكونيا Laconie جنوبا وأرغوليد Argolide شرقا . ويتم اتصال هذه المقاطعات بالعالم الخارجي بواسطة البحر بسهولة بيد انها مع ذلك منعزلة بعضها عن بعض .

والجزر المحيطة ببلاد اليونان هي ايضا جبلية ومجزأة . كما وان شواطئ آسيا الصغرى، التي اعتبرت دائما جزءا متمما للعالم الاغريقي ، فان تضاريسها شبيهة تماما بتضاريس بلاد اليونان مع ملاحظة ان جبال هذه الشواطيء اقل ارتفاعا وسهولها اكبر مساحة واوفر خصباً لكنها تشترك مع نظيراتها في شبه جزيرة اليونان من حيث انها معزولة بعضها عن بعض ، مما يجعل الاتصال فيما بينها صعبا ، كما وان مياه البحر تنفذ على سواحل آسيا الصغرى في البر مشكلة كثيرا من الخلجان العميقة مما كانت نتيجته المباشرة اتجاه المقاطعات التالية :

فريجيا Prygie وليديا Lydieوكاريا Carie وليكيا Lycie وميزيا Mysie ، الى البحر لتجعل منه وسيلة اتصالها بالعالم الخارجي .

وهكذا فنحن نرى ان الطبيعة نفسها هي التي مزقت بلاد الاغريق وفككت اوصالها جاعلة منها مناطق صغيرة منعزلة . وتبعا لصغر مساحة كل من هذه المناطق فلا يمكن ان تستوعب سوى عدد محدود من السكان . وعلى حين رأينا السهول الفسيحة الرحبة في اودية دجلة والفرات والنيل قد ساعدت منذ فجر تاريخها على ان تقوم فيها دول كبرى موحدة فان تضاريس بلاد اليونان كانت المسؤلة الاولى عن بقاء بلاد الاغريق مفككة الاوصال مما نمى الروح الانفصالية والاقليمية والنزعة الاستقلالية الفردية ودفع الى تأسيس دويلات أي دول صغرى ذات سيادة دعيت بحكومات المدن . وتبعا لذلك لا تضم رقعة دولة اغريقية ما سوى بقعة تنتشر فيها بعض الحقول وبجانبها غابة صغيرة ومرعى صغير وميناء يؤمن الاتصال بالعالم الخارجي ، فهذه العناصر تتألف منها في العادة احدى الدويلات او حكومات المدن City - states . ولا يتجاوز عدد السكان في هذه المدن ، اي الدويلات في العادة عشرة الاف نسمة يقطنون في مدينتهم المزودة بسوق ومعبد وساحة عامة . والملاحظ ان اي فرد مواطن في هذه الدول بوسعه اذا ما تسلق الجبل المشرف على مدينة ان يرى حدود مدينته وهي دولته ووطنه في نفس الوقت. وهكذا فالمواطن في بلاد الاغريق اما اثينيا او اسبرطيا او ميغاريا او كورنثيا والخ .. وليس مواطنا اغريقيا . ويعتبر المواطن في دويلة ما سكان الدويلات المجاورة لمدينته اجانب عنه . بينما يشعر ان ثمة رباطا وثيقا واصرة وشيجة تربطه بباقي المواطنين في دولته ، وذلك الرباط هو صلة الرحم والدم . ومع ان النقاش والمجادلة وحتى العداء والشحناء لا تنقطع بين مواطني الدويلة الواحدة فان لدى جميع المواطنين رغبة اكيدة في الاسهام في رفعة وازدهار دولتهم كما يحرصون على ان تكون مدينتهم اجمل واكبر واكثر عمرانا واشد ازدهارا من باقي جاراتها .

وصفوة القول ان جبال بلاد اليونان كانت عقبة كأداء وقفت في سبيل توحيد دويلات الاغريق في ظل دولة كبرى اي كانت الصخرة الصماء التي تكسرت عليها جميع النوايا الطيبة الرامية الى توحيد بلاد اليونان في ظل دولة قومية كبرى . ويناصب الاغريق من سكان تلك الدويلات بعضهم بعضا العداء ولا يتناسون خصوماتهم واحقادهم الا اذا داهم بلاد الاغريق

كلها غاز اجنبي فتجدهم يقبلون طواعية على الوحدة متناسين نظامهم السياسي المفضل .
وهذا ما لوحظ بوضوح ابان الغزو الفارسي لبلاد اليونان في مطلع القرن الخامس ق .م حيث اتحد الاغريق لصد جحافل الفرس عن ربوع بلادهم لكنهم لم يتفقوا ويوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم الا بعد لأي حيث قاوم فكرة توحيد الصف وجمع الكلمة زعماء اغريق مرموقون لانهم كانوا متأثرين بنزعتهم الانفصالية واقليميتهم الضيقة .

ولئن ادت الجبال الى المباعدة والجفاء بين سكان المدن المتجاورة من الاغريق ونمت شعورهم الاقليمي الضيق وجعلتهم ضنينين بحريتهم ولا يريدون التنازل عن كيان مدينتهم كدويلة ذات سيادة فقد كان البحر على العكس من ذلك اداة للتفاهم والانسجام والتقارب بين مختلف بقاع الاغريق مما كانت نتيجته المباشرة الاكيدة خلق اجواء مواتية لقيام حضارة يونانية عامة مشتركة .

وتبعا لذلك فان اهم ما ميز هذه الحضارة انها نتاج جهود كثيرة متكاتفة متساندة بذلتها عناصر متعددة مستقلة عن بعضها . ومما يسترعي الانتباه ان مجهود الفرد ونصيبه في هذه الحضارة لم يكن ينتظر له ان يؤدي الى خلق وابداع حضارة عامة مشتركة وذلك لان ذلك المجهود الفردي او الاقليمي كان ينشد تنمية الشخصية المحلية الذاتية سواء للاقليم ام للمواطن في هذا الاقليم وعلى الرغم من ذلك فقد ابدعت تلك الجهود الفردية حضارة تعتبر من اعظم الحضارات البشرية التي توفر لها الانسجام .

وتضم كل من دويلات الاغريق منطقة جبلية واخرى سهلية وثالثة ساحلية ولسكان كل من هذه المناطق الثلاث انماط في التفكير وطراز في المعيشة خاص بهم . فيعيش في السهول افراد طبقة ملاك الاراضي ويعيش في كنفهم المزارعون الذين يعملون في حقولهم بينما يأوى الرعاة والمشتغلون بتهيئة الفحم وعمال المناجم ومالكو الكروم الى الجبال اما سكان المنطقة الساحلية فهم ربابنة السفن ومالكوها وملاحوها وصيادو الاسماك والعمال والتجار . ولكل من هذه الفئات الثلاث من السكان طبقتها الاجتماعية الخاصة ، وتتباين مصالح افراد كل فئة مع مصالح افراد الفئتين الاخريين ولا سيما في مجالي الحياتين السياسية والاقتصادية . وكانت الخصومات بين افراد الطبقات السابقة تبقى مستعرة ، وهذا ما لوحظ خاصة في اثينا حيث انضم افراد كل طبقة اجتماعية الى احزاب سياسة مختلفة ، وسيكون مشرعوا الاغريق جد

حريصين على تأمين وضبط التوازن بين افراد هذه الطبقات الثلاث وايجاد نظام دستوري عام يضمن لكل مواطن ايا كانت فئته حقوقه ويؤمن له ولنظرائه رفاهية العيش والحرية. وقد ادى هذا بدوره الى حمل حكماء الاغريق على البحث عن المثل الاعلى للمدينة الفاضلة .

٢-اقليم بلاد اليونان :يسود بلاد اليونان القارية وجزر بحر ايجة اقليم البحر الابيض المتوسط ، وابرز صفاته اعتدال الطقس شتاء والجفاف صيفا ، كما يلاحظ في هذا الاقليم ان الجو صاف والنور مشع في كل فصول السنة . تتجمع الغيوم في الخريف وتتكاثف ممهدة بحلول فصل الشتاء ، كما تثور بعض العواصف الخفيفة ولا يتجاوز الشتاء ثلاثة اشهر وهو مطير لكنه ليس قارس البرد ، ونادرا ما تتجمد المياه في هذه المناطق . ولا يطول الربيع في اليونان بينما الصيف طويل . وتخفف الرياح الهابة من البحر من قيظ الحر صيفا فيميل الطقس الى الاعتدال ويكون لطيفا . ومما تجدر ملاحظته ان انتظام تعاقب الفصول في حوض بحر ايجة يبعث النشاط في الاجسام ويزيد في فعاليتها وينعشها وهذا ما لاحظه العلماء قديما وحديثا ، فلقد تحدث ابقراط قديما عن ذلك الاقليم بقوله : « يعتبر اقليم بحر ايجة مثلا اعلى في الاعتدال والطف ، واليه يعود الفضل في قوة الاغريق وشجاعتهم وتعشقهم للحرية » .

بينما ذكر " تين " بصدد الموضوع نفسه ما نصه :« ان شعبا يعيش في مثل هذا الاقليم يتطور بصورة اسرع من غيره ويكون اكثر انسجاما ، فليس ثمة حر قائظ ينهك الانسان ويخنقه ، كما انه ليس من اثر لقارس البرد الذي يعيق الجسم عن الحركة ويشله . فالانسان في ظل هذا الاقليم غير مضطر الى الخلود الى السكينة والاستسلام الى الاحلام ، كما وانه ليس مضطرا الى العمل المستمر والتمرين المتواصل .فاعتدال المناخ ولطافة الجو وجمال الطبيعة كل ذلك يساعد في بلاد الاغريق على اذكاء النشاط في النفس البشرية دون اخلال بالتوازن ، هذا فضلا عن انه يقود الفكر الموهوب الجوال الى التأمل والعمل معا .

ومما تجدر الاشارة اليه ان للبيئة الطبيعية في بلاد اليونان اثر في تنمية الذوق الفني عند الافراد ، فصفاء الجو وبهاء المناظر الطبيعية وروعتها وتنوعها لها اثر في نفسية الانسان وعواطفه وذوقه ونظرته الى الكون . تزداد السماء زرقة والشمس تلألأً وبريقا في كل من الربيع والخريف ويكون صافيا شفافا . ففي بيئة كهذه تبدو الاشكال للفنان واضحة جلية وتبرز معالمها بدقة متناهية فينتبه الفنان الى ما في هذه الاشياء من انسجام وتناسق وتناسب ويدرك رواءها

ويهابها .

لم يكن بدعاً تأثر الافراد في العصور القديمة بالبيئة الطبيعية اكثر من تأثرنا بها نحن الان . وكان من حسن حظ الاغريق القدماء انهم عاشوا في بيئة جميلة يبعث كل ما فيها الثقة بالطبيعة والاطمئنان اليها ويحفز الانسان على الاقتراب منها ودراستها وسبر غورها واستكناه واكتشاف اسرارها وهكذا الف الاغريق الملاحظة والبحث والتأمل فنما حب المعرفة في تفكيرهم كما غدا أفق خيالهم رحبا وخيالهم خصبا . زد على ذلك ان ظروف بيئتهم اضطرتهم من اجل ضرورات المعيشة أن يكونوا واقعيين مما قوى في نفوسهم والاتجاه العملي بجانب البحث النظري ، فكل ذلك ساعد على تفتح القرائح وتهيوء الاسباب لظهور الفكر الخلاق المبدع .

ظروف الحياة المادية :

اثرت بعض شروط المعيشة في الحياة الاجتماعية لدى الاغريق وفي تكوين عقلهم وتوجيه تفكيرهم .

شتان في بلاد الاغريق ما بين المناخ والارض فلئن ساعد الاول باعتداله ولطفه على تنمية المواهب وارهاف الحس الفني وتوسيع الخيال ، فان الارض اليونانية تعكس الاية لانها على العموم جرداء فقيرة تجعل من يعيشون على ظهرها يتحملون شظف العيش وان تكون معيشتهم ضنكا . ان تلك البلاد الجبلية لا تؤمن للسكان العيش الرغيد فهي صخرية تعوزها التربة الوفيرة الخصب، وتبعا لذلك فان نسبة الاراضي الصالحة للزراعة في بلاد اليونان ضئيلة جدا، كما وان المراعي والغابات باردة ، ولم يعد من اثر للغابات القديمة الا في مقاطعة ابيروس. ان المياه الضرورية للزراعة قليلة جدا في اليونان وليس مرد ذلك الى قلة الامطار ، حيث ان معدل ما يهطل بها سنويا ٤٠٠ مم ، انما الى سوء توزيعها على فصول السنة فليس في هذا التوزيع تناسب لاقتصاره على اشهر الشتاء ، وهو قصير في اليونان كما ذكرنا ، وعلى ايام معدودات من هذا الفصل . وغالبا ما يهطل في يوم واحد فحسب ربع كمية المطر السنوية، فكانت النتيجة الحتمية لسوء توزيع الامطار جفاف الارض بصورة تامة في اشهر الصيف الطويل فتشح الينابيع وتنضب مياه جميع انهار بلاد اليونان باستثناء اربعة منها تغدو بمثابة جداول او سواقي هي نهد بنينويس penes في تساليا واخيلوس Acheloos في وتنوليا

والفيئوس Alphes باميزوسpanisos في شبه جزيرة البلبيونيز . اذ ذاك تجف النباتات وتهلك الحيوانات وتنتشر الاوبئة فيخرج السكان متضرعين الى الالهة ان تسقيهم الغيث .

لا يدخر الاغريقي وسعا في العناية بما في حوزته من ارض صالحة للزراعة فهو يحرثها، ولا يأل الاغريق كلهم جهدا في استنبات الارض المجدية وجعلها تنتج اكبر واجود محصول ممكن ولو كان الثمن جهودا مضنية وجبارة يبذلونها لتحقيق هذا الهدف من اصلاح التربة وتأمين الري لها بجميع الوسائل الممكنة . لكنه لئن اتت هذه الجهود ثمرتها بالنسبة لبعض المحاصيل فانها لم تعوض المزارعين عن جهودهم بالنسبة لمحاصيل اخرى ونخص بالذكر منها الحبوب حيث لا يكفي المحصول للاستهلاك المحلي . بينما جادت انواع من الاشجار المثمرة في هذه المنطقة ولا سيما الزيتون والكرمة والتين تلك الاشجار التي يعتبر اقليم بلاد اليونان ملائما لها . وكان اليونانيون دائما شديدي العناية بالزيتون فتغنى بشجرته شعرا ؤهم وبالغوا في وصفها وذكر فوائدها . وليس من شك ان الزيتون والزيت المستخرج منه كانا من اهم مصادر الثروة بالنسبة لمقاطعة اتيكا وحاضرتها اثينا .

لكن ضآلة المحاصيل الزراعية وقصورها عن تامين حاجات الاستهلاك المحلي ، ولا سيما بالنسبة للحبوب ، لم تؤد دائما الى حدوث المجاعات فان اعتدال المناخ والطقس ساعدا على الا يكون الاغريق مسرفين في تناول المواد الغذائية (كما لو كانت الحال بالنسبة للاقاليم البارده) . وكما هي الحال بالنسبة لشبه الجزيرة العربية القليلة المحاصيل ايضا ، ولو كان ذلك بنسبة اكبر مما هي عليه حال بلاد الاغريق ، فان المثل الاعلى للفرد ان يكون زاهدا في غذائه والا يكون نهما . وكما قال حكماؤنا العرب : البطنة تذهب الفطنة ، وكما ورد في الحديث الشريف:« حسب ابن أدم لقيمات يقمن صلبه » والى غير ذلك من الحكم والاحاديث ، فان شعراء الاغريق، كانو على الغالب من فئة الحكماء ، كثيرا ما رددوا ان شعبهم يطلب من الطبيعة اشياء اخرى غير الاغذية الارضية ، لانه ينشد استنشاق النسيم العليل والتمتع بالمنظر الجميل ، بالنور والخضرة والماء . وهكذا كان اليوناني زاهدا في ماكله ، كالعربي وخاصة البدو متقشفا، ويتألف طعام الكثرين اليومي من قليل من الكعك وحفنة زيتون وتين ورؤوس بصل او ثوم وقطعة من الجبن او السمك . ولا يتناولون اللحم الا في ولائم الحفلات ، ولا يحتسون الخمر صرفا انما بعد تمديدها بالماء وذكر بعض العلماء ان متوسط ما يتناوله عامل انكليزي واحد من الغذاء

يكفي اسرة يونانية من ستة اشخاص، كما لم يكن اليوناني مترفا في ملبسه انما بسيط . ويتألف لباس الاغريق القدماء من رداء صوف يلتفون به وهم حسر الرؤوس الا في شدة القيظ. كما كانوا يسيرون حفاء الاقدام الا في الشتاء . وبيوتهم متواضعة يتألف واحدها من حوش او ساحة تحيط بها عدة حجيرات مؤثثة ببسيط الاثاث ، تهتم فيه النسوة بالاعمال المنزلية ولا تضم الرجال الا في اوقات الاكل وساعات النوم حيث كان رجال الاغريق يقضون سحابة ايامهم في السوق والساحة العامة والملاعب والمعابد ويعقدون ندواتهم واجتماعاتهم العامة في الهواء الطلق . يميل اليوناني الى الاحتكاك المستمر بآلة ونويه وبني بلدته وليس انعزاليا ، كما يميل الى الحديث مع زملائه في جميع الموضوعات ويخوض في الحديث بصورة خاصة ويتناقش مع الآخرين في شؤون الحكم والقضايا السياسية العامة .

وبصورة عامة نشأ الاغريقي صبورا جلدا نشيطا وهذه الصفات زادت من مقاومته ونمت ملكاته وجعلته واثقا من نفسه ، ومن تغلبه على العقبات و مهما اعترضته من صعاب ، وهو فوق كل هذا وذاك مقدام ومغامر و لكثرة ما كان يرى البحر من قمم الجبال المطلة على مدينته ولفقر بلاده تعلق بركوب البحر منذ فجر تاريخه . ومما ساعده في هذا المضمار انه كان يرى من قمم جبال بلاد اليونان وفرة الجزر في بحر ايجة بمعنى انه لم يتهيب ركوب البحر لانه كان يشعر بالاطمئنان الى البحر ولم يخفه خوف الشعوب غير البحرية ومن بينها العرب الذين لم يعتادوا ركوبه فجعلوا « الداخل اليه مفقودا والخارج منه مولودا » وشبهوا الانسان عند ركوبه سفينة « هودوه على عود » بالنسبة الى ذلك البحر الكبير . اما الاغريق فقد تعلقوا بالبحر منذ فجر تاريخهم : وادى بهم للمغامرة في باديء الامر الى ان يصبحوا قراصنة ثم نظموا صفوفهم وعملوا لحساب دولهم واسسوا لها المستعمرات في جميع سواحل حوض البحر الابيض المتوسط وغدوا من اهم التجار العالميين . وساعدتهم الرحلات البحرية التجارية على الاحتكاك بشعوب البلاد التي امّوها فاقتبسوا حضارتها . كما حملهم رواج تجارتهم على استثمار ثروات بلادهم فاستخرجوا معادنها واحجارها الكريمة وازدهرت بعض صناعاتهم وفنونهم كالاواني الخزفية والادوات المعدنية الدقيقة والتماثيل المتقنة الصنع كما مهروا في صناعة السفن .

الفصل الثاني

اليونان

ظهور اليونان واصلهم :

تدل الدراسات الحديثة على ان البلاد المعروفة حاليا باسم اليونان ، كانت مأهولة في الفترة الزمنية السابقة لظهور اليونان المحدثين والذين درج المؤرخون على اطلاق اسم الاغريق الهيلينيين عليهم ، وكانت الشعوب التي سكنتها مكونة من خليط من الاجناس البشرية التي كونت السكان الاصليين للمنطقة .

ومنذ منتصف الالف الثالثة قبل الميلاد (٢٥٠٠) ق.م بدأت الشعوب التي تتكلم اللغة اليونانية في الظهور على مسرح المنطقة ، وكان ظهورها بشكل موجات هجرة متتابعة بدأت بقبائل الإخائيين الذين استوطنوا في تساليا اولا ثم انحدروا الى شبه جزيرة البيليوبونيز وجزيرة كريت وبقية جزر بحر ايجة ، ثم جاءت بعدهم قبائل (الايوليون) و(الايونيون) . واخيرا جاءت قبائل الدوريين في القرن الثاني عشر وكانت غزواتهم اعنف هذه الغزوات، فقد خرب الدوريون كل شيء في طريقهم ولم يتركوا أثرا لاي مظهر من مظاهر الحضارة السابقة لقدومهم،[1] مما اضطر القبائل اليونانية التي سبقتهم الى المنطقة الى تغيير اماكن اقامتها والفرار من وجههم الى جزر بحر ايجه والى شواطيء آسيا الصغرى وافريقيا والى سواحل الادرياتيك الغربية ، وأخيرا جاء الأخيون الذين تميزوا بقاماتهم الطويلة وشعورهم الشقراء ويطلقون على انفسم اسم الهيلينيين ما بين القرن التاسع والثامن ق .م ليبسطوا سيطرتهم على المنطقة ويكونوا فيها الحضارة الاغريقية التي عرفها الغرب .

ورغم ان هذه القبائل الاغريقية والتي تتكلم اللغة اليونانية تختلف في لهجاتها وفي الكثير من عاداتها فانها في الحقيقة ترجع الى اصل واحد ، وقد اعتاد اليونان ان يطلقوا اسم الهيبلليتيين على جميع الشعوب التي تتكلم اللغة اليونانية بينما يطلقون اسم البرابرة على غيرهم من الاقوام ، اما من اين جاء الاغريق بهذا الاسم الهيللينين فيعود ذلك الى

(١) عياد ، محمد كامل ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

اسطورة (دوقاليون) [١].

تقول الاسطورة بان كبير الالهة زفس (زيوس) غضب على (بروميتيوس) لانه نقل الى البشر سراً من اسرار الآلهة حيث علمهم كيف يستخدمون النار وحكم عليه بان يربط الى صخرة عظيمة في جبال القوقاز حيث يأتي اليه في كل يوم نسر عظيم ليفترس كبده والى الابد ، كما نقم زيوس على البشر فحكم عليهم بالهلاك وارسل عليهم طوفانا عظيما قضى عليهم جميعا عدا (دوقاليون) الطاهر(لاحظ التشابه بين هذه الاسطورة واسطورة الطوفان واوت نابشتيم البابلي) الذي ركب مع زوجه (بيرها) سفينة حملتهما طيلة فترة الطوفان ورست بهما على جبل (بارتسيوس). وقد انجب دوقاليون وبيرها ولدا هو هيللين وينسب اليونان انفسهم اليه وقد انجب هيللين ولدين هما (دوروس) و(ايولوس) وحفيدين هما ايون وأخيتوس [٢] ومن هؤلاء تنحدر القبائل اليونانية الاربع المشار اليها سابقا .

وقد سميت هذه القبائل عند الامم الاخرى (بالاغريق) و (اليونان) اما سبب تسميتهم بالاغريق فتعود الى الرومان الذين اشتقوا الاسم من اسم قبيلة غرايكوي اقرب القبائل اليونانية الى ايطاليا ومنها اشتقوا اسم غريكيGrciky ، اما اسم ياوون فقد أطلق على المستعمرات التي انشأها الايونيون على الشاطيء الجنوبي من آسيا الصغرى ، وحور العرب الاسم الى يونان .

وقد سميت القبائل التي استوطنت شبه جزيرة المورة قبل مجيء القبائل اليونانية باسم البلاسجيين وينتمون الى شعوب البحر الابيض المتوسط ، وقد احتفظ اليونانيون في اساطيرهم بذكرى الحضارات القديمة ، التي وجدوا آثارها عند مجيئهم فنسبوا اليها بعض الامور التي حدثت في الماضي فقد نسبوا تأسيس مدينة (طيبة) الى (قدموس) الذي يصفه البعض بانه مصري ، أو فينيقي ، بينما ينسبون تأسيس (اثينة) الى (سقروبس) ويقولون بانه مصري جاء من (سايس) حوالي ١٥٣٣ ق.م.

اما موطن اليونان الاصلي فقد اختلف فيه العلماء ، كما اختلفوا في الزمن الذي تمت فيه

١- فرح ، نعيم ، التاريخ القديم وما قبله ، مطبعة دار الكتاب ، (١٩٨٩) ، دمشق ص ٢٩٧ .

٢- فرح ، عياد ، عبد اللطيف ، مراجع سابقة ، ص ٢٩٧، ٨٦.

هجرتهم ولكن الفرضية السائدة بين العلماء تميل الى القول بأن اليونانيين من الاقوام الهندو-اوروبية التي جاءت من حوض الدانوب ، وتسربت عن طريق شبه جزيرة البلقان الى شبه جزيرة اليونان والى آسيا الصغرى.

ونجد ضروريا هنا ان نعطي نبذة قصيرة عن القبائل اليونانية الاربعة وما ساد عند كل منها من حضارة تشكل مع الحضارات القديمة الاخرى الارضية التي ستنشأ عليها فيما بعد الحضارة اليونانية المتقدمة .

الاخائيون : يعود ذكر الإخائيين الى فترة زمنية قديمة نسبيا ، حيث وردذكرهم في كتابة الحثيين باسم (آخياو) وتصفهم بالقوة مثلهم مثل الحثيين (١٣٢٥)ق.م ، كما ورد اسمهم في الكتابات المصرية باسم (أقايوشا) على انهم من شعوب البحر التي كانت تغير على مصربين آونة وأخرى، ويعود تاريخ هذه الكتابات الى (١٢٢٣)ق.م وقد وصفهم بانهم (عصابة من الهمج يحاربون لاملاء بطونهم) . بينما يذهب بعض مؤرخي اليونان وشعرائهم في اتجاه آخر، ويصفونهم بانهم مثل البلاسجيين من سكان البلاد الاصليين الذين مازالوا يعيشون فيها منذ اقدم العصور . وقد اعطى هو ميروس في الالياذة وصفاً للحضارة والمدن الإخائيه حيث اطلق اسم الإخائيين على جميع اليونان الذين كانوا يعيشون في شبه جزيرة المورة والذين شاركوا في حرب طراودة، وانهم هم الذين استوطنوا مدن (تيرنس)، وميكيني ، ولكن الحفريات اثبتت ان الحضارة الاخائية تختلف عن ضارة الميكيئيين في عدة وجوه مثل ان استخدام الاخائيين للحديد ، والآلهه التي عبدها الإخائيون، وشكل سيوفهم ودروعهم ، ومظاهر ملابسهم ؟

كان الإخائيون من الاوروبيين الشقر يتميزون بطول القامات وقوة العضلات وتميزت نساؤهم بالجمال الفائق وكن يتطيبن بالعطور ويستخدمن الحلي وكانت ملابسهم تتكون من رداء طويل مستطيل يُطوى على الاكتاف وربما يربط بشكّاله ويصل الى الركبتين ويسمونه (خيون).

عمل الاخائيون بالزراعة والتي كانت عملية شاقة بسبب وعورة المنطقة ويمتلك الاغنياء منهم قطعان كبيرة من البقر والماعز والغنم والخنازير ولكن يبدو ان الماعز وهو الحيوان الجبلي كان الاكثر انتشارا عندهم ، وهذا يعطينا فكرة عن طعامهم حيث كان الاغنياء يأكلون من منتجاتهم من الحبوب والبان ولحوم الحيوانات ، بينما يكتفي الفقراء بأكل الاسماك والحبوب .

كانت الارض ضيقة بطبيعة الحال وكانت ملكيتها عامة للعشيرة أو الاسرة ويشرف رئيس الاسرة على ادارتها ، ولكنه لا يستطيع بيعها ولكن جرى فيما بعد تقسيم هذه الارض وبيعها الى الاغنياء .

اما الصناعة عندهم فكانت يدوية متنوعة يقوم بها معظم افراد العائلة حتى الكبار منهم حيث نرى الملك (اوديسيوس)يصنع اثاث بيته بنفسه، ويفاخر بذلك كما نرى الاميرات والملكات يشاركن خادماتهن العمل المنزلي من غزل ونسيج وطهي. وكان الإخائيون يستوردون معظم المعادن التي يصنعون بها مثل الذهب والفضة والنحاس والقصدير والحديد والبرونز.

كان المجتمع الإخائي ريفيا بدائيا يسكن في مجموعات قليلة من المدن والقرى يتوسطها قصر أمير أو ملك يتجمعون حوله ، ويقوم المجتمع على اساس السلطة الابوية المطلقة ، فان رئيس الاسرة يستطيع ان يتخذ ما يشاء من الجواري، ويستطيع التصرف بأولاده كيف يشاء لدرجة الحكم عليهم بالموت أو تقديمهم قرابين للآلهه. ونادرا ما رأينا ذلك يحدث بسبب أنهم كانوا يشعرون بالعاطفة الأبوية القوية تجاه ابنائهم، وربما يعود ذلك في نظري الى ان المجتمع الإخائي كان مجتمعا محاربا، فهو لذلك حريص على انجاب الذكور والمحافظة عليهم ليكونوا قوة مساعدة للأب (معظم ابطال طراودة المحاربين كانوا من ابناء بريام ملك طروادة). ورغم انتشار عادة التسري واتخاذ المحظيات الا ان المرأة كانت في معظم الاحيان تسيطر على زوجها بجمالها ودهائها. وكانت تشارك في الحياة العامة بحرية كبيرة ، وكانت المرأة مركزاً ومحوراً لكثير من الاعمال والحروب الهامة التي وقعت في عهد اليونان [(١)] .

كان الزواج اساس تكوين الاسرة عندهم ، وكان يتم مقابل مهر يحدد عادة بعدد من البقر يدفعه الزوج الى والد الزوجة (كان البقر اساس التبادل عندهم) وتغنى هوميروس بالفتاة التي تجلب لأبيها القطعان ، وعند الزواج يقدم الاب لابنته بائنة تكون من بعض المال ، اما حفل الزواج فيتم وفق مراسم دينية ومآدب لافراد الاسرة وتقدم فيها كثير من الاطعمة والشراب ويمارس فيها الرقص وبعض الالعاب المسلية. وتصبح الزوجة سيدة البيت تقوم بالاضافة الى الانجاب وتربية الاولاد بأعمال الزراعة وشؤون البيت وتعليم ابنائها تقاليد العشيرة وعاداتها

١- عهاد ، محمد كامل ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

وآدابها ، وكان المألوف ان تعيش الزوجة في بيت حميها ضمن الاسرة الكبيرة[1] .

لم يكن الإخائيون يهتمون بالقيم الاخلاقية بمفهومها الحاضر كثيراً فهم في الغالب منصرفون الى العمل او الى القتال والغارات فحياتهم حياة فتوة وقوة لا تترك مجالا للبحث في آداب السلوك والقواعد الاخلاقية أو المشاكل الفلسفية. [2] ولكننا نجد لديهم الكرم والشهامة واكرام الضيف ويتبادل افراد الاسرة الحب. ولكننا من جهة آخرى نجد لديهم القسوة والعادات الوحشية ، فعندما قتل آخيل خصمه هكتور، ربط جثته بذيل عربته واخذ يجره خلفه امام عيون أهل طروادة دون مراعاة لمشاعر امه أو ابيه أو زوجته فقد كان حقده عليه عظيما لانه قتل صديقه باتروكلوس .

وكانوا يقتلون لأتفه الاسباب ويعتبرون القرصنة مهنة محترمة حيث نرى الملوك انفسهم يهيئون لغارات النهب والسلب ، ويدل على ذلك اجابة أوديسيوس عندما سئل هل هو تاجر ؟ غضب، واعتبر ذلك تحقيرا له. ويتصف الإخائيون بالكذب وتعتبر الآلهة المهارة في الكذب من فضائل الرجال .

لم يكن الإخائيون يتقنون الكتابة والقراءة وذلك بسبب اشتغالهم بالحروب وتمثل ادبهم بالشعر والغناء ولم يكن الإخائيون يملكون مهارة فنية أو مقدرة ابداعية لا في الرسم والنقش ولا في فن البناء فبيوتهم كانت مبنية بالطين المجفف بالشمس بدون نوافذ ، سقوفها من القصب والطين ، اثاثهم خشن المظهر .

كان نظام الحكم عندهم يقوم على سيطرة القبيلة، ورئيس القبيلة هو الحاكم يقيم في قلعة حصينه تجتمع حولها القرى. ويساعد رئيس القبيلة مجلس كبار السن حيث يستشيرهم في الاعمال الهامة. ثم يعرض الامر بعد ذلك على مجلس القبيلة المكون من الرجال الاحرار ليقبلوها أو يرفضوها دون مناقشة ، اما سلطة هذا الرئيس فهي محدودة بالمنطقة التي يحكمها ، وبسلطة مجلس الشورى الذي يمكنه عزله واستبداله برجل اقوى ، ويملك فيما عدا ذلك سلطات غير محدودة فهو القائد العسكري الاعلى، ويجمع في يده السلطات التشريعية والتنفيذية

١- عبد اللطيف ، احمد على ، مرجع سابق ، ص

٢- عياد ، محمد كامل ، مرجع سابق ، ص ٩٢ ،

والقضائية ويستند في قضائه الى العرف والعادة ، كما انه الرئيس الديني ويرجع بعضهم نسبه الى الآلهه، ولا يقوم الملك بجمع الضرائب بل يأخذ حصته من الغنائم اضافة الى استثمار الارض المشاع ، ويتقبل هدايا يقدمها له افراد قبيلته .

الغزو الدوري

دلت التنقيبات الأثرية التي تمت أخيرا على أن غارة خارجية قد اجتاحت شبه جزيرة المورة ، وقد أزالت هذه الغارة كل آثار الحضارة الميكينية ، وعلى الاخص في شبه جزيرة البلوبونيز وانتهت بذلك سيطرة الإخائيين. وجلوا بعدها عن بلاد اليونان وتشتتوا في جزر بحر ايجة وشواطيء آسيا الصغرى ، ولم يعد لهم ذكر في التاريخ بعدها ، وتنسب الاساطير اليونانية ذلك الحدث الى ما يسمى « بعودة الهيراقليين » بينما لايعترف المؤرخون المحدثون بحادثة من هذا النوع ويشيرون الى ان زوال الحضارة الميكينية وسقوط الإخائيين كانا نتيجة لغزو « الدوريين» الذين اجتاحوا شبه جزيرة المورة في القرن الثاني عشر ق . م، حيث سادت بلاد اليونان حالة من الفوضى والاضطراب بعد انتهاء حرب طروادة وتدميرها . فقد هلك الكثير من المحاربين في الحرب وغرقت سفن كثيرة في طريق العودة ، وحدث صراع على الحكم في المدن اليونانية بين مغتصبي الحكم الذين استغلوا غياب الملوك الاصليين ، هذه الظروف جميعها اغرت قبائل الدوريون بالتحرك من مناطق استقرارها في مكدونيا وايلليريا ومهاجمة شبه جزيرة البيلوبونيز على شكل موجات متلاحقة ، وقد كانت اعنف هذه الموجات هي تلك التي حدثت في ١١٠٤ ق . م حيث تسرب الدوريون الى المنطقة من الشرق (من مقاطعة ميغارا) ومن البحر (من مقاطعة اليس) وخربوا تساليا وايوليا . وسلكوا سياسة قاسية تجاه الإخائيين مما دفع هؤلاء للهرب والهجرة الى جزر بحر ايجة وشواطيء آسية الصغرى، حيث حاول الدوريون تعقبهم الى مستقراتهم الجديدة ولكن تم صدهم فاتجهوا الى كريت حيث خربوا ما تبقى من مدنها واستولوا على الجزر وفرضوا سيادتهم عليها .

ولم تقض غارة الدوريين على كل شيء في بلاد اليونان ، فقد احتفظ السكان الباقين ببعض المظاهر الحضارية للحضارة الميكينية كبعض الاسس الصناعية وبعض الفنون البسيطة، والتي شكلت فيما بعد ، وبعدما استقرت الاحوال وامتزج الدوريون مع الشعوب والسكان

المحليين واختلطوا بهم ، اساساً لنمو حضارة جديدة ، وبيئة مناسبة للتطور والنمو .

كان الدوريون عندما جاءوا الى بلاد اليونان في حالة بدائية يعملون بالرعي وتربية الماشية، لا يهتمون بالزراعة وقد ادخلوا معهم الحديد وكان هذا في نظر بعض المؤرخين سر انتصارهم على الإخائيين بأسلحتهم البرونزية. وكانت اهم نتائج الغزو الدوري توسع العالم اليوناني حيث انتقل كثير من السكان من اماكن سكناهم الى اماكن أخرى ، فقد هاجر بعضهم إلى جزر بحر ايجة وشواطيء آسيا الصغرى والى جزيرة لسبوس وتغلبوا على الميسينين وانتزعوا منهم كيمي وازمير [1] ، وهاجرت قبائل الأيونيين الى القسم الاوسط من آسيا الصغرى التي اصبحت مركزا حضاريا وفكريا متميزا ، وفي هذه المراكز الجديدة والمستعمرات التي اقامها المهاجرون اتصل اليونان بمراكز الحضارات الشرقية واقتبسوا منها العناصر الاساسية للحضارة اليونانية الجديدة ومنها انتقلت الحضارة الى البر اليوناني وبدأ عهد الانتقال من البداوة الى الحضارة .

ففي الفترة الزمنية الواقعة بين القرن الثاني عشر ق.م زمن مجيء الدوريين، والقرن السادس ق . م حدثت مرحلة من الاضطرابات والتحول من البداوة إلى الحضارة حيث استقرت القبائل الدورية وبدأت المدن اليونانية في الظهور على اسس جديدة، حيث تغيرت المدن، ولم تعد مجموعة من القرى انضمت الى بعضها البعض ، بل اصبحت وحدات سياسية ، واقتصادية وعسكرية تتمركز حول المدن تشكل دولة مستقلة ، تتوفر فيها شروط محددة حيث نجد قلعة حصينة ، وساحة كبيرة للاجتماعات العامة (أغورا) ويتوفر فيها سوق تجاري [2] .

كما حدثت تغيرات اقتصادية واجتماعية في حياة اليونان في هذه الفترة حيث بدأت تتكون الملكية الفردية ، ولم يعد اساس الثروة ملكية الاراضي الزراعية ، حيث بدأت التجارة البحرية في التطور ، وقد بدأت طبقات المجتمع تتمايز وتكونت بالتدريج اربع طبقات هي:

١- طبقة النبلاء وتتكون من الاسرات الكبيرة التي تملك الاراضي وتتمتع بالنفوذ السياسي .

١- عياد ، محمد كامل ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

٢- حاطوم ، نور الدين ، مرجع سابق ، ٤١١ .



البحر الأسود
رودس
كريت

٢- طبقة اصحاب المهن الذين يتوارثون المهن عن اسلافهم كالعرافين ، والاطباء ، والحدادين ، والنجارين ، والخزافين .

٣- العمال ويكونون القسم الاعظم من الشعب وبينهم كثيرون من الاجانب والمتشردين وحالتهم بائسة .

٤- طبقة الارقاء والعبيد الذين كانوا يستعبدون بالاسر في الحروب والقرصنة.

اما في الجانب السياسي فقد تطور نظام الحكم من ملكي الى جمهوري ارستوقراطي (لقب الملك باسيلوس basileus)حيث انتقل الحكم من ايدي الملوك الى ايدي النبلاء ورافق ذلك تطورات موازية على صعيد الادارة حيث نظمت مصالح الحكم وحددت اعمال الموظفين وسلطاتهم ، ووضعت القوانين لتحل محل العرف والعادة .

الممالك المدينية

كان من ابرز ما ميز التطور السياسي عند القبائل اليونانية ظهور ممالك المدن اليونانية ، حيث شهدت بلاد اليونان ظهور اربعة ممالك مدينيه كبرى تقاسمت السيادة على بلاد اليونان بكاملها ، هي اسبرطة ، اثينا ارغوس، كورنته، وهناك مدن أخرى،تبينها الخريطة رقم -١- فيما يلي بالتفصيل عن أهم مدينتين من هذه المدن هي : اسبرطه ، واثينا ، والعلاقات التي قامت بينهما والعلاقات بين هذه المدن وبين بقية اجزاء بلاد اليونان .

١- اسبرطة :

تقع مدينة اسبرطة في مقاطعة «لاكونيا» التي تقع في الجنوب الشرقي من شبه جزيرة «البيلوبونيز »وتتكون هذه المقاطعة من قسمين أو تشكيلين جغرافيين، شرقي ينحصر بين جزر بحر ايجة وبين جبال بارنون ، وهذه المنطقة صخرية وعرة لا تجتذب السكان اليها ، وغربي سهلي يقع بين جبال (بارنون) و (تايغيتوس) ، ويجري في هذا السهل نهر اوروتاس الذي يشكل وادياً خصيبا تقع فيه مدينة اسبرطة .

تكونت اسبرطة عند تشكلها من خمس قرى كبيرة اتصلت بعضها ببعض مكونة مدينة واحدة ، وقد أعطاها الموقع الحصين ميزة هامة مكنتها من الدفاع عن نفسها دون الحاجة الى

بناء الاسوار.

بلغت اسبرطة اوج قوتها في اوائل القرن السادس ق .م ولكنها اخذت تتراجع عن غيرها من المدن اليونانية وذلك يعود لصفة غلبت عليها هي المحافظة وعدم التجدد ، حيث عمل الارستوقراطيون الذين كانوا يسيطرون على الحكومه على منع اي تغيير في النظام السياسي والاجتماعي .

وقد اكتسبت اسبرطة مكانتها بعد ان اصبحت عاصمة للدوريين، الذين غزوا مقاطعة «لاكونيا» واستولوا على (ميكيني) و«تيرنس» ، وقد عملت اسبرطة بعد ذلك على غزو مقاطعة ميسينا التي تقع في جنوب غرب شبه جزيرة البيلوبونيز، وبعد حروب طاحنة استطاعت الاستيلاء عليها ، ولكن ملك مسينا وشعبه تمرد على الحكم الاسبرطي، وثار ولمدة تسع سنوات ولكنه هزم وفرضت عليه اسبرطة جزية سنوية نصف محصول الارض وساقوا الآلاف من السكان للعمل في مزارع «لاكونيا».

النظام السياسي:

كان نظام الحكم السائد في اسبرطة هو نظام الحكم الملكي وقد ظلت اسبرطة محافظة على النظام الملكي حتى بعد ان زوال هذا النظام من بقية المدن الاغريقية الأخرى .

كان يحكم في اسبرطة ملكان ينتميان الى العائلتين الرئيستين في المدينة ، وقد كانت سلطاتهما محدودة ، حيث كانت الطبقة الارستوقراطية تسيطر على الحكم وتعمل باستمرار على الانتقاص من سلطة الملكية مستغلة التنافس الذي يمكن ان يقوم بينهما، وكانت اعمالهما الاساسية ترؤس الاحتفالات الدينية ، وتقديم الضحايا ، واستقبال الضيوف ، والنظر في دعاوي التبني ، وتزويج اليتامى [1] .

مجلس الشيوخ :

ويوجد الى جانب الملك مجلس الشيوخ « جيروزيا » ويتكون اعضاؤه من الملكين ومن

١- عياد ، محمد كامل ، مرجع سابق ، ص ١٨١-١٨٣.

الارستوقراطيين والنبلاء وقد منحه دستور ليكورغوس اعلى السلطات ، عدد اعضائه (٢٨) عضوا يشترط فيهم أن يكونوا قد بلغوا الستين. ويتم وصول العضو الى منصبه بطريق الانتخاب من قبل الجمعية العامة. ويشترط في المرشح ان يكون مواطنا اسبارطيا يملك ارضا

في «لاكونيا» وقام بالخدمة العسكرية ، اما مهماته الاساسية فكانت :

١- النظر في الشؤون السياسية .

٢- تهيئة المشاريع التي تعرض على الجمعية العامة.

٣- النظر في القضايا الهامة والاحداث الجنائية والجرائم التي تتعلق بسياسة الدولة ويمكنه الحكم بالاعدام واحكامه قطعية.

٤- مراقبة قرارات الجمعية العامه والاعتراض عليها وبوجه الاجمال اتسمت سياسته بالمحافظة الشديدة .

الجمعية العامة:

وتسمى (آبيلا) وتتكون من جميع المواطنين الاسبارطيين الذين بلغوا الثلاثين من العمر واجتازوا جميع مراحل التدريب التي يفرضها القانون ويجتمع كل شهر مرة وذلك في منتصف الشهر وواجباتها :

١- النظر في جميع الامور المتعلقة بالحياة العامة والقوانين والانظمة الجديدة والتصويت عليها بدون مناقشة .

٢- تعيين وانتخاب جميع الموظفين واعضاء مجلس الشيوخ والمراقبين

المراقبون :

وكان في اسبرطة الى جانب الهيئات المذكورة اعلاه خمسة من المراقبين ينتخبهم المواطنون لتمثيلهم والدفاع عن حقوقهم. وقد شبههم (شيشرون) المؤرخ الروماني بالمحامين ولكن البعض يشبههم بمجلس الوزراء في عصرنا الحالي ومن مهام المراقبين :

- اصدار تعليمات (بيان) للمواطنين تدعوهم الى حلق شواربهم (اطاعة القانون)

والالتزام به .

- مشاركة الجمعية العامة ومجلس الشيوخ في النظر في القضايا الجنائية .
- الفصل في جميع المسائل المتعلقة بالحقوق العائلية والملكية والإرث والزاوج .
- تصنيف المواطنين حسب اوضاعهم الحقوقية وسلوكهم الاخلاقي
- الاشراف على حفظ النظام الاجتماعي وتدريب الشبان على حمل السلاح والاستعداد للحرب .
- الاشراف على شؤون سكان الاراضي وهم الذين لا يتمتعون بالحقوق السياسية بالرغم من كونهم أحرار (البيريوكي) وتعيين الشرطة السرية لمراقبة الهيلوتيين ، ومراقبة الاجانب وطردهم خارج اسبرطة ان كان ذلك ضروريا .
- تعيين الموظفين ومحاكمتهم وعزلهم .
- مراقبة الملكين واعمالهما ومرافقتهم في الحرب ، وفي العصور المتأخرة اصبح بامكان المراقبين عزل الملكين ان وجدوا ذلك ضروريا .

وكان يساعدهم في عملهم بعض الشبان المسلحين الذين يسمون (كريبتيا) .

الجيش:

كان الجيش يمثل اسبرطة وعظمتها ومجدها ، ويقضي الدستور الاخلاقي الاسبرطي بأن يتصف المواطن الاسبرطي بالشجاعة وان يكون جنديا قويا ، لان بقاء اسبرطة وسلامتها رهن بقوة جيشها وشجاعة جنودها وبسالتهم ومهارتهم القتالية وانضباطهم في المعارك وتضحيتهم بنفسهم لاجل مدينتهم. ولذا نلاحظ بأن أسمى شرف كان عند الاسبرطيين هو ان يموتوا في سبيل اسبرطة في ساحة القتال ، واكبر عار يلحق بهم هو العودة سالمين بعد هزيمة الجيش ، وكانت الام الاسبرطية عندما تودع ابنها الذاهب الى المعركة تقول له :

« لا تعد من القتال الا وانت حاملٌ درعك أو محمول عليه » .

ولذا نجد ان المجتمع الاسبرطي اهتم اهتماما كبيرا باعداد افراد جيشه ومواطنيه ليكونوا محاربين اشداء وجنود بواسل من خلال نظام دقيق وصارم جدا يصل الى حد القسوة للاعداد والتربية .

فقد كانوا يهتمون بالمولود قبل الزواج، بان يتاكد الزوجان من صحة وسلامة بعضهما لكي يضمنوا ابناء اصحاء اقوياء الاجسام ، وبعد الزواج يخضع المولود الى فحص دقيق من قبل لجنة من مجلس الشيوخ فان كان به عاهة أو ضعف يلقى به من اعلى الجبل ليموت وان كان قويا يسمح له بالحياة مع امه حتى سن السابعة. في سن السابعة ينتزع الوليد منها وتتعهد الدولة تربيته وتنشئته، حيث يقسم الصبيان الى زمر باشراف مدرب وزعامة اقوى واشجع صبي منهم يطيعونه ويقبلون ما يوقعه بهم من عقاب ويكونون في نفس الوقت منافسين له على الزعامة والقيادة. ويعملون في اثناء ذلك تدريبات بدنية وعسكرية تكسبهم الشجاعة والصلابة ، كما يتعملون القراءة والكتابة وقوانين لكورغوس.

وكان للتربية الاخلاقية مكانة هامة عند الاسبرطيين ليس من اجل الاخلاق بذاتها ، وانما لضمان قوة اسبرطة ومنعتها وقوتها، فكان على الشبا ب الاسبرطي تجنب السكر ، وكان عليه ان يتعود كسب قوته واعاشة نفسه اذا وجد في ارض غريبة أو بعيداً عن بلده فيحق له في هذه الحالة ان يسرق شريطة ان لاتنكشف سرقته ، كما يسمح للشبان تحت التدريب بحضور اجتماعات المواطنين ليستمعوا الى احاديث السياسة ومناقشة الشؤون العامة ، ومتى بلغوا سن الثلاثين يقبلون في عداد المواطنين .

اما البنات فقد ربين تربية جسدية قوية، فقد كان على كل بنت ان تشترك في الالعاب الرياضية والمباريات من ركض وصراع ورمي قوس لتصبح اما قوية. وكان عليها ان تسير في الاحتفالات والرقص وهي عارية الجسم ، حتى تضطر الى المحافظة على جسمها والعناية به .

كان سن الزواج محدداً فهو الثلاثون للشباب والعشرون للفتاة، وتعتبر العزوبية جرما يستحق صاحبه الحرمان من مخصصات الاعاشة ، ومن مشاهدة حفلات الرقص التي يرقص فيها الفتيان والفتيات عراة الاجسام ، ويتلقى الاهانات من النساء والرجال الآخرين .

الحياة الاجتماعية

تركيب المجتمع : تكون المجتمع الاسبرطي من ثلاث طبقات :

١- الطبقة الحاكمة من الدوريين الذين كان عددهم لا يزيد في افضل الاحوال عن (٣٥) الفا من رجال ونساء واطفال، مهنتهم الاساسية هي الحرب التي لا يعرفون لهم مهنة تليق بهم

غيرها، ولذا فهم يقضون كل حياتهم في التدريب على حمل السلاح واستعماله ، وهم يملكون معظم الاراضي الاميرية والبريوكي .

٢- طبقة البريوكي ، اي سكان الاراضي الدائرة (البيريوكي) ويعمل افرادها وهم احرار بالتجارة والصناعة ، ويدفعون الضرائب ويقومون بالخدمة العسكرية، ولكنهم لا يتمتعون بالحقوق السياسية ، اي لا يشاركون في اجتماعات الجمعية العامة ولايمكن ان يكونوا اعضاء في مجلس الشيوخ ، ولا يسمح لهم بالتزاوج مع افراد الطبقة الاولى .

٣- الطبقة الثالثة ، طبقة الهيلوتيين اي اقنان الارض، وعددهم كبير جدا (حوالي ٢٢٤الفا). وهم ارقاء تابعون للدولة التي تقوم بتوزيعهم على الاحرار ليفلحوا اراضيهم أو ليقوموا على خدمتهم. ولايحق للفرد الاسبرطي الحر ان يتصرف بالهيلوت بيعا وشراء وعتقاً أو يطرده من الارض أو يطالبه بشئ من المحصولات يزيد عن المقدار المفروض عليه من الدولة، وهذا ما مكن الهيلوت من تحسين الارض وزيادة انتاجها والانتفاع بهذه الزيادة كما امكنهم الاحتفاظ اذا شاءوا بالغنائم والاسلاب التي يحصلون عليها. (عندما اعلن ملك اسبرطة قليونيس عن منح الحرية لكل هيلوت يدفع (٥) مئات من الفضة بلغ عدد الذين تقدموا لنيل حريتهم (٦)الآف. .

ورغم هذه الامكانية في تحقيق وضع اقتصادي أفضل، فان الوضع الحقوقي القانوني للهيلوت كان متردياً جداحيث لم تنص تشريعات ليكورغوس على اية حقوق أو أية حماية ، فقد كان بمقدور الشبان الاسبرطيين في حالة الطوارئ قتل الهيلوت دون محاكمة اذا اشتبهوا بامره.

كان المجتمع الاسبرطي قبل ليكورغوس يقوم على سيطرة التقسيمات الجغرافية ، كما منع المواطنين الاسبرطيين من العمل بالتجارة أو الصناعة ليمنع تكوُّن طبقة من التجار الاغنياء قد تطمع في السيطرة على السلطة، كما منع استيراد الفضة والذهب لاستخدامهما في « سك» العملة ونص على أن تكون العملة حديدية مما يجعلها ثقيلة الوزن .

الاسرة:

كانت الاسرة عماد المجتمع الاسبرطي ، وقد سيطرت الدولة على شؤون الزواج للشاب

والفتاة كمارأينا . كما افترضت في الزوجين الاهتمام بالحالة الصحية والجسدية لكل منهما لتضمن بذلك لهما انجاب اطفال اصحاء، حيث نظرت الدولة إلى الزواج على انه أتمر واجب على الطرفين لانجاب اطفال اصحاء. اما العواطف والحب فأمور تدعو الى الدهشه فالزواج الذي يقوم لاجل الحب هو زواج سخيف. فقد صوروا افروديت آلهة الحب عند اليونان بصورة حربية، فقد كان وجهها مغطى بنقاب وفي يدها سيف وبقدميها السلاسل بخلاف الصورة الأثينية لنفس الالهه .

وكان يمهد للزواج عادة من قبل الابوين، وبعد الاتفاق يقوم الشاب باختطاف زوجته رغم المقاومة الشديدة التي يفترض فيها ان تبديها . كما انهم كانوا يعمدون الى صورة اخرى للزواج، حيث يجمعون عددا من الشباب والفتيات في غرفة مظلمة حيث يقوم كل شاب باختطاف الفتاة التي يستطيع دون اعتبار لأية مشاعر أو أحاسيس. وكان الطلاق نادرا اذا لم يكن معدوما ، حيث يعتقد الاسبرطيون ان ذلك عائد الى الحرية الجنسية المتاحة للشاب قبل الزواج. ورغم كل ذلك فاننا نلاحظ ان مكانة المرأة في المجتمع الاسبرطي كانت عالية وأفضل من وضعها في المجتمعات اليونانية الاخرى. وقد اشار المؤرخ «بلوتارك» الى ان المرأة الاسبارطية اتصفت بالشجاعة والقوة والقسوة تجاه ازواجهن وانها كانت تتحدث بصراحة في جميع الامور الهامة. كما كانت ترى وتوصي وتشتغل بالتجارة وتمتلك الاراضي ، حيث كانت اكثر من نصف اراضي اسبرطة مسجلة باسم النساء ويعزو بعض المؤرخين ذلك الى ان الرجال الذين كانوا يحصلون على ثروات غير مشروعة يخشون الفضيحة فيسجلونها باسم زوجاتهم ويدعون اموالهم عند الرهبان أمانة.

وكان مفروضا على كل اسبرطي ان ينضم الى جماعة معينة يشترك معها في مائدة واحدة، تحت شرط اساسي واحد هو ان يوافق عليه افراد الجماعه جميعا وان يكون قد بلغ سن الثلاثين ، وهذه الجماعات هي الخلايا الاساسية في تكوين المجتمع الاسبرطي [1] .

تميز الطعام الاسبرطي بالبساطة والتقشف حيث كان النظام الاسبرطي يهدف الى تكوين مواطنين محاربين اقوياء الاجسام. ولذا كان من النادر رؤية رجال منتفخي الكروش ، واذا حدث

---

(١) عياد ، محمد كامل ، مرجع سابق ، ص ١٩٠.

ووجد احدهم فانه يوبخ علنا امام الجماهير .

اما ملابسهم فكانت تتميز ايضا بالبساطة ، حيث كان الاسبرطي يلبس ثوبا بسيطا من الصوف يعلق على الكتف يصل الى الركبتين .

لم يكن الاسبرطي يتمتع بحرية التنقل والسفر الى خارج اسبرطة وربما كان ذلك عائدا الى خوف المشرع الاسبرطي عليه من الفساد ومن تسرب الافكار السائدة في المدن الاثينية الاخرى إليه الامر الذي يمكن ان يدخل الضعف الى النظام ككل .

يشير المؤرخون الى ان هذه الحالة التي سادت في اسبرطة تعود في الاغلب الى أثر تشريعات ليكورغوس، حيث ان الحياة بعد هذه التشريعات كانت خالية من أي أثر للافكار والغناء والموسيقى والشعر، وكان التركيز الاساسي على كل ما يخدم القضية الاساسية عندهم وهي الحرب واستمرار السيطرة على البلدان المجاورة، وبث الرهبة والخوف من الاسبرطيين في نفوس الجميع .

اما قبل ذلك فتشير الدلائل التاريخية، الى ان اسبرطة كانت مدينة مفتوحة للغرباء الذين كان بامكانهم الاقامة في اسبرطة واكتساب حقوق المواطن. وأنها كانت تقيم علاقة وثيقة مع بعض الجزر مثل (تيره) ، و(رودس) و(قبرص) . ومستعمرة كيريني على البر الافريقي في ليبيا .

وكانت الصناعة مزدهرة ومتقدمة ، فقد كانت اسبرطة تصنع الاواني الخزفية والنسيج والمعادن ونقش العاج ، والاخشاب والاسلحة والعملة الحديدية والادوات الزراعية . اما الاهتمام بالتزيين، فيظهر جليا من استدعاء حكومة اسبرطة للفنان (تيودوروي) احد النحاتين العظام من جزيرة ساموس، لتزيين بناء مجلس الجمعية العامة « أبيلا»، كما عهدت بعد ذلك الى نحات من مغنيسيه في آسيا الصغرى لاقامة تمثال للاله (ابوللون) ، كما ظهر فيها في هذه الفترة الشعراء والمغنون ، (تاليتاس) من كريت و (تيرثيوس) و (ألكمان) و (ترباندر) [1]

---

(١) عياد ، محمد كامل ، تاريخ اليونان ، مرجع ، ص

مدينة أثينة

الموقع والاصول التاريخية :

تقع مدينة أثينة في مقاطعة (أتيكا) ، وقد شملت دولة أثينا المقاطعة كلها ، وينسب اليونان تأسيس مدينة اثينة الى (سقروبس) والذي ينسبه البعض الى مصر وانه جاء من (سايس) حوالي سنة ١٥٣٣ ق.م

تتميز مقاطعة أتيكا بطبيعة متميزة، فموقعها يتوسط بلاد اليونان ويتصل بالمناطق الشمالية والجنوبية على حد سواء، كما يعطيها موقعها الساحلي ميزة الانفتاح على البحر، بل انها في الحقيقة عبارة عن شبه جزيرة داخلة في البحر الايجي وتمتد أمامها مجموعة من الجزر تصلها بالبر في آسيا الصغرى ، ومما يميز مقاطعة أتيكا أمور ثلاثة هي :

١- طول سواحلها المطلة على بحر ايجة .

٢- مساحة سهلها الكبيرة نسبيا .

٣- وفرة اشجارها وازدهار زراعة الزيتون فيها .

اضافة الى جودة مناخها الذي يمكن وصفه بانه احسن مناخ في بلاد الاغريق كلها.[١]
وهذا يذكرنا بقول « شيشرون » ان هواء أثينة الصافي هو الذي صقل عقول أهلها [٢] .

أصل السكان

يعود اصل سكان مقاطعة أتيكا الى السكان الاصليين من (القاريين) و (البلاسجيين) وغيرها من القبائل الايجية ، والشواهد التي تشير الى ذلك كثيرة مثل عبادة الالهه الام في أتيكا وهي معبودة كريتيه. اضافة الى انتشار أسماء ذات اصول ايجية مثل الاسماء التي تنتهي بمقاطع مثل(SOS),(TTOS) ، ثم دخل الى المنطقة بعض القبائل اليونانية مثل الاخائيين والايونيين ، الذين ما لبثوا ان اختلطوا بالسكان الاصليين وتمازجوا معهم واقتبسوا معالم حضارتهم واعطوها لغتهم اليونانية .

ورغم الانسجام والتآلف الذي ساد بين الوافدين الجدد والسكان الاصليين، الا ان الوضع

السياسي تميز بانشاء مجموعة من الكيانات السياسية التي يراس كل واحدة منها ملك ، وكانت اثينا احدى هذه الممالك والتي ينسب تأسيسها كما ذكرنا في موضع سابق إلى الملك سقروبس بمساعدة الالهة اثينا ، عند هضبة « الاكروبوليس». وقد تطورت اثينا عمرانا وسكانا لدرجة انها اصبحت زعيمة لهذه الكيانات السياسية التي غطت اتيكا ثم مالبثت ان قامت بتوحيدها جميعا (عددها١٢) في كيان سياسي واحد اطلق عليه اسم (الجوار المدني) وربما يكون ذلك قد تم بفعل شعور سكان أتيكا باقتراب الخطر الدوري .

نشأة اثينا:

مما سبق يتبين لنا ان اثينا قد اسست في زمن قديم اسطوري غير محدد ، وقد تكونت من مجموعة من القرى انضمت الى بعضها مكونة مدينة أثينا. ومن هنا فاننا نرى الالياذة والاوديسة تشيران الى سكان اتيكا جميعا باسم الأثينيين. مما يدل على وجود نوع من الوحدة تضم سكان اتيكا جميعا وتنسبهم باسم سكان أثينا وربما النبلاء والاشراف الايوليين والإخائيين سكان الأرياف اتخذوا اثينا مسكنا لهم مع محافظتهم على قلاعهم وحصونهم واملاكهم في الارياف في سهل اتيكا مهما بعدت عن اثينا ، وقد يكون هناك سبب ثان لذلك وهو ان ملك ماراتون ومدينة (اوزيس) وجزيرة سلاميس كان يعتبر اهم ملوك المنطقة باكملها [١].

ولذا فان المؤرخين يعتبرون الوحدة التي تمت في مقاطعة (اتيكا) بشكل سلمي من اهم الحوادث التاريخية الي حدثت في هذه الفترة والتي كانت السبب الاساسي في عظمة أثينا وتفوقها [٢] .

١- عياد ، محمد كامل ، مرجع سابق ، ص ٢١٤

٢- برستد ، جيمس هنري ، (١٩٨٣) ، ص ٣٠٢ .

المظاهر الحضارية في أثينا

النظام السياسي :

كان نظام الحكم السائد في اثينا هو النظام الملكي وتورد الاساطير القديمة قائمة بحوالي ثلاثين ملكا حكموا اثينا في القديم. ولكن هذه القائمة مشوشة فيها كثير من الخلط والاضطراب . وقد ضعف الحكم الملكي بعد مجيء الدوريين ليفسح المجال لظهور حكم الارستوقراطيين\ النبلاء الذين استولوا تدريجيا على سلطة الملوك بعد ان كانوا قد هضموا حقوق الفلاحين [1]. فوسعوا نطاق أملاكهم على حساب هؤلاء الفلاحين بكل الوسائل مشروعة وغير مشروعة فاصبحوا اصحاب ثروات. ولم يكتفوا بذلك بل رجعوا بنسبهم واصولهم الى اسرات تنتمي الى الآلهه او الابطال ، وكان منها الفرسان الذين يملكون الخيل والسلاح ومنهم المقاتلين وقادة الجيش .

وهناك خلاف بين المؤرخين حول اول وظيفة سحبت اليها بعض سلطات الملك. أهي قيادة الجيش؟ ام النظر في القضايا الحقوقية؟ ، كانت وظائف الملك في أوج قوة الملوك مثلها مثل وظائف اي ملك عند الامم المعاصرة لهم وخاصة في الشرق، هي الوظيفة السياسية حيث كان الملك الحاكم الاعلى ورأس الكيان السياسي والوظيفة الادارية، فهو الذي يدير شوؤن المدينة أو المقاطعة ، والوظيفة الدينية، فهو الذي يرأس الاحتفالات الدينية وينظر في امور الزواج ، والارث والايتام ويشرف على القصور والمعابد، ويشرع القوانين (الوظيفة القضائية) .

ومهما كان امر الخلاف فان المرجح ان الحكم في اثينا في بداية القرن السابع ق .م توزع بين ثلاثة اطراف :

الحاكم (أرخون archon) والملك (basileus) والقائد (بوليناركpolinarch) وأن هؤلاء كانوا منتخبين من الارستوقراطيين ولمدة سنة ، وقد توزعت السلطات بينهم فاختص الحاكم وكان اعلاهم مكانة وتسمى الفترات بإسمه ، بالقضايا المدنية مثل رئاسة الاحتفالات والنظر في امور الزواج والارث والايتام. اما القائد فكان يتولى قيادة الجيش والنظر في قضايا الأجانب

١- برستد ، جيمس هنري ، المرجع نفسه ، ص ٣٠٤ .

القاطنين في(أثينه) ، اما الملك فانحصرت وظيفته في الامور الدينية فهو الذي يمثل المدينة أمام الآلهة. ويشرف على القصور والمعابد ، وكان مركزه في الأكروبوليس. ثم استحدثت وظيفة المشرعين ويشغلها ستة مشرعين، وظيفتهم تسجيل الاحكام والقرارات ذات الصفة القانونية وحفظها حتى يمكن الرجوع اليها حين الحاجة. ثم ضُمّ افراد هذه الوظائف جميعا في مجلس سمي بمجلس التسعة الذي أدار شؤون أثينا في العهد الارستوقراطي .

مجلس الشيوخ:

من المؤسسات التي ميزت الشعوب الارية عموما، حيث يلاحظ وجود هذا المجلس عند كل الشعوب الآرية ، وقد كان هذا المجلس موجودا في ايام الملكية ولكنه ازداد اهمية في الفترة اللاحقة في العهد الارستوقراطي ومن مهامه :

١- المحافظة على القوانين وادارة شؤون الدولة .

٢- انتخاب الرؤساء الثلاثة .

٣- انتخاب وتعيين الموظفين .

وعندما الغي النظام الملكي في اثينه تسلط الارستوقراطيون والاقطاعيون على الحكم واخذوا يتعاملون مع المواطنين على اساس طبقي .

كانت اهم طبقات المجتمع الاثيني في هذه الفترة ٤ طبقات هي :

١) الطبقة الارستوقراطية (اوباتريد) Eupatrtd هم الحكام ومنهم الموظفون الكبار ، ومنهم القضاة الذين كانوا يتحكمون بالناس عن طريق تفسير قواعد العرف والعادة حيث لم تكن هناك قوانين مكتوبة ثابتة .

ب) طبقة الصناع demorgoi أصحاب المهن الذين يشتغلون بالصناعة والتجارة والملاحة على حسابهم الخاص .

ج) طبقة المزارعين Ceorgoi ويملك واحدهم قطعة صغيرة من الارض يفلحها ويعيش من انتاجها ، خضع في الغالب لسطوة المرابين وجشعهم وتقلصت بذلك مساحة ارضه بالتدريج لمصلحة هؤلاء فنشأت طبقة كبار الملاكين .

هذه الطبقات الثلاث رغم التمايز الاقتصادي بينها، كان افرادها يعتبرون من الموظفين

الاحرار ويشاركون جميعا في عضوية مجلس الشعب الاكليزيا (Eclesia).

د) طبقة العمال المأجورين وهم أحرار ولكنهم لا يتمتعون بحقوق المواطنين وغالبيتهم من الاجانب (أي من اليونان أو السكان الاصليين من غير سكان اتيكا) .

اعتمد سكان اتيكا على الزراعة في معيشتهم بالدرجة الاولى، وعلى صيد الاسماك في السواحل، وكانت موارد الزراعة كافية لهم عندما كان عددهم قليلا ، ولكن عندما تزايد عددهم لم تعد هذه الاراضي كافية لمعيشتهم فاضطروا الى ركوب البحر للبحث عن موارد جديدة للمعيشة، وقد اقتبسوا عن الفينيقيين اساليب الملاحة وبناء السفن ، وقد استطاع التجار اليونان السيطرة على التجارة البحرية. وكانت التجارة قد بلغت درجة مهمة في المدن اليونانية على الشط الآسيوي شرقا. وبرع اليونان في الاسفار البحرية حتى صارت الطرق البحرية أسهل عليهم جداً من الطرق البرية [1] ، وسرعان ما اصبحوا يصنعون سفنا اعظم واسرع بكثير من السفن الفينيقية .

إن الاهتمام بالملاحة والتجارة قد ادى بالتأكيد الى زيادة الاهتمام بالصادرات، ولذا نرى الأتيكيين يزيدون من اهتمامهم بكروم العنب والزيتون من اجل انتاج الخمور والزيت لتصديرها وهذا ايضا ادى الى زيادة الاهتمام بصناعة الاواني الخزفية لتعبئتها. وتدل الحفريات الاثرية على ان اول احياء أثينة الكبيرة قد انشأه الخزافون ، وانه كان يشتمل على مصانع كبيرة يعمل فيها عدد كبير من العمال بطريقة منظمة تدل على التقدم في مجال الصناعة .

ومن التطورات الاقتصادية الهامة التي شهدتها اثينا في هذه الفترة، بدء استخدام العملة والتحول من الاقتصاد الطبيعي الى الاقتصاد الرأسمالي؟؟ من النبلاء الذين كانوا اولا من كبار الملاك، والذين اخذوا يعملون في التجارة لزيادة اموالهم وبالغوا في ذلك لدرجة ان (صولون) مشرع اثينا المشهور اتهمهم بأن طمعهم لا يقف عند حد. ولم يغير كل النبلاء طريقة معيشتهم بل حافظ بعضهم على التقاليد القديمة وعلى قطعانهم من المواشي وبذا قلت ثروتهم

١- برستد ، جيمس هنرى ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .

عن اولئك الذين اتجهوا الى التجارة، فنشأت بذلك فروق في الثروة بين النبلاء انفسهم وتحولت طبقة النبلاء في الغالب الى طبقة الاغنياء، التي ضمت اضافة الى النبلاء اغنياء اثروا وهم في الاصل من غير النبلاء الذين حققوا الثروة ونتيجة لهذا التغير الاقتصادي ، تغير نظام الطبقات حيث اصبح الناس يتمايزون ليس حسب انسابهم وانما حسب امواهم واصبحت الطبقات تتكون على النحو الآتي:-

الطبقة الاولى : وهي التي يزيد دخل افرادها عن (٥٠٠) مكيال .

الطبقة الثانية : وهي التي يتراوح دخل الفرد فيها ملبين (٣٠٠-٥٠٠) مكيال .

الطبقة الثالثة : وهي التي لا يقل دخل فيها عن (٢٠٠) مكيال

الطبقة الرابع : وهي التي تضم يقية المواطنين الاحرار الذين لا يحصلون على هذا الحد الاصغر أي الذين يقل دخلهم عن (٢٠٠) مكيال .

كما كان من اهم التغيرات الاجتماعية التي حدثت في هذه الفترة اتساع المدن وازدياد عدد السكان . ونشأة مهن جديدة متنوعة ، وقيام طبقة قوية من التجار والصناع الذين ازدادت اهميتهم الاجتماعية والسياسيةواخذوا في مقاومة سيادة طبقة النبلاء وامتيازاتهم .

ومن التغيرات الاجتماعية الاخرى التي حدثت، ازدياد حالة العمال والفلاحين بؤسا الذين وقعوا تحت طائلة الديون التي وضعوا مقابلها اراضيهم كرهن، وكان اكثرهم يعجزون عن سداد ديونهم فيفقدون اراضيهم، ويباعون هم انفسهم مع نسائهم واولادهم في السوق كرقيق، أو تحولوا الى اقنان ارض يعملون لحساب المالكين الجدد. وهذا ادى بالتالي الى ازدياد عدد طبقة العبيد الذين نافسوا العمال الاحرار في المصانع فازدادت بذلك البطالة بين هؤلاء .

ان هذه التغيرات الاجتماعية وما رافقها من تغيرات اقتصادية، قد أدت الي شيوع جو من الفوضى والاضطراب في مجتمع أثينا. وزاد الفوضى شدة واتساعا قيام ثورة (كيلون) ومحاولة الاستيلاء على الحكم بمساعدة ميغارة، وفشله نتيجة قيام زعيم اسرة (القيمئونيد) ميغاليس باستقطاب العمال والفلاحين وجماهير أثينه حوله والتي استاءت من استعانة كيلون بمدينة ميغارة في الثورة . فحاصروا القوة الثائرة في معبد الاكروبول وبعد ايام استسلم الثائرون بعد فرار زعيمهم بشرط الابقاء على حياتهم ولكن ميغاليس قتلهم بعد استسلامهم، مما ادى الى نشوب حرب بين أثينة وميغارة، الحقت اضرارا كبيرة بمدينة أثينة مما ادى الى

استياء عام بين جماهير أثينه من اسرة القيمئونيد ، الذين لم يراع زعيمهم حرمة الآلهه ، فحكمت على الاسرة كلها بالنفي خارج أثينه .

ان هذه المشكلات والاضطرابات التي حدثت في أثينه : الثورة، الحرب مع ميغارة ، الاستياء الشعبي، كانت سببا في اشتداد المنازعات بين الاحزاب والطبقات المختلفة ، فكثرت حوادث الاعتداء والقتل . مما دعا الى وجود قوانين تضبط الامور ، وتحول دون سفك الدماء . وظهر الى الوجود الحزب الديمقراطي اي الحزب الشعبي، والذي حاول بشكل مستمر اجبار الحكومة على نشر القوانين ، هذه القوانين التي كانت في حقيقتها احكاما غريبة أوشاذة، يصدرها الافراد الذين يسمون المشرعين ويدعون انها تعبير عن إرادة الآلهه، بينما لم تكن في الواقع سوى استغلال احتكار قديم بغيض ممقوت. وكانت القوانين غير مكتوبة ويمكن للمشرع ان يغير أو يبدل فيها حسب ظروف الحكم الذي يطلب اليه الفصل فيه . وهذا يعني ان الفوضى القانونية والتشريعية كانت تطغى على الجوانب القانونية ، ولذا سعت طبقة العامة الى اجبار الحكومة الأثينية على تدوين هذه القوانين ونشرها لتتاح للعامة والخاصة معرفتها ، وليغدو ممكنا اجبار من يمارس شؤون الحكم في المستقبل على التقيد بها [1] . كان العمل في تدوين هذه القوانين في اثينه قد بدأ من قبل المشرعين ولكنه كان بطيئا ، ويبدو ان هؤلاء المشرعين كانوا ضعفاء امام افراد الطبقة الارستوقراطية ، وقد يعيق بعض افراد هذه الطبقة عمل المشرعين ، ولكن وامام الوضع الجديد عهد في أثينا الى المشرع داركونيDracon بالقيام بهذه المهمة . واعطي سلطات استثنائية واسعة لوضع القوانين التي يراها صالحة. كان داركون من المشرعين الذين اشتهروا بالعقل والحزم والمعرفة الواسعة العميقة بالتشريعات المتعلقة بالتقاليد والحقوق العائلية . وكانت التشريعات التي جمعها ونسقها ووحدها من الاسس التي قام عليها دستور أثينا فيما بعد. وكانت الفكرة الاساسية في تشريعاته مقاومة الاندفاع في اخذ الثأر، وترسيخ مبدأ العقوبة الاجتماعية . فمثلا في حوادث القتل اذا تراضى الطرفان لاتتدخل الدولة ، ولكن اذا لم يحصل اتفاق فلا بد من ان ترجع اسرة القتيل الى الدولة ،

١- حاطوم ، نور الدين ، مرجع سابق ، ص ٤٢١ .

وفرض عقوبات شديدة على المخالفات التي تحصل لهذا الامر [1] .

ان اهم تأثير احدثته قوانين داركون اضعاف العصبية العائلية ، حيث ميز بين الاقارب في درجة مطالبتهم بالحق ، فقسم الاقارب وصنفهم الى درجات ، فالاب أولا ثم الابن ثم ابناء العم وابناء ابناء العم، الذين يشكلون نهاية سلسلة القرابة التي يحق لها المطالبة بالحق. كما ساعدت هذه القوانين على تقوية الروح الفردية ، حيث صار كل عضو في الاسرة يشعر بقيمته الشخصية وحقه في الاستقلال بالرأي. كما اسهمت هذه القوانين في اضعاف الطبقية، فالقوانين واحدة للجميع ولا تميز بين الطبقات ، كما انها عملت على تقوية سلطة الدولة.

ان قوانين داركون تشكل حلقة أساسية في طريق الاصلاح فان اكمال الطريق على يد صولون (٥٩٤—٥٩٣)ق.م . ان قوانين داركون رغم كونها خطوة كبيرة في طريق الاصلاح ، لكنها لم تكن كافية لازالة مظاهر الاضطراب وحالة الفوضى ، لانها تناولت جانبا من جوانب السلوك الاجتماعي، ولم تمس صلب النظام الاقتصادي والاجتماعي ، فقد كانت الاسرات الكبيرةلا تزال تتمتع بنفوذ عظيم وتحاول باستمرار زيادة رقعة المساحة التي تمتلكها ، وانماء ثرواتها بشتى الوسائل ، فاخذت تغتصب الاراضي الاميرية واملاك المعابد ، وتسيطر على الجيش وادارة الحكومة والمحاكم ، بينما ظلت الطبقات الفقيرة تزداد بؤسا وتتأكد باستمرار بان الوسائل القانونية لم تعد تجدى نفعا، فاخذت تبحث في احتمال القيام بثورة دموية لتغيير الاوضاع ، وانتزاع الحقوق ، وتقسيم الاراضي والثروة بالتساوي بين الجميع، وتبادلت الطبقات الفقيرة والنبلاء الاتهامات والشكوك والتهديدات ، واخذت كل طبقة تستعد لمواجهة الموقف بطريقتها الخاصة ومن منطلقاتها ، واصبح الموقف يهدد بالانفجار بين لحظة وأخرى ، واضحت الحاجة ماسة الى من ينتزع فتيل الموقف المتفجر ، في هذا الظرف التجأ الجميع الى (صولون) .

اصلاحات صولون:

من هو صولون ؟ ينتمي صولون الى احدى ابرز الاسرات الارستوقراطية في أثينه ، كان

١- عياد ، محمد كامل ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥.

والده من محبي الخير حيث يروي بأنه اضاع ثروة اسرته في اعمال الخير ومساعدة الاخرين ، فاضطر صولون الى العمل بالتجارة حيث زار معظم انحاء البحر الابيض المتوسط واستفاد من رحلاته وتنقلاته ، كما جمع ثروة كبيرة من تجارته ، وتشير الروايات التاريخية الى انه اخذ معظم قوانينه من كريت . وقد اشتهر في اثينه من خلال اهتمامه بالسياسة حيث اخذ يدعو لاسترجاع جزيرة سلاميس من ايدي ميغارة، ثم قاد بعد ذلك الحملة التي ارسلتها اثينا لاسترجاع الجزيرة ونجح في استرجاعها. ثم وجه همّه الى نقد الاوضاع الاجتماعية واتخذ الشعر وسيلة لمخاطبة الجماهير والتعبير عما يريد، وكان يرى ان العدالة تتحقق من خلال الموازنة بين المصلحة الخاصة والعامة وان الشر الناتج عن انانية الافراد لا يبقى بعيدا عنهم بل لابد ان يصل اذاه اليهم وان السبيل لتحقيق العدالة هو في احترام مبدأ الانصاف وفرض القوانين التي تضمن حقوق الجميع .

اعتبر صولون حكيما من حكماء اليونان السبعة ، كما كان من البارعين في ميدان السياسة الذين يعرفون كيف يوفقون بين المثل العليا وبين ضرورات الحياة الاجتماعية الواقعية(١) انتخب في عام ٥٩٤ق.م حاكما وهو في الخامسة والاربعين من العمر ومنح السلطة المطلقة لانهاء الحرب الاجتماعية بين الطبقات من قبل جميع الاطراف المتضادة . ولذا نجده يسلك في سياسته طريقا وسطا بين رغبات الطبقات الفقيرة بالمساواة المطلقة ورغبات الاغنياء بالمحافظة على ما يملكون وباستمرار سيطرتهم على الامور واستئثارهم بخيرات البلاد .

ويمكننا تلخيص اصلاحات صولون ذات الأهمية في مايلي :

قام ببعض الامور التمهيدية التي لابد منها كاعلان العفو العام لتصفية الماضي ، وسمح للمنفيين بالعودة الى الوطن واعاد اليهم حقوقهم المدنية ، ماعدا المتهمين والمحكومين بجرم القتل.

× الغاء جميع الديون سواء اكانت للافراد أو للدولة واعادة الاملاك المرهونه الى اصحابها وتحرير الافراد الذين استعبدوا واصبحوا اقنانا للارض بسبب عجزهم عن تسديد ديونهم .

× اعادة الحرية لأولئك الذين كانوا قد بيعوا الى البلاد الخارجية وتحريم استعباد أي

١- عياد ، محمد كامل ، مرجع ، ص ٢٢٨ .

شخص في المستقبل مقابل دين يعجز عن سداده ومنع الاعتداء بذلك على الحرية الشخصية .

× اهتم بمنع تجميع الارض في يد شخص واحد ، فوسع حق الارث وفرض تقسيم الارض بين الاولاد وألغى العادة المتبعة التي تفرض على الفتاة الوارثة الزواج من أدنى قريب لوالدها ، واعطى الاولاد غير الشرعيين حق الارث اذا لم يكن للاب اولاد شرعيون .

× حد من السلطة الابوية على الابناء فحرم على الآباء قتل اولادهم بعد بلوغهم سنا معينة، كما منع الآباء من بيع بناتهم أو طرد ابنائهم الا في حالات خطيرة جدا. .

× اتخذ مجموعة من الاجراءات الاقتصادية تشجع العمل وتدفع المواطنين الى العمل والانتاج ، فالوالد الذي لا يعلم ابنه صناعة في الصغر لا يحق له مطالبة هذا الابن بالنفقة في شيخوخته . ومنع التسول وفرض عقوبات شديدة على المتسولين .

ولتشجيع الزراعة عمل على تنظيم المياه ، واهتم بحفر ينابيع جديدة ومنع قطع اشجار الزيتون ، ووضع مراقبين لمنع الفلاحين من اساءة استعمال الحيوانات ، ووضع جوائز كبيرة لمن يقتل الذئاب التي كانت تفتك بالقطعان .

– عمل على تشجيع الاعمال التجارية والصناعة .

– نظم المكاييل والموازين وسك عملة جديدة خاصة بأثينة :

×× ولتلبية مطالب طبقة التجار وارباب الصناعة في المشاركة بدرجة اكبر في الحكم عمد صولون الى اتخاذ اساس جديد لتصنيف سكان أتيكة، وهو دخل الفرد السنوي بدل الحسب أو الانتماء العرقي ، وقد مر معنا تقسيمهم فيما قبل وقد كان التمايز بين هذه الطبقات موجودا ، وما فعله صولون هو أنه اعطاه الشكل القانوني، وربطه بالتزامات وواجبات وامتيازات فكان افراد الطبقة الاولى يدفعون ١٢٪ من دخلهم كضريبة ، واما افراد الطبقة الثانية (طبقة الفرسان) فيدفعون ١٠٪ من دخلهم بينما الضريبة المقررة للفئة الثالثة(طبقة اصحاب النير) فيدفعون ٥٪ والطبقة الرابعة لاشيء وبالمقابل يتمتع افراد الطبقة الاولى بكثير من الامتيازات فينفرد افراد الطبقة الاولى بوظائف الحاكم او القائد والخازن ، والفئة الثانية لها الوظائف الثانوية، ومنها ان يكونوا فرسانا في الحرب ، أما الطبقة الثالثة فكان افرادها يؤلفون المشاه ذوي الاسلحة الثقيلة ، اما الجنود البحارة فهم من الفئة الرابعة ، ثم استبدل المكاييل بالعملة النقدية فاصبح من الطبقة الاولى من يمتلك ٥٠٠ دراخما كدخل سنوي .

×× ابقى صولون على مجلس الشيوخ بعد أن نزع منه بعض السلطات واوجد الى جانبه مجلسا جديدا هو مجلس ال(٤٠٠) ينتخب اعضاؤه من القبائل الاربعة في (اتيكه) ومهمة هذا المجلس هي أن يهيء المشاريع التي يجب عرضها على مجلس الشيوخ وبذا كان يستطيع مراقبة جميع القوانين .

×× كما قام باحياء مجلس الشعب (الاكليزيا) eclesia ، وعهد اليه بمهمة انتقاء الحكام الذين كانوا ينتخبون في السابق من قبل مجلس الشيوخ ، وجعل جميع الموظفين مسؤولين امام هذا المجلس الذي يستطيع معاقبتهم والذي يحق له محاسبة الحكام والقواد عند انتهاء مددعملهم ويستطيع حرمانهم من عضوية مجلس الشيوخ .

×× تأسيس مجلس المحلفين او مجلس القضاء الأعلى من ستة آلاف عضو ينتقون بالقرعة من بين جميع الطبقات والذي ينقسم الى محاكم متعددة تنظر في جميع القضايا عدا حوادث القتل، وكما يحق لهذا المجلس ان ينظر في كل اعتراض على أي عمل من اعمال الموظفين .

×× في سبيل فرض قوانينه ودعمها فرض صولون عقوبات شديدة على المخالفات .

×× ومن اجل أن يتم اطلاع الجميع على هذه القوانين قام بكتابتها على الواح متحركة علقت في مقر الحاكم .

وقد جوبهت قوانين صولون ببعض الانتقادات اهمها :-

– انها اعطت الحق للطبقات الشعبية في الاشراف على ادارة الحكومة عن طريق مجلسي الشعب ، والمحلفين .

– انها صيغت بطريقة غامضة وتقتصر على المبادئ العامة وعلى العموميات.

ورغم هذه الانتقادات التي وجهت الى تشريعات صولون فقد كان لهذه القوانين والتشريعات تأثير كبير في حياة الأثينيين بشكل خاص واليونان بشكل عام افتتحت هذه القوانين عهداً جديداً في حياة اليونان. فقد اصبحت ادارة الحكومة خاضعة لقوانين مكتوبة ثابتة بعد ان كانت تسير حسب أوامر ومقررات ارتجالية مزاجية متغيرة والى هذه القوانين يرجع الفضل في تحرير الفلاحين من العبودية ، وتمليكهم الارض التي يفلحونها .

وبفضل هذه التشريعات استطاعت اثينا أن تتقدم في الصناعة والتجارة وتحتل المقام

الاول بين جميع بلدان البحر اللابيض المتوسط .

كما ساعد النظام الجديد الذي قضى على الامتيازات القديمة على تشجيع تقدم العلوم والفنون وانتشار الثقافة والازدهار الحضاري .

وفي سنة ٥٧٢ ق.م اعتزل صولون منصب الحاكم بعد فترة دامت اثنين وعشرين سنة بعد ان طلب من رجال الدولة ان يقسموا اليمين باتباع قوانينه لمدة عشر سنوات دون أي تبديل، ثم قام بجولة الى مصر وقبرص وآسيا الصغرى ، عاد بعدها الى أثينه ليجد ان الحكم قد انتقل الى أيدي الطغاة الذين اوقفوا تطبيق بعض قوانينه ، ولكنهم في الحقيقة استمروا في وضع اصلاحات شعبية وسلوك سياسة ادت الى تقوية الجمعيات والمجالس الشعبية ومهدت الطريق للحكم الديمقراطي .

فقد استطاع بيزيسترا توس السيطرة على الحكم في أثينه، ممارسة السلطة كفرد ولكنه استطاع ان يكتسب عطف المواطنين الاثينيين وتقديرهم ، وقد قام بيزيستراتوس ببعض الاجراءات التي يمكن اعتبارها امتداداً لتشريعات صولون وتدعيما لها . فقد حافظ على النظم والاساليب الديمقراطية وابقى على المجالس والوظائف التي أنشائها صولون ، ولكنه سخرها لاغراضه باعتباره حاكما دكتاتورا فردا ، كما حافظ على سلامة القانون وهيبته ، وكان في كل اعماله يحرص على احترام القانون . كما امتاز بعطفه على طبقات الفقراء وخاصة الفلاحين ، فقد وزع اراضي النبلاء المنفيين علي الفلاحين الاجراء (المسادسين) ، كما شجع الزراعة عن طريق منح قطعة ارض من اراضي الدولة ومنحة مالية لكل راغب في الانتقال من المدينه الى الارياف للعمل في الزراعة ، كل ذلك مقابل خمسة بالمائة من المحصول . كما اهتم بدعم القضاء عن طريق تعيين حكام صلح يجوبون الارياف يفصلون في القضايا والخلافات التي تنشأ بين الفلاحين . كما قضى على البطاله بوساطة المشاريع العمرانية الكثيرة التي رعاها كبناء المعابد وفتح ألطرق وقنوات الري واعتنى باستثمار مناجم الفضة في جبل لوريون واهتم بتوزيع الثروة ومنع تكدسها في ايدي افراد قلائل، باشراك معظم افراد الشعب في الاعمال الاقتصادية ، كما نظم الاعياد الدينية للآلهة أثينه والاله ديونيزيوس . كما اسس اقدم مكتبة عامة عرفت في بلاد اليونان . كما اهتم بالنشاط التجاري . فاحكم السيطرة على مداخل البحر الاسود التي كانت تتحكم في طريق قوافل السفن المحملة بالقمح والاتية من شواطيء

هذا البحر . وذلك بالاستيلاء على حصن سيجيون Sigeon على الشاطئ الاسيوي لمضيق الهيللبسبونتوس عند مداخل البحر الاسود، و باقامة مستعمرة اثينيه في سستوس Sestos على الشاطيء الاوروبي المقابل لسيجيون[1].

ومن الحكام الذين لعبوا دورا مهما في اثينه للتمهيد للديموقراطية « كليستينيس » الذي ينتمي الى اسرة « الكمئونيد» الارستوقراطية ورغم ذلك فان اصلاحاته كانت ذات اثر عظيم في توطيد الديموقراطية في اثينه ، فقد ابطل التصنيف القبلي القديم الذي كان عماد النظام الارستوقراطي القديم ، كان سكان اتيكا يتجمعون في اربع قبائل كبيرة ، وفي كل قبيلة بضعة أُسر وكانت كل قبيلة مقسمة الى ثلاثة أقسام Trittys وهي موزعة بين أقسام اتيكا الطبيعية (الساحل، السهل، الجبل) وكل من هذه الاقسام او الاثلاث مقسمة الى عدد من الاحياء يُدْعى كل منها (Demos ديموس) تتراوح مساحته من قسم لاخر حسب المساحة الكلية للقسم، وقد جعل كليستينيس عضوية الحي اساسا للمواطنة وللحقوق المترتبة عليها سياسيا ، كما جعل هذه الاحياء اساسا للتنظيم الاداري وهكذا قضى على التكتل الطائفي الذي رأيناه يؤدي الى ظهور الاحزاب المتناحرة : حزب الساحل الذي يمثل التجار ، وحزب السهل ، الذي يمثل اصحاب الارض ، وحزب الجبل الذي يمثل الرعاة .

والركن الثاني اعادة تشكيل مجلس الشورى، فبعد ان كانت رابطة الدم تلعب دورا رئيسا في تكوينه ، عاد كليستينيس تنظيم هذا المجلس عددا وشروط عضوية ، وطريقة انتخاب، فيظهر المغزى الدمقراطي لهذا التنظيم الجديد من الناحية التشريعية في ناحيتين اساسيتين :

الاولى : انه اصبح ممثلاً للمجتمع الأثيني ككل وليس لروابط القبلية الاسرية القديمة .

الثانية : ان مهمة هذا المجلس لم تعد تشريعيه محضة بل اصبحت له في التنظيم الجديد صلاحيات ادارية تتلخص في انه كان يدير الشوؤن العامة للمدينة بمعاونة اعضاء السلطه التنفيذية او الجهاز التنفيذي ، وقد كان على هؤلاء ان يقدموا تقاريرهم الى المجلس وان يتلقوا توجيهاته فيما يخص تدبير الشؤون العامة بعد الاستنارة بهذه التقارير ، وهكذا تقلصت سلطة

١- يحي ، لطفي عبد الوهاب ، (١٩٧٩) اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ص ١٣١ .

المجلس التنفيذي لمصلحة مجلس الشعب .

أما الركن الاساس الثالث فهو قانون النص السياسي وبموجبه اصبح الاثينيون يستطيعون، خلال دورات محددة من دورات مجلس الشعب ان يصوتوا على نفي اي زعيم سياسي يرغبون في نفيه، وشرط ذلك كما رأينا في حديثنا سابقاً أن يصوت الى جانب ذلك القرار ستة آلاف شخص ومدة النفي عشر سنوات ، ورغم بعض التجاوزات في تطبيق هذا القانون ، حيث كان يستغل احيانا للتخلص من بعض الاشخاص الذين يخشى منهم على بعض الزعامات الحزبية الا انه وقف حائلاً دون اي انتكاسه قد تصيب نظام الحكم الاثيني لتعود به الى الحكم الفردي[1] .

ان نظام دول – المدن الذي ساد بلاد اليونان والذي افرز ظهور دول – مدن يونانية ، تطور خلالها النظام السياسي ، حيث عرفت بعض هذه المدن –الدول نظاما سياسيا واحدا وبعضها الاخر عرف انظمة سياسية متعددة ، كما تداخلت الانظمة السياسية في قسم ثالث ، كما تطور المجتمع اليوناني اجتماعيا واقتصاديا وفكريا وعرف اكثر فتراته ازدهارا . كما امتد اليونان الى خارج شبه جزيرة المورة فاسسوا المستعمرات والمدن التي تطورت بشكل مماثل للتطور الذي شهدته المدن اليونانية التي انشأتها .

وقد قامت بين المدن اليونانية علاقات تفاوتت بين السلم والحرب كما دخلت بعض هذه المدن او كلها في حروب خارجية مع القوى الخارجية الصغيرة كقرطاجة وكبيرة كالفرس، واختلفت اسباب هذه الصدامات فقد اصطدمت اثينا مع قرطاجة بسبب التنافس على الاسواق الخارجية وتنازع السيطرة على الطرق البحرية، اما الفرس فكان السبب الاساسي للصدام، هو تضارب مصالح الطرفين في آسيا الصغرى ، حيث حاولت اثينه باستمرار ان تقف حائلا بين الفرس والتوسع في اتجاه الغرب ، ولن نتعرض في بحثنا هنا الا بشكل موجز لهذه الصراعات لتوضيح نمط العلاقات التي سادت بين المدن اليونانية نفسها .

اما على صعيد المدن اليونانية نفسها ، فقد ظل الصدام بين هذه المدن مستمرا وتغيرت اسبابه حسب مراحل هذا الصدام فتارة يكون من اجل تكريس مصالح محدودة، سياسية، او

١- يحيى، لطفي عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ١٢٥

تجارية ، وتارة من اجل التوسع والسيطرة والهيمنة على بقية المدن الاخرى .

الحروب اليونانية القرطاجية :

بدأ الصراع بين اليونان وبين قرطاجة (المدينة الفينيقية على الساحل الافريقي المقابل لجزيرة صقلية) . خلال القرن السادس ق.م ، وذلك لسببين :

الاول :سيطرة قرطاجة على الثلث الغربي للبحر الابيض المتوسط واعتباره مجالا حيوياً لتجارتها .

الثاني : التوسع الاستيطاني اليوناني في المنطقة السابقة نفسهاالذي ابتدأ في القرن الثامن ق.م ووصل اقصاه في الشطر الاول من القرن السادس ق.م ، حيث انتشرت المدن اليونانية ذات الصبغة الاقتصادية على شواطيء صقيلة الجنوبية .

كان الصدام الاول بين مدينة فوكاية الايونية وبين قرطاجة، حين حاولت فوكاية اقامة علاقات تجارية مع الشاطيء الجنوبي الغربي لإسبانيا ، ومحاولة اقامة مستوطنة تجارية اخرى في كورسيكا ، ثم توالت الصدامات بين الطرفين وتغيرت اسبابها حيث اصبحت نتيجة صراع يوناني / يوناني في جزيرة صقلية تدخلت فيه قرطاجة الى جانب احد الفريقين المتنازعين ، ففي سنة ٤٨٠ ق.م وقع خلاف بين مدينة سير اكوزه وانصارها من جهة ومناوئيها من الجهة الاخرى حيث استعان مناوئي سيراكوزه بقرطاجة التي وجدتها فرصة سانحة للتدخل فارسلت جيشا بقيادة هاميلكار، ولكنها هزمت وفرضت عليها سيراكوزة غرامة حربية كبيرة، ثم تجدد الصدام عام ٤٧٤ق.م عندما نشب في سيراكوزه في عهد حاكمها هييرون وبين حلفاء قرطاجة الأتروريين ، وقد هزمت قرطاجة وحلفائها مرة ثانية عندما تجدد الصدام بين الطرفين حيث تدخلت قرطاجة في النزاع بين المدن اليونانية في صقلية عندما قام هانيبعل القرطاجي بغزو الجزيرة واحتلالها والقضاء على سيراكوزه وكان حاكمها في هذه الفترة ديونيزيوس، وقد انتصرت قرطاجة في بادئ الامر، ولكن نهاية هذه المرحلة شهدت تمكن سيراكوزة من دفع الخطر القرطاجي ، وكانت المحصلة النهائية لهذه الصدامات هي وقف محاولات اليونان في التوسع في المتوسط الغربي[١] .

(١) يحي ، لطفي عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

الحروب الفارسية - اليونانية (الميدية)

خضعت المدن الايونية (المدن اليونانية) المنتشرة على سواحل آسيا الصغرى الغربية لسيطرة مملكة ليديا التي كانت تسيطر على آسيا الصغرى الوسطى ، كانت سيطرة ليديا اسمية في الغالب اذ ظلت هذه المدن محتفظة باستقلالها الذاتي وبعلاقاتها مع المدن اليونانية في البر الاوروبي. وفي ٥٤٨ ق.م خضعت ليديا ومعها المدن الايونية للاحتلال الفارسي والتي لم تبال كثيرا بتغيير السيد حيث ظلت محتفظة باستقلالها الذاتي وبعلاقاتها الخارجية ولكنها قبلت مع ذلك ما فرضه عليها الفرس من دفع ضريبة من دخلها على شكل جزية وتقديم عدد من السفن والجنود للامبراطورية الفارسية في حروبها المستمرة [١] .

ولكن الامور تغيرت عندما بدأ الفرس يتدخلون في الامور الداخلية لهذه المدن وما يدور في داخلها من نزاعات حول شكل نظام الحكم حيث ساند الفرس الحكم الفردي (حكم الطغاة) ، مما أدى الى تزايد السخط في هذه المدن ضد الحكم الفارسي وتكوين حلف تزعمته مدينة ميليتوس، قام بالثورة على الحكم الفارسي (٤٩٩-٤٩٤) ق. م وسعى للحصول على مساندة من المدن اليونانية الاوروبية . واستجابت اثينا وارثيريه لذلك، فارسلتا قوة عسكرية صغيرة مدعومة ب ٢٠ سفينة اثينيه ، الامر الذي اثار غضب الفرس واعتبروا اثينه المحرضة الرئيسة للمدن اليونانية على التمرد والثورة ، فقرر الامبراطور الفارسي دفع الخطر الاثيني وتأديب اثينا ، فوقعت سلسلة من الحروب امتدت من (٤٩٠-٤٧٩ ق.م).

بدأ الفرس عملياتهم العسكرية الفعلية في عام ٤٩٠.ق.م عندما ارسلوا قوة عسكرية كبيرة لتأديب مدينة أثينه التي قدمت المساعدة للمدن المتمردة الثائرة في آسيا الصغرى .نزلت الحملة الفارسية في سهل المارثون القريب من أثينه . وكان عدد الحملة حوالي خمسين الف جندي ابحروا الى اثينا من ساحل كليكا ، وقبل ان تصل الحملة الفارسية الى سهل المارثون قامت باحتلال ساموس وناكسوس وارثيرية المدينة الثانية التي انجدت المدن الايونية [١] ، وقد انتهت المعركة بانتصار الاثينين الذين كانوا بقيادة ميليتيادس ويعود سبب انتصار الاثينين الى اكثر من عامل :

١- يحي ، لطفي عبدالوهاب ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

١- خبرة ميليتيادس في اساليب الحرب الفارسية.

٢- تنظيم قوة الدورع الثقيلة التي ارسلتها بيلاطيا لنجدة اثينا .

٣- المواقع الحصينة التي رابط فيها اليونان وحمت ظهورهم وامنت طريق مواصلاتهم وخروجهم من سهل المارثون في حين رابط الفرس على ضفة المستنقع الذي يقع شمالي سهل المارثون الأمر الذي حرمهم من امكانية الحركة والمناورة .

٤- الجراة والشجاعة التي أبداها الاثينيون بالهجوم المباغت على الفرس وافشال خطتهم العسكرية التي تقوم على استخدام رماة النبال .

اما الجولة الثانية من القتال فكانت بعد عشر سنوات حيث حالت ظروف خاصة بالاوضاع الداخلية للامبراطورية الفارسية دون استمرار الحرب ودون ان يثأر الفرس لهزيمتهم، وفي سنة ٤٨٠ق.م تجدد الصدام وكان هذه المرة بين الفرس واتحاد المدن اليونانية، رغم ان هذا الاتحاد لم يكن كاملا .. حيث امتنعت اسبرطة وتلكأت عن الاشتراك في القتال بينما وقفت طيبة في موالاة الفرس ، اضافة الى ان هذه المواجهة لم تبق محصورة في نطاق ضيق بل امتدت على مساحة واسعة اذ شملت شبه جزيرة البلقان وجزر بحر ايجة وشواطيء المداخل الجنوبية للبحر الاسود ، وانها تمت على شكل مواقع حربية بحرية وبرية في مواقع متفرقة واهم هذه المواقع اربعة:

حدثت الموقعة الاولى في (ترموبيلاي) على الساحل الشرقي لليونان مقابل الطرف الشمالي لجزيرة يوبوية ، وفيها استطاع الفرس محاصرة قوة اسبرطية صغيرة بقيادة ليونداس والقضاء عليها قضاء تاما ، ودخلوا اثينا ودمروها تماما بعد انسحاب سكانها منها .

اما الموقعة الثانية فكانت في جزيرة سلاميس التي تقع قرب الشاطيء الجنوبي الغربي لشبه جزيرة اتيكا، وهي موقعة بحرية استطاع فيها الاسطول الأثيني بمساعدة القطع البحرية التي قدمتها المدن اليونانية ، أن الحاق هزيمة ساحقة بالاسطول الفارسي المدعوم بالاسطولين المصري والفينيقي وكان من اهم نتائج هذه المعركة أن انحسر الهجوم الفارسي عن بلاد

١- مدني ، صلاح ، تاريخ اليونان ، مرجع سابق ، ص٤١ .

اليونان، وتمكن اليونان من الانتقال من حالة الدفاع التي كانوا عليها حتى الآن الى حـ
الهجوم ، ولكن الفرس بعد انسحابهم من البر اليوناني تركوا قوة صغيرة في شمال با
اليونان توطئة لهجوم جديد .

وفي سنة ٤٧٩ عاود الفرس هجومهم من جديد ودخلوا أثينا التي تركها اهلها مرة ثا
ودمروها للمرة الثانية بعد ان عرضوا الصلح على اثينا التي رفضت عقد صلح منفرد ه
الفرس، وجدير بالذكر ان نشير الى ان اسبرطة كانت لا تشارك في هذه المعارك ، ولكنها وام
الضغط الشديد الذي تعرضت له اثينا وخوفا من ان تقوم بعقد صلح منفرد ، فيتفرغ الفر
حينئذ لها فقامت بارسال قواتها للاشتراك في معركة بلاتيا التي تعتبر بداية مرحلة الانتق
من الدفاع الى الهجوم ، فهزم الفرس وانتصر اليونان ثالثة فاضطر الفرس للانسحاب ا
البر الآسيوي في آسيا الصغرى فتابعهم الاسطول الاثيني ودمر الاسطول الفارسي ف
الموقعة الرابعة عند ميكالي ، مما جعل الفرس يفقدون كل امل يمكن ان تراودهم في اخضا
بلاد الرومان الاوروبية ، وابتعد الخطر الفارسي عن بلاد اليونان .

نتائج الحروب الفارسية اليونانية (الميدية)

تمخضت الحروب الميدية عن نتائج ذات اهمية بالغة لبلاد اليونان عموما وبالنسبة لأثي
على وجه الخصوص ويمكن اجمال هذه النتائج فيما يلي :

١- ابتعاد الخطر الفارسي عن بلاد اليونان الاوروبية .

٢- ارتفاع شأن اثينا وتثبيت الحكم الديموقراطي الذي كان حديث العهد في أثينا والذي استطاع ان يقود اثينا خلال هذه الحرب الى النصر .

٣- بروز شأن اثينا كزعيمة للمدن اليونانية وتقلدها فعلا هذه المكانة وخاصة بين المد
اليونانية في آسيا الصغرى حيث انها كانت المدينة التي تقدمت لمساعدة هذه المدن في تمرده
وثورتها على الفرس ، رغم ما جره ذلك عليها من خطر تدمير و تضحيات، مما جعل هذ
الدول/ المدن نفسها تلجأ الى اثينا لتكوين حلف دفاعي بين اثينا وبين المدن اليونانية ف
آسيا الصغرى ، خاصة وان اثينا برزت واظهرت نفسها كقوة مؤهلة لهذه الزعامة ، حينم
تابعت تقدمها بعد معركة ميكالي واحتلت مدينة سستوس sestos من السيطرة الفارسية .

حلف ديلوس :

امام هذا الواقع ، ولان الخطر الفارسي كان ما زال جاثما على البر اليوناني الآسيوي، ولان الهدف الذي من اجله قامت الحروب الميدية لم يتحقق بعد، الا وهو تحرير المدن الايونية من السيطرة الفارسية ، ورغبة في تحقيق هذا الهدف ، تلاقت مصالح الطرفين : مصلحة الدول الايونية في التحرر والتخلص من السيطرة الفارسية المتحكمة فيها والتي اثبتت الاحداث امكانية التخلص منها بعد الانتصارات اليونانية عليها ، والتي اصبح من المتوقع ان تعمل الدولة الفارسية على تقويتها واحكامها، تثبيتا لحدودها الغربية امام خطر التوسع اليوناني ، ومصلحة اثينا في تزعم هذه المدن والسيطره على هذه المنطقة ، لتوسيع وتثبيت نفوذها التجاري الذي رأيناه يتوجه الى هذه المنطقة بانظاره منذ ايام بيسستراتوس Pesistratos ، وكانت نتيجة تلاقي، مصالح الطرفين تكوين حلف يضم اغلب المدن اليونانية الواقعة على شواطيء بحر ايجة وعلى جزره وأثينا تتزعمه اثينا هو حلف ديلوس (٤٧٨ -٤٧٧ ق.م) نسبة الى جزيرة ديلوس التي عقد فيها اجتماع اقرار هذا الحلف ، واصبحت مقرا له ، ويعود الفضل في انشائه الى القائد الأثيني اريستيديس Aristides .

كان الاساس الذي قام عليه هذا الحلف هو ان تسهم كل مدينة من المدن اليونانية المشاركة بالحلف في الاستعداد لاي خطر يتجدد من جانب الامبراطورية الفارسية ، وذلك بتقديم عدد من السفن بغرض تكوين اسطول مشترك وبتقديم عدد من الجنود ، ومن حق هذه المدن اذا ارادت ان تستبدل الجنود والسفن بالاموال، وهذا مكن اثينا التي تعتبر اقوى الدول المشتركة في الحلف واغناها من تزعم هذا الحلف والقيام بتنفيذ اغراضه وهكذا استطاعت ان تقوم ببعض المعارك وتحقيق بعض الانتصارات على الفرس مثل موقعة يوريميدون وبامفيليه على الشاطيء الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى، والتي كان من نتيجتها تحرير كل القسم الجنوبي من المدن اليونانية الاسيوية وانضمامها الى حلف ديلوس .

تكوين الامبراطورية الاتينية :

كان تأسيس حلف ديلوس هو لمواجهة الخطر الفارسي بكل ما يمثله من اخطار على المدن اليونانية الاسيوية أو على المدن اليونانية الاوروبية وظلت الحاجة الى وجود هذا الحلف قائمة

ما دام الخطر الفارسي قائما ، ولكن بمجرد ان بدأ الخطر الفارسي يتلاشى اخذت بعض المدن الايونية تحاول الانسحاب من الحلف لانها احست ان الحلف قد فقد مبرر وجوده وهكذا وجدت اثينا نفسها امام احد خيارين .

الاول : ان تساير الاتجاه الجديد وتترك لكل مدينة من مدن الحلف حرية الاختيار في ان تبقى ضمن اعضاء الحلف او ان تتركه في اي وقت تشاء .

الثاني : ان تجبر الدول الاعضاء في الحلف على البقاء فيه رغم ارادتها ويتحول الحلف بالتالي الى امبراطوريةأثينية ، وبذلك تتحول المبالغ التي كانت تدفعها المدن اختياريا الى مبالغ اجبارية على شكل ضريبة تدفعها هذه المدن الى اثينه ، وقد اشارت الاحداث الى ان اثينا قد تبنت هذا الاتجاه عندما حاولت جزيرة ناكسوس الخروج من الحلف سنة ٤٧٩ ق.م ، فقامت أثينة بمحاصرتها واعادتها الى الحلف بالقوة ، واهم العوامل التي دفعت اثينا الى اتخاذ هذا الموقف هي :

١- ان الخطر الفارسي كان ما يزال موجوداولم ينحسر نهائيا عن المنطقة، أي ان الحلف لم يفقد بعد دواعي وجوده والدليل على ذلك ان آخر المعارك بين الاثينيين والفرس كانت قد نشبت على شواطيء قبرص (٤٥٠-٤٤٩)ق.م.

٢- بعض الاعتبارات الداخلية التي تدفع أثينا الى بقاء سيطرتها على الحلف ، فقد اصبحت اثينة مدينة كبيرة تركزت في ايديها تجارة بحر ايجه كما ازدهرت صناعياً وزاد عدد سكانها من الاجانب، بالاضافة الى زيادة عدد العبيد فيها ريادة كبيرة، كل ذلك كان بفعل انها اصبحت مركزاً لتجمع مدني كبير ومحوراً لنشاط اقتصادي مزدهر لجميع مدن الحلف. وان أية محاولة لتقويض الحلف تعني في الواقع هدم ذلك البنيان الاقتصادي الضخم وربما ادى ذلك الى تغيرات اجتماعية وسياسية ايظاً.

وقد شهد عصر الامبراطورية الأثينية فترة الحكم الديمقراطي وظهور عدد من الحكام المشهورين في تاريخ أثينا السياسي من اشهرهم إطلاقاً السياسي بريكليس(Percles) والذي كان من انصار الاتجاه الامبراطوري الأثيني(٤٦٢-٤٢٩)ق.م. والذي تدعمت في زمنه السيطرة الأثينية على مدن بحر ايجة، وقد عادت هذه السيطرة على أثينه بالازدهار الاقتصادي والفكري والاجتماعي والفني والسياسي، فقد شهدت هذه الفترة ظهور عدد كبير من المفكرين عرفوا

بالسوفسطائيين (المشتغلين بالحكمة) الذين ظهروا في أثينا او كانو من الاجانب الذين وفدوا اليها من المدن اليونانية الاخرى، كما ازدهر الفن ازدهارا عظيما في هذه الفترة حيث بنيت اعداد من المعابد والابنية العامة الاخرى، ومن اشهر الفنانين في هذه الفترة فيدياس.

على ان اهم تطور شهدتة هذه المرحلة وادى إلى ازدهار وقوة أثينا هو استكمال النظام الديموقراطي الذي ارست قواعده فيما سبق تشريعات صولون واصلاحات كليستينيس، وقد ساعد على هذا التطور السياسي ما شهده المجتمع الأثيني من وعي فكري وتنامي شعور الطبقة العامة بمدى الاسهام الذي حققتة في ما بلغته أثينا من تقدم وازدهار وانتصارات وسيطرة على حلف المدن اليونانية في آسيا الصغرى، وان الدور الذي لعبوه في كل اسهامات أثنيا كان كبيرا واساسيا في الوصول الى ما وصلت اليه.

وقد ظهر هذا الاتجاه نحو استكمال الخط الد يموقراطي في نظام الحكم في خطوات ثلاث:

الاولى: تقليص صلاحيات مجلس الشيوخ وهذه الخطوة تمت بشكل متدرج منذ تشريعات صولون وكليستينيس فبعد أن كانت عضويته قاصرة على الطبقة الارستوقراطية بحكم الانتماء القبلي تحولت الى ان تكون مرتبطة بالدخل.

الثانية: توسيع قاعدة المواطنين الذين يتم اختيار المجلس التنفيذي من بينهم،فبعد ان كانوا يختارون من بين اعضاء الطبقتين الاولى والثانية وسعت القاعدة لتشمل الطبقة الثالثة التي تشكل في غالبيتها من فرق المشاه الثقيلة،والتي يقع على عاتقها عبء رئيس في القتال ولذا جاء توسيع القاعدة ليشكل نوعا من المساواه او التعادل بين الواجب الذي يقومون به والحق الذي حصلوا عليه.

الثالثة: ادخال نظام المكافأة أو الاجر أو التعويض، على جلسات المحاكم الشعبية، ثم على حضور جلسات مجلس الشعب، وعلى شغل الوظائف الأدارية، وهذا سمح للمواطنين الفقراء الذين كانوا يحجمون عن الحضور الى جلسات هذه المؤسسات سابقاً "لا نشغالهم بأعمالهم التي منها يعيشون ويجدون ذلك اولى لهم واجدى من حضورها، نقول ان هذا الاجراء مكن عددا كبيراً من غير الاغنياء من تأدية هذا الواجب في هذه المؤسسات، وبذلك أقتربت الممارسه في هذه المؤسسات من ان تكون شعبية.

ان تصاعد قوة أثينا في هذاالجانب من العالم اليوناني قابله في الواقع قوة أخرى كانت قد وطدت دعائمها في الداخل هي اسبارطة، وقد اختلفت القوتان في مرتكزات قوتهما ونظم الحكم السائدة فيهماوالاتجاهات السائده فيهما ولكن حقيقة الأمر هو ان أثينا كانت تشكل الخطر الاكبر على النظام الاسبرطي، ففي حين تدعم النظام الديموقراطي في اثينا وازدادت مشاركة الطبقات الشعبية في الحياة العامة: في الانشطة الاقتصادية والفكرية والسياسية، وقيام أثينه بدعم وتشجيع الاحزاب الديمقراطية في المدن اليونانية الأخرى، وطبيعي ان الطبقات الشعبية تميل اقتصاديا الى نمط الاقتصاد المستند الى قاعدة تجارية صناعية، بينما يميل النظام الارستقراطي الى الارتكاز الى نمط اقتصادي يقوم على الزراعة وملكية الارض الأمر الذي كان سائدا في اسبارطه .

وقد رأينا أن أثينا كانت مسيطرة على حلف ديلوس، بينما كانت اسبارطة تسيطر على حلف المدن البيلوبونيزية، ورأينا كيف أن خشيتها من فقدان سيطرتها على هذا الحلف دفعها أبان الحروب الميدية وبالتحديد في نهايتها الى الانسحاب وعدم متابعة الحروب ضد القوات الفارسية تاركة المجال لأثينا لتفعل ذلك ولتصبح القوة الاقوى والمسيطرة على المدن الايجية والايونية ولتكون حلف ديلوس.

إن التناقض بين النظامين الأثيني والاسبرطي لم يكن ليشكل سببا وحيداً كافيا لاثارة النزاع بين القوتين اليونانيتين الكبيرتين، بل لا بد من وجود مبررات اخرى للاحتكاك بين هاتين القوتين، وقد جاء ذلك نتيجة للتوسع التجاري الاثيني الكبير و توسعها الصناعي، فلم تعد منطقة بحر ايجة مجالاً حيويا كافياً لها فاتجهت الى المياه الغربية تبحث فيها عن اسواق لتصريف تجارتها ، فاصطدمت مصالحها بذلك مع مصالح الدول البيلوبنيزية التجارية (مثل كورنثه وميغاره وسيكون)، وكان فتتيل النزاع في جزيرة كوركيره التابعة لكورنثه ذات الموقع التجاري الهام والتي تحرص على استمرارها تابعة لها ، ولكن خلافا بين سكانها وبين وطنهم الام كرنثة جعلهم يتجهون الى اثينا التي وجدتها فرصة سانحة للتدخل وضرب مصالح كورنته، فانتصرت اسبرطة لحليفتها كورنثه، وبدأت بذلك سلسلة من الصراعات عرفت باسم الحروب البيلوبونيزية واستمرت ثلاثة عقود تقريبا ، ومرت بثلاثة مراحل:-

الحروب البيلوبونزية

المرحلة الاولى (٤٣١-٤٢١ ق.م)

كانت على شكل مواقع غير حاسمة تميزت باجتياح سنوي اسبرطي للاراضي الزراعية الاتيكيه وتخريب المحاصيل ونهبها، يقابل ذلك قيام الاسطول الأثيني بمهاجمة السواحل البيلوبونزية ومحاولة قطع طرقها التجارية مع اسواقها الغربية ولكن ايا من الاجرائين لم يحقق النجاح المرجو، وقد انتهت هذه المرحلة بصلح عرف باسم سلم نكياس عام ٤٢١ نسبة الى نكياس الأثيني.

المرحلة الثانية:

حاولت فيها أثينا السيطرة على سيراكوزه والمدن اليونانية على البر الايطالي في صقلية ولكن الحملة فشلت وفر قائدها الأثيني الى الجانب الاسبارطي ودمر الاسطول الأثيني والقوات الأثينية براً وبحراً عام ٤١٣، ق.م ويعود سبب ذلك الى خلافات حزبية داخل أثينه نفسها.

المرحلة الثالثة:

استعانت فيها اسبرطة التي كانت تحتاج الى اسطول، بالاسطول الفارسي ضد أثينا وذلك بهدف الاستيلاء على الممتلكات الأثينية في مداخل البحر الاسود وقطع خطوط امداداتها التموينيه، وقد انتصرت أثينا في البداية في معركة ارجينوساي ولكنها هزمت في الموقعة التالية سنة ٤٠٤ ق.م في موقعة ايجوسبوتاي ودمر الاسطول الأثيني عن بكرة ابيه واستسلمت أثينا لاسبارطة وانتهت الامبراطورية الأثينية وبدأت اسبارطة محاولة السيطرة على المدن اليونانية وتكوين الامبراطورية الاسبارطية، وارسلت الى المدن اليونانية حكاماً" اسبارطين باسم المنسقين الذين تميزوا في سيطرتهم على هذه المدن بالشدة والصرامة وخاصة الدول اليونانية في آسيا الصغرى، مما جعل هذه المدن تذكر بكثير من الأسى ايام السيطرة الأثينية وتتحسر عليها وخاصة ان الاتفاق الذي عقدته اسبرطة مع الامبراطورية الفارسية لهزيمة أثينا كان يقضي باعادة المدن اليونانية الاسيوية الى الحكم الفارسي، الامر الذي اغضب اليونان واثارهم ضد اسبارطة وادى الى للعديد من المصادمات بين هذه المدن وبين اسبرطة.

واخيراً استطاعت طيبة ان تهزم القوات الاسبارطية في موقعة ليوكترا سنة ٣٧١ ق.م وحاولت بدورها فرض سيطرتها على المدن كبديلة لاسبارطة، ولكن سيطرتها لم تستمر طويلاً وقد حاولت اثينا احياء حلف ديلوس ثانية ولكنها لم تنجح لأنها حاولت السير بنفس الطريق السابق وارتكبت نفس اخطاء الماضي ففشلت محاولتها، وعقد صلح بين أثينا وحلفائها سنة ٣٥٤ ق.م اعترفت فيه أثينا باستقلال المدن اليونانية.

الفتح المكدوني لبلاد اليونان

ادت محاولات السيطرة والهيمنة التي قامت بها اثينا واسبرطة وطيبة بعدهما ، ومحاولة أثينا لاستعادة سيطرتها على الدول - المدن اليونانية الى تكون الاحلاف والى الصراع بين هذه الاحلاف فيما عرف باسم الحروب البيلوبونيزية كما رأينا ، هذا الصراع الذي انتهى بالفشل وعادت كل المدن الى التمسك باستقلالها وسقطت كل محاولات الوحدة وانتصر نظام الدول - المدن المستقلة المنفصلة ، وهذا وضع البلاد اليونانية في حالة عجز عن مواجهة اي تهديد خارجي ، خاصة ان القوى المسيطرة الكبرى في بلاد اليونان كانت قد خرجت من حلبة الصراع* منهوكة القوى، عاجزة عن درء الاخطار بمفردها ، واخذت اوضاعها العامة في الاضطراب والتدهور. فقد تناقصت الموارد الاقتصادية نتيجة الضعف المتزايد في التجارة الخارجية ، حيث بدأت بعض الاسواق التقليدية للصادرات اليونانية تطور قدراتها الخاصة وتصل الى درجة الاكتفاء الذاتي، كما شهدت المدن اليونانية تغيرات اجتماعية مرافقة للتغيرات الاقتصادية وناتجة عنها حيث انتشرت البطالة بين عمال المصانع نتيجة لضعف صادرات الفخار اليوناني، ومنافسته من قبل الفخار الايطالي . فاتجه اليونانيون الى العمل كجنود وبحارة مرتزقة عند الامم الاخرى ومن امثلتها المشهورة حملة كسينوفون المؤرخ اليوناني والتي تبلغ عشرة الاف رجل والتي حاربت تحت لواء الامير الفارسي قورش في صراعه على العرش ضد أخيه أرتاكسيركيس، وحملة اخرى حاربت تحت لواء الامبراطور الفارسي ضد مصر عام ٣٤٣ ق.م. وقد رأينا ان اتجاه اليونانيون الى العمل كمرتزقة لم يحدث منذ القرن الرابع فقط ق.م، حيث ازداد اتجاه اليونان الى مصر للتجارة وعمل بعضهم كمرتزقة في الجيش المصري، وقد استخدم الفرعون (بسامتيخ الاول) (٦٦٥ -٦١١) عددا كبيرا من هؤلاء الجنود اليونان المأجورين . واسكنهم في بادئ الامر في مستعمرات خاصة عند (دفنه) ، كما عملوا في حرسه الخاص ، كما انشيء على الساحل المصري مصنع يوناني للسفن في عهد الفرعون (نخاو)، وفي عهد الفرعون (اماسيس) اتخذت بعض التدابير التي كان من نتيجتها تاسيس مدينة نوقراطيس، كما كان حرسه الخاص من اليونان وكما كانت زوجته اميرة يونانية[1]

---

(١)مهاد ، محمد كامل ، مرجع سابق ١٢٩ .

ولكن حركة الارتزاق لم تقتصر على الخدمة في الجيوش الخارجية، بل تعدتها الى العمل في جيوش المدن اليونانية نفسها ، حيث بدت بعض المدن اليونانية تعتمد عليهم في شؤون الدفاع والحماية بدلا من المواطنين ، مما نتج عنه تقاعس المواطنين عن القتال وضعف الروح العسكرية في نفوسهم ، مما ادى الى تدهور اوضاع هذه المدن وعجزها عن حماية نفسها ضد اي غزو خارجي .

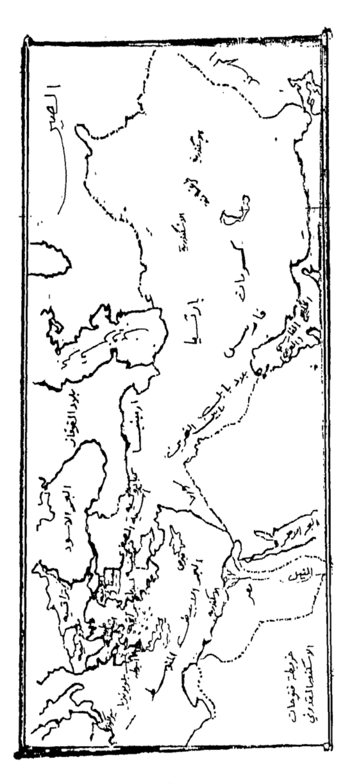
كما تدهور الوضع السياسي في المدن اليونانية ، فازداد الصراع بين الطبقات الغنية والفقيرة حدة ، وتفشت الانانية في النفوس واستحكمت روح العداء بين الطبقات . فقد اخذ الاغنياء يخفون ثرواتهم تهربا من الضرائب كما اخذت المحاكم الشعبية تبالغ في تقدير العقوبات المالية ضد الاغنياء خاصة ، وشاعت ظاهرة المخبرين الذين كانوا يعملون جواسيس ضد الاغنياء. وخير مثال يوضح انانية الناس وعدم اهتمامهم بمصلحة مدينتهم وتقديم مصلحتهم الخاصة على المصلحة العامة ، رغم ان الظروف كانت تقتضي العكس هو ما يرتبط بضريبة المسرح . فقد كان الاثينيون حريصين على الحصول على معونة المسرح ، وهي مبالغ مالية كانت تصرف للاثينيين المحتاجين من الاموال العامة حتى يتمكنوا من حضور الاحتفالات الموسمية او الرسمية السنوية، التي كانت تقيمها الدولة وتعرض فيها المباريات المسرحية . وقد وصل هذا الحرص في اواسط القرن الرابع ق . م الى درجة اصدار مجلس الشعب قرارا يفرض ادخال كل فائض الموازنة الى خزينة اموال المسرح بدلا من حزينة الدفاع ، وان ينزل اقصى العقاب في كل من يحاول تغيير هذا الوضع. مما ادى الى جعل المدن اليونانية كلها وليس اثينا فقط في وضع العاجزة عن مواجهة الخطر المكيدوني .

كانت مكيدونيا تضم المناطق الواسعة الواقعة شمال بلاد اليونان وهي المناطق ذات الامكانات المعدنية الكبيرة والاراضي الزراعية الشاسعة والغابات الكثيفة ، والمراعي الواسعة ، وقد استطاعت في عهد ملكها فيليب ان تتحول من دولة ضعيفة مفككة يسيطر عليها الارستوقراطيون الى دولة قوية اخذت ترنو بأبصارها صوب بلاد اليونان .

بدأ فيليب بالاستيلاء على المدن اليونانية واحدة تلو الاخرى بطريقة القضم لقمة لقمة، حيث كان يحاصر المدينة ، ويهادن المدن الاخرى ويسالمها، ثم ينتقل الى غيرها وهكذا . وحين تنبهت اثينا وطيبة الى ما يفعله فيليب قاما بتوحيد قواتهما لمواجهته ولكن الوقت قد فات ،

واستطاع الملك فيليب هزيمة الجيوش الاثينية / الطيبية هزيمة ساحقه في معركة خايروني شمال بويوتيه عام ٣٣٨ ق . م .

قام الملك فيليب المكدوني بعد احتلاله اليونان بتنظم اوضاعها الداخلية فانشا منها جميعا الحلف الهيلليني وجعل مركزه كورنثه . وجعل لهذا الحلف مجلسا يضم مندوبين عن كل المدن اليونانية على البر الاوروبي وكانت مهمته الرئيسه : ان يزود الملك المكدوني بما يحتاجه من القوات المقاتلة حين يحتاج، وان يشيع السلام بين المدن اليونانية عن طريق اصدار تشريع يحرم الحرب بين هذه المدن وحل الخلافات بالطرق السلمية عن طريق محكمين يفضون ما ينشأ بينها من نزاعات ، وعندما مات فيليب خلفه ابنه الاسكندر المكدوني الذي قاد الجيوش اليونانية في غزو سريع للشرق ادى الى توسع اليونان ، والفكر والثقافة اليونانية في الشرق وامتزاجها بالفكر والثقافة الشرقية ونشوء ما عرف باسم الثقافة الهيللنيستيه .


خريطة فتوحات
الإسكندر المقدوني
فارس
البحر الأسود
النيل
البحر الأحمر

الفصل الثالث

مظاهر الحضارة اليونانية

بعد ان استعرضنا التطور التاريخي لبلاد اليونان ، واهم المؤثرات التي اثرت على هذه البلاد واسهمت بتكوين حضارتها ، لا بد لنا ان نستعرض وبايجاز اهم مظاهر هذه الحضارة.

اولا : المظهر السياسي:

تميزت الحياة السياسية في بلاد اليونان بسيادة نظام الدول المدن (Polis) لدرجة ان كل محاولات الوحدة ، سواء اكانت محاولات طوعية ، ام محاولات قسرية قامت بها اثينا ام اسبرطة ، ام طيبة كان مآلها الفشل ، لان اليونان قد ارتبط نظام الحكم في ذهنهم بهذا الشكل من التنظيم السياسي . وقد ساعدت العوامل الطبيعية في ذلك ، حيث رأينا ان بلادهم تتميز بقلة السهول وكثرة الجبال وقلة الانهار الصالحة للملاحة ، وكثرة الوديان والشعاب ، التي تجعل من بلاد اليونان عبارة عن رقع متناثرة عن بعضها البعض ، ليس لها من منفذ الا على البحر . واصبحت هذه المناطق او الرقع مستقرا لجماعات صغيرة ما لبثت ان اصبحت مراكز لوحدات سياسية مستقلة ، عرفت فيما بعد باسم الدول - المدن . ولكن هذه الدول/المدن كانت بسبب ضعفها حريصة على التكتل مع جاراتها في عصب او احلاف لمواجهة الاخطار المحتملة من عدو خارجي ، وتظهر هذه الاحلاف والعصب بشكل اكثر وضوحا اذا وجد هذا العدو فعلا ، وتختفي اذا زال هذا الخطر ويعود الاعضاء الى استقلالهم مرة اخرى، ورغم ذلك يلاحظ انه قد ظهرت في القرن السابع ق . م بعض العصب التي انطلقت من منطلق ديني كعصبة الاله ابولو(Applo) والتي ينتمي معظم اعضائها الى الاصل الدوري.

وكان لا بد لقيام احدى هذه المدن الحرة من توفر شروط عدة يمكن حصـــرها فيما يلي:[1]

١- حاطوم ، نور الدين (١٩٦٨) ، موجز تاريخ الحضارة ، مرجع سابق ٤١٠ - ٤١١ .

١- ان يكون لكل مدينة وسائل الدفاع ، حيث يكون لكل مدينة تل حصين ، اكروبول Acropoles او عدة تلال ، وتقوم على سفح هذا التل مساكن الافراد والاسواق في منطقة منخفضة واسعة ، ولهذه المنطقة المنخفضة سور او اسوار . وبجوار هذه المنطقة اقليم المدينة، ويحيط بها اقليمها الذي هو المنطقة الزراعية التابعة للمدينة والتي تختلف مساحته وطريقه استغلاله ، حسب طبيعته الجغرافية وقد يقوم في الاقليم ميناء المدينة وبعض القرى والمدن الصغيرة التابعة للمدينة الكبيرة .

٢- ان يكون لكل مدينة الهها الخاص ، حيث يقام في كل مدينة مذبح عام تقدم فيه القرابين ، وتقام الطقوس ، وعندما كان النظام الملكي شائعا كانت القرابين تقدم في المذبح العام الموجود في القصر الملكي

٣- لكل مدينة قاعة رسمية (بريتانينوم Prytaneum) هي مقر السلطة الحاكمة اي حيث يقيم الحاكم وقد رأينا المشرع الاثيني صولون يعلق تشريعاته على جدار القاعة ، المشار اليها .

٤- لكل مدينة بناء لاجتماع المجلس الاستشاري اطلق عليه اسم البولي Poule.

٥- لكل مدينة سوق عام (الاغورا Agora) يجتمع فيه العامة ونتيجة لتزايد اعداد السكان لم تعد هذه الساحة العامة تتسع للاجتماع فاصبح يعقد في مكان آخر حملت هذه الاجتماعات اسم المكان الذي عقدت فيه، فاصبحت تدعى الجمعية الشعبية اكليزيا Eclesia في اثينا مثلا ابيلا في اسبرطة وهيليا في مدن اخرى .

مما يلاحظ على المدن اليونانية في الغالب صغر مساحتها وقلة عدد سكانها ، فلم يتجاوز عدد السكان في معظم المدن اليونانية ١٠٠٠٠ نسمة لكل واحدة ، باستثناء عشرين مدينة منها وكانت كل مدينة يونانية تتمتع بميزات ثلاث هي :

- الحرية - حق حكم نفسها بنفسها .
- والاعتماد على ذاتها لسد حاجاتها[1].

١-حاطوم، مرجع سابق، ص ١٢٤تطور نظام الحكم في اليونان :

-مرت نظم الحكم عند اليونان بعدة مراحل حيث عرفت مدن اليونان عددا من نظم الحكم

اولها النظام الملكي ثم النظام الارستوقراطي ، ثم نظام حكم الاقلية (الاولغاركي)، فنظام حكم الفرد المطلق او ما سمي بعهد الطغاة وآخر ها النظام الديموقراطي . ومما ينبغي الاشارة اليه هنا ، انها لم تمر بنفس مراحل التطور كلها . بل توقفت عند احدها، او انها لم تمر بنفس مراحل التطور هذه اصلا ، ويعود ذلك غالبا الى ان كل مدينة يونانية كانت تشكل وحدة جيو سياسية مستقلة لها ظروفها الخاصة التي حددت شكل ومسار التطور الذي تمر به .

وسنعرض فيما يلي بايجاز لكل مرحلة من مراحل التطور التي مر بها النظام السياسي الاغريقي .

١. النظام الملكي :

رأينا فيما سبق ان وظيفة الملك قد تطورت بشكل تدريجي وطبيعي حسب التطور الذي سارت فيه الجماعات البشرية في اي تجمع من تجمعات الانسان الاولى ، ولم تشذ التجمعات المدينية اليونانية عن ذلك ، فقد كان الملك في الاصل رئيساً لاحدى القبائل او حاكما لاحدى الجماعات المتحدة (اي ملكاً) ، وقد اشار هوميروس في اشعاره الى ذلك ، حيث ذكر ان الملك كان واحدا من بين رؤساء آخرين تختلف مراتبهم . ان هذا الوصف يوضح الطريقة التي تطورت بها سلطة الملوك عند اليونان ، ورغم ذلك نجد لديهم اعتقاداً بان ملوكهم قد انحدروا من سلالة الآلهه ، وانهم محاطون برعاية وعناية زيوس ، ومن الطبيعي ان اعمالهم تتم بوحي وايعاز من الالهة . وتتم انتقال السلطة الملكية من السلف الى الخلف بالوراثة اي من الأب الى ابنه اذا توفرت في الابن صفات الشجاعة ، ورجاحة العقل ، والفصاحة والبلاغة .

اما سلطات الملك فهي ثلاثة ، **السلطة الدينية** ، فهو الرئيس الديني الذي يقدم القرابين للالهة يوميا باسم الشعب بغية الحصول على رضاها . وهذا يفترض فيه ان يكون عارفا

١- عاطوم ، نور الدين ، مرجع سابق ، ص ٤١٤ .

بالامور الدينية من طقوس ومراسيم ، ويعمل الملك على احتكار المعرفة بهذه الطقوس واخفائها حتى عن افراد اسرته ، ويفصل الملك في الخلافات التي تنشأ بين رعاياه ، وتتصف احكامه بالحكمة التي يستمدها من زيوس كما رأينا . ولم يكن الملك يحكم وفق قوانين ثابتة مكتوبة مدونة، بل كان يستمد احكامه من المصدر الالهي . **والسلطه التشريعية** حيث يقوم الملك بدعوة المواطنين الاحرار المتمتعين بالحقوق المدنية الى الاجتماع بالساحة العامة (الاغورا) حيث تعرض عليهم القضايا للمناقشة ، وكان للرؤساء وحدهم حق الكلام في الساحة العامة، ويقوم الملك بعد المناقشة باصدار القرارات وكان المواطنون الاحرار في المجتمع المديني اليوناني يتألفون من اربع طبقات كما ورد معنا سابقا . هي النبلاء، ويعتقد بانحدارهم من الالهة وهم الذين يملكون الاراضي والثروة ،وصغار ملاك الاراضي ، والصناع ، والفقراء العاملون في المهن اليدوية كالزراعة والصناعة والملاحة مقابل اجر ، وكانت الحقوق المدنية من حق الطبقتين الاولى والثانية . **والسلطة العسكرية**، حيث كان يفترض في الملك الشجاعة والحنكة ، والخبرة الحربية فقد اسندت اليه قيادة الجيوش في الحروب ، وحتى عندما تضاءلت سلطة الملك وسحبت منه معظم وظائفه فانه حافظ على الوظيفة الحربية شكلا ، حيث كان لا بد من مرافقة الملك للحملات العسكرية التي تقوم بها جيوش مدينته . ويساعد الملك في حكمه مجلسا استشاريا مكونا في الغالب من رؤساء الجماعات القبلية والاسر الكبيرة في المدينة ، ولم تكن قرارات المجلس ملزمة للملك بل العكس هو الصحيح حيث كان كل رئيس جماعة ملزما بتنفيذ قرارات الملك في جماعته .

٠٢ النظام الارستوقراطي : (حكم الافضل)

اخذ النظام الملكي يضعف في معظم المدن اليونانية ، حيث اخذت الطبقة الارستوقراطية بسحب سلطات الملوك والاستئثار بها ، ولا يعلم بالضبط أي هذه السلطات قد سحبت اولا ، ولكن ما يمكن تاكيده هو أنه ما ا نجاء القرن الثامن ق .م حتى كان يشارك. الملك في الحكم موظفان آخران هما الحاكم (أرخون Rchon) (والقائد Polinarch) ، ولم يعد للملكية كيان مستقل كالسابق الا في اسبرطة حيث كان يحكم المدينة ملكان بجوارهما مجلس للشيوخ يمسك بيده زمام الامور . وتحولت السلطة الى افراد الطبقة الاولى من النبلاء الارستوقراطيين الذين

كانت لهم الخبرة بالحكم ، والمنزلة الرفيعة والمكانة في نفوس العامة بالاضافة الى الثروة التي تساعدهم في الحكم، وبذا انتقل النظام من المرحلة الاولى الى المرحلة الثانية وهي حكم الارستوقراطية [1] ولم يؤد انتقال الحكم الى الارستوقراطية الى حدوث تغييرات دستورية جذرية ، ولكن ما حدث فعلا هو ازدياد اهمية مجلس الشيوخ الذي يتكون من افراد الطبقة الارستوقراطية ، كما فقدت الجمعية الشعبية اهميتها طيلة هذه المرحلة من نظام الحكم رغم ان افراد هذه الطبقة الحاكمة كانت شديدة العطف على الطبقة الشعبية وكثيرا ما استخدموا سلطاتهم لمصلحة افراد الطبقات الشعبية الفقيرة .

٠٣ النظام الاوليغاركي (نظام حكم الاقلية):Oligarchy

وهي المرحلة الثالثة التي انتقل اليها نظام الحكم في اليونان وذلك نتيجة تحول افراد الطبقة الارستوقراطية من الاهتمام بمصلحة المجتمع العامة الى التركيز على مصالح افراد الطبقة الارستوقراطية الضيقة وتسخير الامكانات جميعها لمصلحتها واهمال مصالح الطبقات الاقل شأنا ، وكانت اهم السلطات التي حاول افراد طبقة النبلاء تسخيرها لمصلحتها ، الوظيفة الدينية حيث احتكروا وظيفة تقريب القرابين واستشارة الآلهة قبل القيام بأي عمل ، كما حرصوا على ترؤس الاحتفالات الدينية وطقوس الزواج ، والطقوس الجنائزية واحتكروا لانفسهم حق سداته الاماكن المقدسة والاشراف على الاراضي الموقوفة على للمعابد والموقوفة للآلهة .

ان شعور النبلاء بأهمية طبقتهم وبأهميتهم الدينية جعلهم ينظرون باستعلاء الى افراد الطبقات الثلاث الاخرى، وجعلهم يشعرون بضرورة التميز والتفرد عن بقية الطبقات ، كما انهم شعروا بانهم اكثر من بقية الطبقات معرفة بالقانون والعادات والتقاليد وبالاسس التي تستند اليها ملكية الارض، وعملية انتقالها بالوراثة ، او البيع ، او طرق معاملة المدينين العاجزين عن سداد ديونهم وغير ذلك من الامور القضائية ، فاخذوا يطبقون القوانين والقواعد والاعراف لمصلحتهم الخاصة، وما انطبق على السلطتين الدينية والقضائية ينطبق على الشؤون العسكرية، حيث كان افراد هذه الطبقة هم قادة الفرق العسكرية وهم المقاتلون الحقيقيون بينما عامة الشعب لا يمكنها فعل ذلك، ولذا فليس لهم حقوق مساوية لحقوق افراد الطبقة الارستوقراطية.

وفي القرن السابع ق.م حدثت تطورات اجتماعية واقتصادية عميقة في بلاد اليونان ، حيث انتقلت المدن اليونانية من مدن صغيرة تعتمد على الانتاج الزراعي الى مدن كبرى كثيفة السكان تعتمد على التجارة ، فعمدت هذه الطبقة الارستوقراطية الى السيطرة على هذه الموارد التجارية وجني الثروات مما عمق الهوة بينها وبين الطبقات الشعبية فاصبحت بذلك تسيطر على الارض، والمال والسلطة ، ودخلت في نزاع مع الطبقات الفقيرة المتضررة من ذلك ومع الطبقة الوسطى التي كانت تبحث عن فرص المشاركة في الحكم وتسيير دفة الامور في بلادها ، وبذا اخذت مصالحها تتعرض للتهديد الامر الذي دفعها الى احكام سطرتها على الامور وهذا ما سمي بحكم الاقلية حيث كانت قلة من المواطنين تدير دفة الامور هذا النظام من الحكم الذي سماه اليونان Oligarchy ومعناه حكومة الاقلية ، والتي يميزها :

١- تركز السلطة في يد مجلس اقتصرت عضويته على عدد محدود يتمتع بعراقة الاصل اووفرة الثروة حسب نوع الطبقة الحاكمة ،

٢- التمتع بالحقوق السياسية حكرا على عدد محدود من الافراد ممن تتوفر فيهم بعض الشروط الخاصة المتعلقة بعراقة الاصل او الثروة . ولذلك لم يفز بعضوية الجمعية الشعبية في المدن اليونانية التي اخذت بهذا النظام الا من كان يتوفر فيه هذه الشروط الخاصة .

٤. حكم الطغاة او نظام حكم الفرد المطلق Utyrant:

ادى الازدهار الاقتصادي وما صحبه من تغيرات في مصادر الثروة الى تغيرات اجتماعية ذات اهمية كبيرة ، فقد ظهرت طبقة وسطى من الاغنياء الذين اثروا نتيجة اشتغالهم بالتجارة . وقد ساعدهم ثراؤهم على الاندماج مع طبقة الارستوقراطيين النبلاء . خاصة الاوفر ثراء منهم ، بينما بقية الطبقة فقيرة قليلة المشاركة السياسية في المجتمع اليوناني ، ونتيجة لتحكم طبقات الاقلية اخذ عدد افراد الطبقة الوسطى بالتناقص نتيجة لثقل الاعباء المالية عليهم، وتدريجيا اخذ المجتمع اليوناني يتحول الى مجتمع ثنائي التركيب اي انه يتكون من طبقتين اخذ عدد افرادهما بالتزايد ، الطبقة الارستوقراطية التي اندمج فيها الاغنياء من الطبقة الوسطى ، والطبقة الفقيرة التي انضم اليها من ساءت احواله الاقتصادية . وزادت حال الطبقات الفقيرة بؤسا نظرا لارتفاع مستوي المعيشة في المدن وتدني اسعار الحاصلات الزراعية بفعل المنافسة

الخارجية ، واضطر الفقراء من فلاحين وصناع الى الاستدانة، وهذا اوقعهم تحت رحمة المرابين الجشعين ، وبسبب عجزهم عن سداد ديونهم وقعوا في العبودية فزاد الحقد والسخط في نفوسهم على من كان سبب تعاستهم، فهجروا مزارعهم وجاءوا الى المدينة يبحثون فيها عن لقمة العيش وعن العمل . وتكاثرت اعدادهم في المدن وبدأوا يشاركون في الحياة العامة واخذوا يطالبون بحقوقهم السياسية ، وشكلوا بالتالي ما يمكن تسميته بجيش الثورة على الاوضاع المتردية السائدة آنذاك ، وكانوا ينتظرون من يوجههم ، اويلوح لهم مجرد تلويح بامكانية الحصول لهم على حقوقهم لينتخبوه دون ادنى تردد، وكونت الطبقة الغنية في المقابل تجمعا او حزبا يقابل ما سمي فيما بعد الحزب الشعبي وقامت الثورات الدامية ، وقتل وقتل مضاد ، مما استدعى وجود قوانين تحكم البلاد وتضع الامور في نصابها ، والى وجود رجل قوى يدعم هذه القوانين ويجبر طبقة الاقلية الارستوقراطية على الالتزام بها ، خاصة وان طبقة العامة قد لاحظت ان الطبقة العليا تحاول منع اي اصلاح في اتجاه يعاكس مصلحتها الخاصة، مما جعلها تدعم تعيين حاكم فرد مطلق تتمنى ان تصل عن طريقه الى الحصول على حقوقها التي تحرمها الطبقة الاستوقراطية منها ، هذا الحاكم الفرد اصطلح على تسميته باسم Tyrant ويعني الطاغيه وغالبا ما كان هؤلاء الطغاة يصلون الى الحكم نتيجة ثورة شعبية يقوم بها العامة ضد الاوليغاركية ، وقد لعب هؤلاء الطغاة دورا كبيرا في تقليص نفوذ الطبقةالارستوتوقراطية ودعم مشاركة طبقة العامة بشكل اكبر في الحياة العامة وارساء اسس النظام الديموقراطي. ويجدر الاشارة الى ان نظام حكم الطغاة لم يظهر الا في المدن اليونانية التي عمها الرخاء ونعمت بالرفاه المادي في القرن السابع ق .م نتيجة اشتغالها بالتجارة ومشاركتها بحركة التوسع الاستعماري. لانه وفي هذه المدن ظهرت طبقة الاثرياء ، وطبقة الفقراء او التناقض الاجتماعي الذي اشرنا له سابقا . وكان الطاغية وقبل وصوله الى الحكم من كبار موظفي الادارة في هذه البلاد ، او احد القادة العسكرين ، وقد استعان بعضهم من اجل الوصول الى الحكم بفئة من الانصار المسلحين، الذين اعانوه على بلوغ هدفه عندما غدت الظروف ملائمة لتحقيق مشروعة ، ويمكن ان يكون بيزيستراتوس الزعيم الاثيني خير مثال على ذلك حيث وصل الى الحكم عن طريق الجمعية الشعبية ، اذ تقدم اليها طالبا السماح له باتخاذ الحرس الخاص لحمايته مدعيا تعرضه لاعتداء على حياته فوافقت الجمعية على طلبه الا ان

صولون المشرع، الذي رأى في طلبه محاولة للوصول الى الحكم والاستئثار بالسلطة ، وكانت الفئة الاكثر معارضة له هي الطبقة الارستوقراطية ، ولذا عملت على التخلص منه في مرتين قبل ان يستلم السلطة للمرة الثالثة بمساعدة قوة خارجية والأمر الذي دفعه الى ان يسلك سياسة معادية لهذه الطبقة. كان الحكام الطغاة في كل مدينة يونانية يتخذون الاكروبول مقراً لهم، حيث يقيمون يحميهم حرس قوى مد جج بالسلاح ، وكانوا غالبا ما يقومون بنفي اغلب الرجال الاقوياء في مدينتهم الذين يمكن ان يكونوا منافسين لهم ، كما كانوا يجردون سكان المدينة من اسلحتهم ، اما الذين لا يقومون بنفيهم فيأخذون منهم رهائن تضطرهم الى الاخلادالى السكينة ، وقد اعتمد كثير منهم في حكمه على القوانين والزم بعضهم نفسه بها ، فنري بيزيستر اتوس، رغم انه ابطل العمل ظاهريا باصلاحات صولون الا انه كان يلتزم بالقوانين ويحترمها ويحرص على مراعاتها في كل عمل يقوم به ، وكثيرا ما عمدوا الى اصدار قوانين هدفوا منها الى توطيد سلطتهم و زيادة نفوذ طبقة العامة ، وتقليص نفوذ الاولغاركيين، وكثرا ما كان الطغاة يستعينون بحكمهم باقاربهم والمقربين اليهم لدرجة ان حكمهم كاد ان يصبح اسريا [1] ونادرا ما كان الواحد منهم يلجأ الى الجمعية الشعبية لاخذ رأيها في قضية ما واذاً فعل ذلك ، يفعله تمويهاً أو زراًللرماد في العيون، وفي ظل حراسة الحرس المسلحين ، الامر الذي يدفع الجمعية الى اتخاذ القرار الذي يرضى عنه الطاغية حرصا على حياة افرادها ، وفي نفس الاطار كان يسمح بعقد المحاكم في القضايا الخاصة .

اما بالنسبة لسياسة هؤلاء الطغاة تجاه العامة ، فقد حاول هؤلاء الطغاة ان يرضوا افراد هذه الطبقة وان يحسنوا وضعها المادي فقاموا بعدة اجراءات في هذا السبيل:– توزيع اراضي الارستوقراطيين المنفيين او المقتولين على طبقة العامة ، وحظر استقدام عبيد جدد الى مدنهم للقضاء على البطالة وضمان اجور مرتفعة للعمال الموجودين اصلا فيها ، والاهتمام بايجاد المشاريع العمرانية والانشائية التي توفر لهؤلاء العمال العمل الضروري، الامر الذي سينعكس على الاقتصاد في المدينة فيزدهر سوق العمل فيها ، كما حرص بعضهم على انشاء المستعمرات في البلدان الخارجية لتشجيع تجارة مدينته ولضمان الاسواق والموارد الضرورية

١– حاطوم ، نور الدين ، مرجع سابق ، ص ٤٢٥

له ، ففي هذا العصر انشأت كثير من المستعمرات اليونانية في وعلى شواطيء البحر الاسود وقرب المضائق البسفور والدردنيل .

ومن مظاهر الحياة التي لاقت دعما وتشجيعا في عصر الطغاة الانشطة العلمية والادبية والفنية ، وذلك لان الطغاة حرصوا في معيشتهم على احاطة انفسهم بمظاهر العظمة والابهة وتقليد الملوك في بلاطاتهم ونتيجة لذلك استقطبت حياتهم هذه ، بالاضافة الى تعلقهم بالعمران، كبار الفنانين من نحاتين ومثالين وشعراء ، وهذا من السلوك الطبيعي لكل طاغية ان يحيط نفسه بمجموعة من العباقرة الموهوبين في كل فن وتنافسوا في ذلك ، وهكذا شيد في عصر الطغاة روائع المنشآت اليونانية التي عرفها العالم فيما بعد .

ومن المظاهر التي تميز عهد الطغاة ، الروابط القوية التي كان الطاغية يحرص على ان يقيمها مع الطغاة الاخرين ،الحرص على إستتباب الامن في مدينته ، وللتعاون فيما بين بعضهم البعض لحماية نظام حكمهم من محاولات الاوليغاركية لاستعادة سلطتها ،وقد بلغت هذه الروابط من القرب والمتانة انهم حرصوا على تاكيدها وتوثيقها بالاصهار الى بعضهم .

٠٥ النظام الديموقراطي :

لم يستمر حكم الطغاة طويلا في بلاد اليونان ، حيث ترك مكانة للمرحلة التالية التي عمل هو نفسه على التمهيد لها وهذه المرحلة هي مرحلة الحكم الديموقراطي ، باستثناء مدينة سيكون sicyon التي استمر فيها حكم الطغاة حوالي قرن توالى فيه على حكمها افراد من اسرة اورثاغوراس ، نجد انه على الرغم من حرص كل طاغية على استمرار الحكم في اسرته فقل ما استمر هذا المنصب الى ما بعد الابن الاول . وذلك لان العامة كانوا يحرصون على استمرار وجود الطاغية طالما يحقق لهم ما يريدونه من مكاسب وحقوق ومن تقويض لصرح النظام، الاوليغاركي ، فاذا شعروا بان هؤلاء الطغاة سيتحولون عن هذين الهدفين ويبدأون في التحول الى حكام وراثيين غالبا ما لا يعترفون للعامة بالفضل في ايصالهم الى الحكم وليس هناك والحالة هذه ما يجبره على رعاية مصالح العامة بل أن بعضهم اتجه الى مقاومة هذه المصالح والتنكر لها ، وثقلت وطأتهم على العامة الذين بادروا الى القضاء على حكم الطغاة بعد أن كانوا قد دعموه ، وانشاءوا بالمقابل نظاما جديدا يقوم على حكم الشعب الذي يتمتع افراده في

ظله بحقوقهم السياسية كاملة ، هذا الحكم الشعبي عرف باسم النظام الديموقراطي ، وقد سجل عند اليونان نوعان من هذا الحكم : المعتدل ، والمتطرف . وتقوم الفوارق بين نوعي الديموقراطية اليونانية على اختلاف المؤهلات اللازمة التي تتيح للفرد التمتع بحقوقه المدنية كاملة ، وعلى اختلاف نوع السلطات التي غدا الشعب يمارسها بصورة كاملة ومباشرة .

ففي الديموقراطية المعتدلة يحق للمواطنين ان يكونوا اعضاء في الجمعية الشعبية ، وكانت صلاحيات الجمعية الشعبية في ظل هذا النوع من الديموقراطية محدودة ، كما يفترض في المسئولين الذين يتولون المنصب العامة ان يكونوا ممن يدفعون مبالغ مالية معينة كضرائب ، اما في الديموقراطية المتطرفة فكان جميع المواطنين يتمتعون بحقوق وامتيازات متساوية اضافة الى ان الضريبة لم تكن شرطا لتولي المناصب الحكومية بل كانوا يصلون الى مناصبهم بالاقتراع . سلطات الجمعية الشعبية كانت واسعة وغير مقيدة ، فقد كان لها حق الاشراف على ادارة وسياسة الحكومة ، وسواء أكانت الديموقراطية السائدة معتدلة ام مقيدة فكلها اشتركت في انها اعلت من شأن الخطابة التي كانت الوسيلة التي يستعملها السياسي لاقناع اعضاء الجمعية الشعبية بسداد رأيه .

وسواء اكانت الديموقراطية من النوع المعتدل ام المتطرف فقد وجد فيهما هيئتان عامتان هما : الجمعية الشعبية الاكليزيا ومجلس البولي ومهمته :

١- تهيئة ما يجب عرضه على الجمعية الشعبية من امور .

٢- الاهتمام بأدق امور الادارة .

٣- تنفيذ قرارات الجمعية الشعبية .

ثم تشكلت هيئة أخرى انبثقت من المجلس هي المحاكم الشعبية التي رأينا تشكلها نتيجة اصلاحات كليستينس ، وهذه المحاكم التي تتشكل في الغالب من قضاة يتم اختيارهم من الشعب ومن قبله ، ولذا اصبحت مثلها مثل الجمعية الشعبية المكان الطبيعي الذي يمارس فيه الشعب سلطاته ، ونتيجة ذلك كانت ان قرارات هذه المحاكم اكتسبت الصفة القطعية الامر الذي اعطاها صفة متميزة واعلى من شأنها وادى الى دعم سلطة القانون . ومما يؤخذ عليها أن القضاه كانوا في كثير من الاحيان يتجاوزون صلاحياتهم ويتعدون القانون مما جعل الديموقراطية تتحول في هذه الحالة الى نوع من الفوضوية (الديماغوجية) التي تقوم على

التحكم في نزوات الشعب وخاصة اذا كان الامر يتعلق بالقضايا التي تمس افراد الطبقة العليا (النبلاء والاغنياء) .

ويجدر الاشارة هنا الى ان اهم ما يميز النظام الديموقراطي هو تمتع الافراد جميعا بحرية الفكر وابداء آرائهم ، مما دفع كثير من المفكرين الى دراسة النظم السياسية السائدة والمقارنة بينها ، والى محاولة وضع نظريات سياسية تنظم شؤون الحكم والعلاقات بين الافراد في المجتمع وبين الافراد والسلطة ، وماهية السلطة وطبيعتها ومهامها وواجباتها وحقوق المواطن وواجباته وغير ذلك من الجوانب التي يشكل البحث فيها محور الفكر السياسي ومن ابرز من بحث في ذلك السفطائيون ، وسقراط ، وافلاطون ، وارسطو وسنحاول الحديث بالتفصيل عن الافكار الهامة والرئيسية لكل منهم لدى الحديث عن الفلسفة اليونانية .

الحياة الاجتماعية:

تشابهت مجالات الحياة الاجتماعية في بلاد اليونان بوجه الاجمال ، واذا وجدت بعض الفوارق بين مدينة واخرى فان ذلك يرجع في الغالب الى الظروف التاريخية الخاصة بتلك المدينة او المجتمع وتطوره ، والى طبيعة النظام الذي اخذت به هذه المدينة او تلك وقد درسنا فيما سبق بالتفصيل النظام الاجتماعي في مدينة اسبرطة .

تركيب المجتمع :

نميز في المجتمع اليوناني و في اي مدينة من المدن اليونانية بين قسمين رئيسين هما : المواطنون ، و(الاجانب والعبيد) اي الفئة التي تشارك في ممارسة السلطات السياسية في المدينة وتلك الفئة التي لا يحق لها ممارسة الحكم او التدخل في الشؤون السياسية .

١. المواطنون :

وهم الفئة التي يحق لها ممارسة السلطات السياسية والاشتراك في المؤسسات السياسية كالجمعية الشعبية الاكليزيا واليولي او الجيروزيا ، والمتمتعة بالحقوق المدنية والحقوق السياسية . وسنعرض بالتفصيل لهذين النوعين من الحقوق .

الحقوق المدنية للمواطنين : وهي نوعان :

١- حق امتلاك الاراضي وبيعها وحق التقاضي امام المحاكم، فكل مواطن يوناني له حق امتلاك قطعة ارض يتصرف بها بحرية تامة ، وبدون قيد او شرط ، وقد تطور نظام الملكية هذا من زمن الأخائيين الى القرن الرابع ق.م فقد كانت ملكية الارض مشاعا للقبيلة جميعها يشرف على ادارتها والتصرف بها رئيس القبيلة ، تصرفا مطلقا باستثناء بيعها او نقل ملكيتها الى قبيلة اخرى . ثم وزعت الاراضي على افراد القبيلة وبدأت عملية الملكية الفردية في الظهور ، وهذا ادى بالتالي الى تفكك الملكيات الكبيرة الى ملكيات صغيرة بعامل الوراثة ، وكان من حق رب كل اسرة مسجلة كمواطنة في اي مدينة يونانية حق امتلاك الارض التي يقيم عليها .

٢- حق الزواج الشرعي ، وقد ارتبط هذا الحق بالحقوق السياسية ، حيث وضع في منتصف القرن الخامس تشريع يقضي بانه لا يحق ممارسة الحقوق السياسية في اثينا الا لاسرة مكونة من اب وام اثينيين أحرار . وحرص الاثينينون نتيجة لذلك على الزواج من طرف اثيني حر ضمانا لتمتع ابنائهما بجميع الحقوق السياسية والمدنية ، وقد سمح للرجل الاثيني باتخاذ الخليلات والمحظيات دون ان يسمح لابنائه منهن بالتمتع بالحقوق السياسية والمدنية السالفة الذكر ، ويتم منح هذه الحقوق من قبل العشيرة او القبيلة في اعياد سنوية عرفت باسم اعياد الاباتوريا Apatouria حيث يقدم للعشيرة جميع الاطفال الذين انجبوا في السنة الفائته، ويتم تسجيل اسمائهم في سجل افراد العشيرة .

الحقوق السياسية : وهي ايضا نوعان :

١- حق التصويت في المجلس .

٢- حق التعيين في المناصب العامة .

يتمتع المواطن اليوناني بهذين الحقين عند بلوغه الثامنة عشرة من عمره ويقوم بتأدية الخدمة العسكرية ، وعندها يكون قد بلغ العشرين من عمره ،عندها يسجل في سجل الحي بعد التاكد من سنه وصحة نسبه ، وبعدها يصبح مواطنا حرا عضوا في الجمعية الشعبية . ويجدر الاشارة الى ان من حق الجمعية الشعبية منح حق المواطنة لبعض الاجانب الذين يؤدون خدمات جليلة للمدينة التي يستوطنونها دون ان يكون لهم حق الوصول الى بعض المناصب الهامة

كمنصب الحاكم الاركون Archon ، وبعض المناصب الخاصة بالمدينة ، ولكن يسمح لأبنائهم بذلك .

الاسرة :

لقد تحدثنا في موقع سابق عن الاسرة الاسبرطية ستقصر حديثنا هنا عن الاسرة الاثينية كمثال مقابل للاسرة اليونانية ، تتكون الاسرة الاثينية من الاب والام وابنائهما والعبيد الذين تمتلكهم الاسرة والذين لم يكونوا يعتبرون غرباء عنها . وهذه الاسرة الصغيرة هي جزء من اسرة اكبر منها عرفت باسم جينوس اي العشيرة ، يتم تكوين الاسرة بالزواج. يشترط القانون الاثيني على ان لا يكون الفارق بين عمر الزوج والزوجة اكثر من عشر سنين وفيما عدا ذلك فلم يتدخل التشريع الاثيني اطلاقا في شؤون الزواج . ويتم الزواج بتقدم الشاب الذي يريد الزواج من اسرة الفتاة التي وقع عليها اختياره بحرية كاملة ويطلب الزواج بها من والدها او اخيها الاكبر او العم او ممن يحق له الوصاية عليها من الذكور ، حيث يكتب صك او عقد للزواج يحدد فيه مقدار المهر . وبعد اتمام الحفلات والطقوس الرسمية المتعارف عليها مثل تقديم الزوجة لزوجها خصلات من شعرها ومن العابها ، تصبح بعدها زوجة شرعية له . يقوم بعدها الزوج بتقديمها الى اسرته ، اعلانا بانضمام عضو جديد الى الاسرة ، ثم يقدمها الى عشيرته للاعتراف بها زوجة شرعية معترفا بها لانجاب اطفال شرعيين معترف له بالحقوق السياسية والمدنية . وبعد ذلك تنقطع صلة هذه الزوجة بأسرتها السابقة وتؤول السيطره عليها وعلى املاكها لزوجها . ويستطيع الرجل طلاق زوجته في اي وقت يحلو له ، اما الزوجة فلا تستطيع ذلك، الا اذا استطاعت اثبات خيانة زوجها لها او معاملتها بشراسة وقسوة . وهنا تستطيع الاشارة الى ان التشدد في منح الابناء الحقوق المدنية والسياسية قد قلل الى حد كبير من الطلاق، ولكنه لم يؤد في الوقت ذاته الى تكوين اسرة متفاهمة يسود افرادها علاقات المحبة والود وتظللها السعادة ، وزادت في الوقت نفسه من اتجاه الرجل الاثيني الى العيش دون زواج مكتفيا بخليلة تعيش معه ، يمكنه تركها واتخاذ خليلة غيرها اذا وجد منها تقصيرا في معاملته او القيام بخدمته ، الامر الذي قلل من شأن المراة الاثينية واضعف مركزها في مواجهة الرجل بعكس المراة في المجتمع الاسبرطي كما رأينا سابقا . اما الرجل الاثيني فكانت منزلته عالية حيث من حقه التصرف بأولاده تصرفا مطلقا لدرجة تقديمهم كقرابين للالهة وظل هذا

الحق ساريا الى ان جاء دراكون وحد من ذلك بأن حرم الاب من حق قتل اولاده بعد ان تتم عملية التعميد بالنار المقدسة، وذلك بعد اليوم الثالث، او اليوم السابع لمولده ، ولكن يبقى له حق اخراج ابنه من افراد الاسرة.و اما ملابس الناس فكانت بسيطة مؤلفة من سراويل قصيرة للرجل وقمصان طويلة للنساء ، اما منازلهم فكانت تختلف بين منازل الاغنياء ، ومنازل الفقراء وعامة الناس ، فكانت منازل الاغنياء من بناء كبير له باب واسع يفضي الى دهليز يقود الى فناء او بهو تحيط به الاعمدة ، وتقوم على يمينه ويساره حجرات الرجال وخلفه تقوم قاعة الاستقبال والمجلس المقدس. وتقع وراء البهو كذلك قاعة النساء وحجرة الزوجية وغرف البنات ووراء حجرات النساء تقع حجرات الخادمات. ويفصل باب كبير بين جناح النساء وجناح الرجال والاستقبال. وكان المنزل الاثيني في الغالب مكون من طابق واحد يقع فوق طابق ارضي يستخدم في الغالب كمكان للتجارة ، وبعد الحروب البيلوبونيزية اضافوا الى منازلهم طوابق عليا . اما منازل عامة الناس فكانت من طابقين ارضي واول وهي بسيطة تتكون في الغالب من حجرتين او ثلاث ، يتصف اثاثها بالبساطة. وعندما ازدهرت اثينا اقتصاديا تبدل حال اثاثها الى الترف والى استخدام فاخر الرياش .

ولكن اهم ما استرعى الانتباه فيمايتعلق باثينا والاثينيين ، العناية بمبانيهم العامة ، وجعلها في افخم مظهر وآية في الروعة وقد بذلوا جهودا كبيرة في زخرفتها وتزيينها .

٢. طبقة المستوطنين الاجانب :

وهي طبقة خاصة باثينا ولم توجد في المدن الاخرى، بلغ عدد افرادها حوالي ٧٠ الفا ، ولا يعني هذا ان الاجانب لم يوجدوا في المدن الاخرى ، انما يمكن ان يعنى ان عددهم لم يكن في المدن اليونانية الاخرى كبيرا بما يكفي لتشكيل طبقة خاصة سوى في اثينا ، الامر الذي دفع المشرعين الاثينيين لمعالجة شؤون هذه الطبقة . كان على الغريب من يونانيي المدن الاخرى او من الاجانب الاخرين الذي يريد ان يستوطن اثينا ان يتخذ وصيا من الاثينيين انفسهم . ويخضع الاجانب لاشراف البوليمارك كالذي كان قائدا عسكريا في الاصل ثم اصبح مشرفا على شؤون العبادات المتصلة بالحرب وبخاصة اعياد الاله مارس اله الحرب.[1]

(١) جاطـلاك ، نور الدين ، مرجع سابق ، ص ٤٤٧ .

وللاجنبي حق السكنى في وسط الأثينين ، ولكنه لا يتمتع بالحقوق المدنية والسياسية، وقد ادى بعض هؤلاء المستوطنين الاجانب خدمات جلى لأثينا كما كانوا يدفعون ضريبة الرأس لأثينا(١٢) دراخما للرجل، ٦ للمرأة، ووفاء من اثينا لهذه الطبقة من المجتمع الاثيني اعترف لافرادها ببعض الامتيازات وهي :

١- حق الاعفاء من بعض الضرائب والمهام التي القيت على عاتق الخاملين من طبـــقتهم هذه .

٢- حق مساواة الاجانب المستوطنين بالمواطنين الاثينيين انفسهم في الاعباء المالية

٣- حق امتلاك الاراضي ولكنه نادر جدا

٤- منحوا حق الوصاية على بعض الاجانب المستوطنين المقيمين في شتى المدن -

٣- طبقة العبيد :

وقد وجدت هذه الطبقة في كل المدن اليونانية وكان مصادر العبيد اربعة هي :

١- اسرى الحرب .

٢- المغتصبون .

٣- المحكوم عليهم بفقدان حريتهم نتيجة للدين .

٤- ابناء العبيد الذين ولدوا وأباؤهم في العبودية .

وقد اعتبر الرقيق ضرورة ملحة للمواطن اليوناني الحر لاسعاده ولا تمام شعوره بالمسؤلية، وقد شجع فلاسفة الاغريق على الاسترقاق . وكان العبد اشبه ما يكون بالمتاع الذي يملكه صاحبه ، وكان كالآله الحية يتصرف بها السيد تصرفا مطلقا ، ببيعه ، او يؤجره ، بالاضافة الى السخره في اعماله الخاصة . ويفرض عليه العقوبة في حالة ارتكابه ذنبا او مخالفة وقد تصل العقوبة الى حد الموت في بعض المدن ، ما عدا أثينا التي حمى قانونها حياة العبيد فمنع قتلهم ، ويمثل السيد عبيده امام القضاء ، ولكن القوانين الاثينيه امتنعت عن فرض غرامات مالية عليهم لأن ذلك يعني اضطرار اسيادهم للتسديد . وكانت العقوبة الاكثر شيوعا للعبيد ، الجلد ويتفاوت عدد الجلدات حسب جسامة الذنب ، ولكن اقصى حد لعدد الجلدات هو خمسون جلده ، وقد يستغني السيد عن عبده المؤذي لمن اصيب بالاذى .

الحياة الادينية [١] :

تميز اليونان بتدينهم كالمصريين ، فقد كان لكل عائلة يونانية الهها الخاص توقد له نارا في البيت لا تنطفيء ، وينطبق نفس الشيء على القبيلة وعلى المدينة ،كما ان الديانة الاغريقية تتميز بتعقيدها ، فهي مجموعة من العقائد المعقدة ، وقد عبد الاغريق عددا كبيرا من الالهة التي اعطيت صورا بشرية فهي تحب وتكره وتحقد وتتزاوج مع البشر وتتصارع فيما بينها وكان مسكنها جبل الاوليمب وتسمى الآلهه التي اعتقد الناس بانها تسكن فيه باسم المجموعة الاولمبية ، وهناك مجموعة الالهة الفطرية البدائية التي استمرت في التواجد الى العصور الحديثة في تاريخ اليونان ، كما تاثرت الديانه اليونانية بآلهة دخلت اليها من الاقوام الاخرى كبعض الالهة المصرية ، والكريتيه والآسيوية .

مجموعة الالهة الأولمبية : ويرأسها الاله زيوسZeus وهو خالقها جميعا . وخالق البشر ايضا ، وقد استمد المؤرخون معلوماتهم عن الالهة اليونانية ، من قصائد الشاعر اليوناني الشهير هوميروس الذي وصف لنا زيوس وكأنه القدر الذي يزن بميزانه الذهبي حظوظ البشر ويعرف مقدراتهم ، وان هذه الالهه تشمل كل جوانب الحياة فهناك اله للحرب ، واله للخصب والانجاب ، والهه للهواء ، وللبحار ، وغير ذلك، وسلوك هذه الالهة فيما بينها وبينها وبين البشر خالية من المثل الاخلاقية العليا فهي تسمح لنفسها كما اشرنا بكل ما يتمتع به البشر من النواحي الجنسية وقد اشارت الاساطير الى ذلك ،واتخذت لنفسها صفات الانسان ، فاتصف بعضها بالحقد والضغينه ، ومنها من غلب الجبن على طبعه ، ومنها الخائن ، وكانت تتفائل فيما بينها وتنحاز الى جانب الفرقاء المتحاربين من بني البشر ، فالالهة اثينا كانت بجانب الاخائيين بينما وقف الاله ابوللون في الجانب الطروادي ، وقد اعجبت الالهه بنداروس ، باوديسيوس لما اتصف به من خبث ومكروه ودهاء ، ولم تحجم هذه الالهه عن اللجوء الى احط السبل غير الاخلاقية في علاقاتها مع بعضها البعض ومع البشر.

للمزيد ارجع الى الديانة اليونانية القديمة تأليف جورج روز ترجمة عبده جرجس : القاهرة : دار نهضة مصر عام ١٩٦٥ م

وفي القرن الثامن ق.م تغيرت هذه الصفات لتحل محلها صفات الحق والعدالة ويتضح هذا التحول في قصيدة هيزيودوس Hosiodus « العمل والايام » ومنذ ان اصبحت الالهه حامية للعدالة ، اتخذت حمايتها صفة القسوة وظهرت فكرة التدنس الروحي الناتج عن الدنس البدني ، وان هذا يستوجب التكفير عن الخطايا والتطهر من الخطايا والسيئات ويتم ذلك في معبد الاله ابوللو في دلفاي .

وقد رأينا ان الالهه اليونانية تعد بالمئات وان بعضها اصيل ، وبعضها الاخر دخيل وان بعضها قد اندمج في الهه اكبر حجما وقيمة ، فعلى سبيل المثال انضمت الجنيات الى ديونيزيوس اله الخمر ، وانضمت الحوريات الى الاله بوسيدون اله البحر ، كما انضمت ارواح الغابات الى ارثميس الهه الغابات .

واهم الهة الاوليمب هي :

زفس : اله السماء والرعد والصواعق ، والعواصف ، ملازم للجبل وتعيش معه عليه، عائلته المؤلفة من زوجته وابنائه الثلاثة وبناته الثلاث وهم :

هيرا : زوجته وشقيقته ، اثينا ، ابنة زفس ، ولدت من رأسه ، تبدوا دائما مدججة بالسلاح ، وهي الهه الحكمة والحرب والذكاء وهي شفيعة اثينا التي حملت اسمها .

ارثميس :إالهه الغابات والصيد ، يمثلها القمر لانها الهه النور الليلي ، بقيت عزباء لان شغفها بالصيد والحيوانات لم يترك لها مجالا لحب الرجال ، ابوللون ابن زفس ، واله الشمس والموسيقى والشعر سهام قوسه لا تخطيء هرميس اله المسافرين والتجار ، رسول زفس وسيد الرياضيين ولدت له افروديت ولداً مختلط الجنس « خنثى »سمى « هرما افروديت » .

الاريس : اله الحرب ، وعشيق افروديت ،

افروديت : الهه الحب والجمال ، خلقت من زبد البحر مزاجها متقلب فتصرفت على هواها

هيفايستوس : ابن زفس القى به ابوه زفس من اعلى الاوليمب في احدى ساعات غضبه فاضحى أعرج هو اله الحدادين وزوج غير كفوْ« لأفروديت »

وهناك مجموعة الهة البحر، لا يقيمون في الاوليمب بل مكان سكناهم البحر وعلى رأسهم **بوسيدون** شقيق زفس ، يمتطي عربة خيلها بيضاء تثير زبد البحر ، الذي يعصف في

الاصداف فيدوي صوت الموج :

اما المجموعة الثالثة فهي آلهه جوف الارض وهم :

هيديز : شقيق زفس يحكم على جوف الارض وعالم الاموات .

ديميتر : شقيقة زفس والهة الزرع والثمار فيها تتمثل الارض الام .

ديونيزيوس : اله الخمر ارتقى ليعيش في الاوليمب في اواخر ايامه ، تحتفل النساء في عيده بالسكر والنشوة .

وهناك الابطال الذين وصفهم هو ميروس بأنهم من سلالة البشر بينما وصفهم هيزيود بانهم نتيجة لتزاوج الالهه مع البشر وينسب اغلبهم الى هيرقليس . الذي تروى الاسطورة بانه ابن غير شرعي « لزفس » والقمينى في اثناء غياب زوجها في الحرب التي اشغله بها زفس ، الامر الذي اغضب هيرا زوجة زفس وآثار غيرتها فعملت على القضاء على الوليد ، ولكن زفس اكسبه قدرة تفوق قدرات البشر تجـــلت في كـــثير من الاعمـــال الخـــارقة (الاسطورة).

وقد مرت العبادة لدى الاغريق بثلاث مراحل هي :

أ) المرحلة الارضية : سبقت هوميروس عبد فيها ما تحت الارض وشاعت بين الفقراء .

ب) المرحلة الاوليمبيه : عاصرت هوميروس ، عبدت فيها آلهه الاوليمب وشاعت بين الاغنياء .

ج) المرحلة الصوفية : عبد فيها الهة بعثت من الموت وشاعت بين العامة .

أ) المرحلة الارضية :

حيث كانت الاحتفالات بسيطة يقوم فيها رب البيت بدور الكاهن ، حيث يضع على مذبح منزلي تقاديم يومية اذا كان ميسورا . اما الفقراء فيقومون بمراسم اسبوعية يكرمون فيها اقرب الموتى ، بوضع الزهور فوق القبور ويستغنون عن الشعلة الدائمة لعدم تمكنهم من الاحتفاظ بها ، كما عبد اليونان في هذه المرحلة ايضا مظاهر الطبيعة لما لاحظوه من تأثيرها وقوتها على الانسان وعلى حياته اضطروا ان يعبدوها ومن معبوداتهم الشمس ، والنجوم ، والجبال ، والارض ، ولم يلبث الانسان اليوناني ان شعر بقوة تسيطر على كل شيء وتبعث الحياة في كل شيء ، واطلقوا عليها اسم مانا Mana، وهذا ادى الى ظهور عبادة الارواح انيميزم Animism ، وتقوم على عبادة شيء ما كأنه جسد تقمصته روح وربما كان هذا الشيء شجرة او قطعة من خشب ، ثم تابعت هذه الاشياء مراحل تطورها فحولها الناس الى تماثيل

اقاموها وعبدوا فيها الروح التي تقمصتها، ثم تطورت هذه العبادة الى عبادة الاوثان بمختلف صورها . وهذه الديانة تشبه العبادات الطوطمية في كثير من الوجوه ، وتختلف عنها فقط في ان الطوطمية جماعية اي تمارس عبادتها من القبيلة بمجموعها بينما الفيتشية فردية .

ب) المرحلة الاوليمبية :

وجاءت نتيجة تبلور معتقدات اليونان حيث شاعت عبادة الهة الاوليمب . ولعبت اشعار الاوديسة والالياذة ، ثم اشعار الشاعر هيزيودوس في اعطاء التفاصيل الكاملة لهذه الالهة ووضع مراتبها النهائية كما فصلنا سابقا ، وفي هذه المرحلة بنيت المعابد في المدن اليونانية وتسابقت المدن اليونانية في تكريم الهتها وكانت العبادات تمارس خارج المعبد في العادة حيث تقتصر الطقوس على سكب الزيت او الطيوب و الخمر امام الالهة وتقدم الاضاحي والقرابين من الحيوانات وصغار البشر حيث تذبح وتشوى لتشم الالهة رائحتها ويعتبر المعبد حرم الاله الذي لا يجوز لاحد الدخول اليه الا الملك المشرف على الشؤون الدينيه . اما الكهنه فهم اشخاص عاديون ينتخبون من المواطنين ، ولم يشكلوا طبقةمستقلة ابداً ، وكان الدخول الى الهيكل يتم وفق مراسم محددة كالتطهر من وعاء ماء نظيف يوضع في باب الهيكل .

ج) المرحلة الصوفية :

وقد دخلت في هذه المرحلة من عبادات اليونان، نوع من المعتقدات الصوفية التي تعمل على السمو بالروح والتخلص من سيطرة الجسد . وتمثل ذلك بمجموعة من المعتقدات التي انتشرت في بعض مدن اليونان وهذه المعتقدات هي : عقيدة ديونيزيوس،المذهب الاورفي ، ديانة ايلوزس ، واقيمت لهذه المعتقدات المعابد والاعياد الدينية . وسنعطي فيما يلي بعض التفاصيل عن هذه المعتقدات :

عقيدة ديونيزيوس : ان ديونيزيوس هو ابن الاله زيوس ، وهذا الاله هو في الاصل من تراقيا ، وهو اله الزراعة والخصب ، وقد توفي اثناء الحصاد الذي كان يشرف عليه بحكم مهام عمله، حيث انتقل بعدها من عالم الاحياء الى عالم الموتى ، وكان يعود الى عالم الاحياء في ربيع كل عام مع بزوغ كل شمس . واستطاع الالمام بمعرفة اسرار الكون فنقلها الى عالم الاحياء وباستطاعته ان يؤمن الخلود لاتباعه ومريديه فيغدو ملكا عليهم ، وعندما انتقلت عبادة ديونيزيوس الى اثينا اصبح الها للخمر وذلك في القرن الرابع ق . م ؛ واصبحت عبادته تتسم

بكثير من العبث واللهو واقيمت لعبادته الاعياد الكبرى الصاخبة التي تشرب فيها النساء كثيرا من الخمر، ولكن عبادته في الاصل كانت تتم عبر طقوس هي كناية عن مسرحية تمثل عذاب ديونيزيوس ثم موته ، ثم بعثه او ترمز الى الزواج بين اله زيوس و ديميتر الاهه الارض فتولد من هذا الزواج سنبلة هي عنوان الخصب ، ثم ينتقل المتعبدون الى كهف مظلمة تمثل الجحيم ، ومنها ينتقلون الى غرفة متلألئة بالانوار فيها تماثيل يراها المتعبدون لاول مرة فيسترسلون في نشوة تمثل اتحادهم مع الاله فكانهم في احدى الشطحات الصوفية .

المذهب الاورفي : Orphisme

وقد وضعه الشاعر الموسيقي التراقي اورفيوس Orpheus . وقد انتشر هذا المذهب في القرن السادس ق. م وقد اشتقت عقيدته من اسطورة كريتيه تقول ان زاغروس احد ابناء زيوس تحول الى عجل افترسه الشياطين الخمسة والاربعين المدعوين بالتيتانز titans ، نتيجة معركة دارت بينه وبينهم، وقد احتفظت الالهة اثينا بروحه ، فاعاد لها والده الحياة تحت اسم ديونيزيوس ، وبموجب هذه العقيدة يتكون الانسان من عنصرين هما : الروح والجسد هو قبر الروح ، وعندما يموت الانسان تغادر الروح هذا القبر والجسد يبقى suma ، وتذهب الروح بعدها الى الجحيم حيث تحاسبها آلهة العالم السفلي وتعمل على تطهيرها عبر طقوس وترانيم معينة. حيث تمر الروح بدورة كبيرةمن دورات التناسخ لتتخلص من الأيام التي علقت بها عندما كانت اسيرة الجسد ، وعندما تنتهي هذه العملية، تبدأ الروح في حياة نسك وزهد وتتصل بعالم الالهة ، اثر اخضاعها لعدد من المراسيم والطقوس الالهية (كتاب الموتي عند المصريين) وعندها تحاط بكلمة السر التي توصلها الى عالم الالهة ، وقد انتشرت هذه العبادة كثيرا في اثينا . وغيرها من المدن اليونانية .

ديانة ايلوزيس :

هي مجموعة من العقائد الغامضة ، والمعجزات والخوارق ، وتقوم على عبادة الالهة ديميتر وابنتها كوره Cure وقد اقتصرت العبادة بادئ الامر على النساء حيث تقوم الكاهنة (وهي من اسرة فيليدس عادة) بقيادة الاعياد المعروفة باسم تيسموفوريا Thesnophoria وتستند طقوس هذه العبادة الى الاسطورة اليونانية القديمة ، وفيها ان الاله هادس Hades اخذ كورة ابنة ديميتر الى عالم الآلام بامر من زيوس فحزنت امها واخذت تبحث عنها في كل

مكان ، حيث وصلت الى مدينة ايلوزيس فاستقبلها ملكها كيليوس بالترحاب ، واعترافا من ديميتر بهذا الاستقبال منحت الخلود لابنه ديميفون ، ونتيجة ذلك اعترف بها هذا الملك إلهة كبرى واقام لها معبدا خاصا ، واصبحت الالهه التي تقدم الغلال للمدينة وتحفظ سكانها من المجاعات. استاء زيوس من عمل ديميتر، فارسل اليها لتعود الى الاوليمب فرفضت، الا بعد ان بجد ابنتها. فارسل اليها جميع الالهه لاقناعها فتمسكت بشرطها ، مما دعا زيوس الى الاستجابة واعاد اليها ابنتها تحت اسم بيرسيفونيا ، ولكنه قضى عليها بان تعود في كل عام الى عالم الالام لمدة ثلث عام . وهكذا عادت كورة الى الحياة مجددا فازدهرت الارض وغطاها النبات واخضرت . وهذا فيه تشابه كبير مع عبادة ديونيزيوس ، وتقام لهذه العبادة اعياد تدعى باعياد ايلوزينا ، وتشرف عليها الحكومة وتقسم هذه الاعياد الى قسمين : الاعياد الكبرى ، والاعياد الصغرى التي تقام عادة في شهر شباط في السوق العام الاغورا ؛ وتشرف عليها الحكومة بشكل رسمي ويحضرها الملك ومجلسا اليولى والاكليزيا .وقد انتشرت في المدن اليونانية كظاهرة مرافقة لهذه العبادات مجموعة من الاعياد والاحتفالات من اشهرها اعياد **الباناثيناي** panathenea وهي احتفالات واعياد تقام على شرف المعبودة بالاس – اثيني حامية اثينا وتعود هذه الاعياد الى منتصف القرن السادس ق . م ويحتفل بها كل اربعة اعوام مرة وترافق الاحتفالات مجموعة من المباريات الرياضية اضاف اليها بيزيستراتوس مباريات شعرية موسيقية تتغنى باشعار هوميروس وتتألف هذه الاعيادمن قسمين الكبرى وتجري في العام الثالث الذي يلي المباريات الاوليمبيه ، والصغرى وتقام سنويا بين المباريات الاوليمبية ، ويشرف على هذه الاعياد وبخاصة الكبرى منها اعضاء مجلس اليولي وذلك في شهر حزيران .

واعياد ديونيزيا التي تقام للاله ديونيزيوس هي من الاعياد الكبرى عند اليونان ولا بد لنا من الاشارة الى ظاهرة وجدت في الديانة اليونانية وما اوردنا وصفا لها هي الاعياد الرئيسة الكبرى ، ولكن هذه الاعياد كانت من الكثرة بحيث وصفها الكاتب المسرحي اليوناني فقال « انا لنشهد في كل ساعة من ساعات العام اعيادا دينية وضحايا عليها اكاليل من الزهر تقرب للآلهه. » وقد تنافست المدن اليونانية في اكساب اعيادها ابهي الحلل مثل اعياد ديلوس اعياد البانتيتناي حيث تسير المواكب وفيها مركب عليها تمثال الالهه أثينه مرتدية ثوباً فضفاضا طرزته ايدي بنات الأشراف ... وصورة هذه الاحتفالات لا تزال متمثلة في نقوش معابد

الاكروبوليس ، ومنذ عام ٧٧٦ ق.م اقترنت الاعياد الدينية بالعاب رياضية تقام في كل اربع سنوات مرة في منطقة اوليمبيا تكريما للاله زيوس ، سباق وقفز ورمي صحون وصراع وملاكمة وتوزع في نهايتها الجوائز على الفائزين في احتفالات دينيه ووطنيه يكلل اثناءها الفائزون باكاليل الغار ، وتستقبلهم مدنهم عند عودتهم كالابطال وتنظم في مدحهم الاشعار. وفي عام ٥٣٤ ق . م اي في ايام بيزيستراتوس جعلت المسرحيات جزءا من الاعياد الدينيه فاقيمت المسارح وتعددت وكان اشهرها مسرح ديونيزيوس شمالي الاكروبوليس .ولا بد لنا من الأشارة الى ظاهرة وجدت في الديانة اليونانية وهي النبؤات فقد اهتم الاغريق بمعرفة الغيب والرضوخ لمشيئة الالهه ، وخاصة عند اقدامهم على عمل كبير او عند حلول محنة ، حيث يذهبون الى معابد بعض الالهة الخاصة، التي اشتهرت كأمكنة لاستشارة الالهة مثل معبد ابوللون في جزيرة ديلوس او الى معبد دلفي في وسط اليونان، حيث تجلس كاهنه مختصة بذلك على مقعد مثلث القوائم فوق شق في الارض تحت الهيكل يصعد منه غاز كريه تستنشقه الكاهنة ، بينما هي تمضغ اوراق الغار فتتخدر وترتجف وتستسلم لغيبوبه ويصلها الالهام ، فتنطق بالفاظ غامضة قابلة لمختلف التأويل بحيث يجد فيها كل سائل ما يريد ، وتحفظ بواسطتها كرامة النبوة فلا تتهم بالخطأ او القصور عن اعطاء السائل جوابا ، وقد اختصت بالنبؤات الكاهنات النساء لاعتقاد اليونان بأن المرأة اكثر استعدادا لتلقي الوحي ، ولم تكن النبؤات وقفا على كاهنات الهيكل بل وجدت بعض كاهنات العرافات من النساء اللواتي طفن كل ارجاء بلاد اليونان وطرقن كل الابواب خاصة ابواب الاغنياء ، ومن اشهر الكاهنات العرافات اليونانيات الكاهنه بيتيا .

وقبل ان ننهي حديثنا عن الحياة الدينية عند اليونان نشير الى أن كثيرا من المعبودات الاجنبية، قد دخلت الى العبادة اليونانية مثل الاله سابازيوس Sabasios ،وكاتيتو Gatito ، وبنديس Bendis وادونيس Adonis" وعشتروت Astarts الالهان الفينيقان ، وايزيس وأمون المصريان . وقد استاء المحافظون اليونان من دخول العبادات الاجنبية الى المدن اليونانية وكان اكثرالمنتقدين لذلك اريستوفانس الذي هاجم الاله التراقي سابازيوس والفلاسفة الذين شككوا بديانتهم ومعتقداتهم ، فقد دأب سقراط على تجاهل الالهه ، وجمع فيثاغوراس وافلاطون بين الفلسفة والدين وشددا على قضية خلود النفس ليحثا الناس على حسن السيرة

والاخلاق . كما سخر يوروبيدس في مسرحياته من الالهة ، ويعود السبب في هجوم الفلاسفة على الدين ، الى ان اساطير اليونان لم تصورالالهة في مظهر قدسي بعيد عن المفهوم البشري. فالاله عندهم صورة مكبرة عن الانسان ، خاضع للحتمية ، عاجز عن اعطاء تعليلات مقبولة لمصير الانسان بعد موته ، فانصرف المتشككون الى المنطق والفلسفة في محاولة ايجاد التفسيرات والتعليلات ، حتى اذا انكر الفكر صواب الديانة لم يترددوا في التصدي للالهة والسخرية منها.

الحياة الفكرية والفنية والادبية

شهدت بلاد اليونان في القرنين الخامس والرابع ق . م الميلاد نهضة فكرية وعلمية وفنية وعمرانية كبيرة وسنعرض فيما يلي بايجاز لهذه الجوانب .

الاداب

تنوعت اداب اليونان وتطورت منذ عصورهم المبكرة وحتى الفترة التي ازدهرت فيها الاداب واخذت شكلها النهائي التي ظهرت فيه المظاهر الادبية التالية :

١- الملاحم :

وتقصد بها هنا الملاحم الشعرية التي ميزت الفترة الاولى من حياة اليونان الفكرية ، وقد كان الشعر اسبق من النثر في الظهور ومن أهم الملاحم اليونانية الالياذه والاوديسة اللتان وضعهما الشاعر الاعمى هوميروس وتروي الالياذة قصة الحرب الطروادية اوالحرب البونية ومنها اشتقت اسمها ، اما الاوديسه فتروي قصة انسحاب الاخيين من آسيا الصغرى وما واجههم في اثناء انسحابهم من مصاعب وما حدث من احداث ، وقد شكلت الملحمتان مصادر ذات قيمة كبيرة في تصوير مراحل التاريخ اليوناني القديم وما فيه من اساطير ، والقبائل التي تكونت منها الامة اليونانية .

٢- الشعر الغنائي :

ويعود ظهوره الى الشاعر اليوناني هيزيودوس (٧٥٠ –٧٠٠) الذي وضع قصيدته العمل والايام، التي صور فيها الحياة اليونانية، وصنف الالهه وتحدث عنها بالتفصيل كما تحدث عن الابطال الذين ورد ذكرهم في الملحمتين الالياذه والاوديسه وقد هيأت اشعاره الطريق لظهور الفن المسرحي ، ومن الشعراء الغنائيين ايضا بنداروس (٥١٨ –٤٣٨) الذي مدح عظام اليونانيين ، والشاعرة سافواللسبوسيه ، وكان الشعر الغنائي يغنى على انغام القيثارة .

٣- المسرح :

من الاشعار الادبية التي كانت تروي قصة الالهة انبثقت نواة الشعر المسرحي، وحلت المسرحيات محل الشعر كجزء من الاحتفالات الدينية ، وقد ادى ازدهار المسرحيات الى بناء المدرجات في معظم المدن اليونانية وان كانت اثينا قد فاقت غيرها في ذلك . ومن اشهر

المسارح مسرح ديونيزيوس عند الاكروبوليس وكان المسرح يضم تمثالا للاله الذي نصب تمثاله هناك ليستمتع بالمسرحيات ، وقد اختلف لباس الممثلين باختلاف التمثيليه التي كانت تمثل ، فقد لبس ممثلوا المأساة جلد الماعز ومنه اشتق اسم التراجيديا ، اما الممثلون الهزليون فكانوا يلبسون قناعا يثير السخرية على وجوههم ، ولكهم كانوا ينزعونه اذا رأوا ان تقاسيم الوجه او حركاته اوفى تعبيرا ، وقد حافظت المسرحيات وبخاصة المأسي على، مستوى راق نتيجة لمنشأها الديني ووصلت الى الذروة مع سوفوكليس ، وكانت المسرحيات طويلة جدا في الغالب، تستمر عدة ايام حيث تبدا المسرحية مع الفجر حتي الغروب ولمدة ثلاثة ايام واهم من وضع المسرحيات :-

اسخيلوس (٢٥٢ -٤٥٦) ق . م اشهر مسرحياته (الفرس)، كتب عددا كبيرا من المسرحيات بلغ سبعين مسرحية وصلنا منها سبع فقط دأب في مسرحياته على التحليل وسلط القدر على ابطاله كعنصر اساس في المسرحية .

سوفوكليس: (٤٩٥ -٤٠٦) ق. م ظهر في ايام بيركليس كان مسرحيا ومصارعاً وموسيقيا نافس اسخيلوس، كتب ١١٨ مسرحية وشغل مناصب عدة منها منصب الكاهن نالت مسرحياته الجائزة الاولى على مسرح ديونيزيوس ١٨ مرة ، ركز في مسرحياته على تحليل العقد النفسيه والغراميه اهم مسرحياته (اوديب ملكا) .

يوريبيدس (٤٨٠ -٤٠٦) ق. م صديق سقراط كان يميل الى الفلسفة ، سخر من الالهه وشدد على دور الانسان ولكنه في شهرته بقي مقصرا عن سابقيه ، كتب ٧٥ مسرحية منها ١٨ كامله واشهر مسرحياته اندروماك .

اريستوفانس : (٤٤٥-٤٠٦) ق.م اشهر كتاب الملهاة في اثينا ، جاء فنه مزيجا من الجمال والحكمة، فهو فنان ومفكر يتعمد الاقناع في كتابته شهد الحروب البليونيزية وتألم لها ولذا كتب مسرحية (السلم) كرد فعل لهذه الحروب ، هاجم سقراط في مسرحيته (الغمام) وكان سببا في محاكمته والحكم باعدامه ، كما انتقد الحكام الذين جاؤا بعد بيركليس وعندما لم يجد من يمثل الدور الانتقادي مثله بنفسه ، وشدد على مهاجمة انحلال الاخلاق والخروج على الدين ومن هنا كان هجومه على سقراط لانه اتهمه بمعاداة الدين وتجريح الالهة الاثينيه وافساد عقول الشباب .

علم التاريخ : من العلوم التي اهتم بها اليونان كثيرا، وزاد اهتمام اليونان بالتاريخ بعد انتصارهم على الفرس حيث اصبحت مادة هذه الحروب مثار مجد لاثينا يحرص الاباء على نقلها لابنائهم وتعلق الابناء باخبارها باعتبارها من امجادهم . واهتم هيرودوت (٤٨٤ – ٤٢٥) ق. م بتدوين اخبارها ، تميز اسلوبه بالبساطة والسهولة ، خلط بين الواقع والاسطورة ، ابتعد عن التحليل ، والبحث في التفاصيل الدقيقة للحدث ، قام برحلات الى الشرق وصفها في كتابه الذي لم يقصره على الحروب الميدية بل تحدث عن مصر وبلاد الفرس وليبيا ، اما المؤرخ توسيديدس (٤٦٠ – ٣٩٥) ق. م ، الذي عاصر الحروب البلوبونيزية وكان شاهد عيان لها يمكن الوثوق بروايته والاعتماد عليه ، وتميز في كتاباته بالتجرد والنزاهة وعدم التحيز لأي طرف حتى ولو كان لبلده اثينا ، ولقبه البعض بأبي النقد التاريخي فقد عالج الاحداث التاريخية وفسرها معتمدا على المنطق والعقل وكان يهتم بتعليل الحوادث واسبابها الحقيقية ، وهذا ادى الى شهرته .

التعليم : اهتم اليونان عامة والاثينيون خاصة بالتعليم باعتباره الوسيلة المثلى لبناء المواطن المنتمي لبلده المدافع عنها وقد رأينا اهتمام اليونان بالتعليم والتربية في اسبرطة. حيث اهتم المشرع ليكورغوس بهذا الجانب من حياة الاسبرطيين ، كما وجدنا ايضا ان صولون يهتم بالتعليم وينشئ المدارس وينظمها ، وكانت المدارس حرة ينشؤها الاهلون ولكن الحكومة تراقبها بواسطة مجلس الاريوباغس ، ثم تحول الاشراف عليها الى هيئة يسمي افرادها صوفرونيستي Sophronistae [1] . وقد اقتصر التعليم على الذكور في اثينا وفي معظم بلاد اليونان ، وكان النظام التربوي يقتضي ان يبقى الطفل مع امه حتى السابعة ولكن الاسر ذات الغنى واليسار قد تجعل له مربية تقص عليه قصص الالهة والابطال والارواح والحيوان ، ومراقبته في اثناء اللعب. وبعد ان يكبر الطفل ينتقل الى المدرسة ويرافقه رجل مسن غالبا من العبيد يسمى المربي (بيد اغوج) . وفي سن السابعة. يذهب الطفل الى المدرسة ويبقى حتى الثالثة عشرة ويتعلم في المدرسة الرياضة البدنية والموسيقى والادب ، والنحو والمحادثة يتلقاها مشافهة من اساتذته ، وبعد المرحلة الابتدائية يتوقف ابناء الفقراء عن التعلم ، بينما يستمر

١- حاطوم ، نور الدين ، مرجع سابق ، ص ٤٦٠ .

ابناء الاغنياء والموسرين الذين يستمرون حتى الثانية عشرة وينصب الاهتمام فيها على العناية بالرياضة البدنية ، كالمصارعة ، والجري ورمي الرمح ، والصيد وركوب الخيل ثم اضيفت اليها مواد الحساب والهندسة والموسيقى والرسم . اما التعليم العالي فقد اقتصر على المناقشة والمحاورات التي كانت تتم بين الشباب والفلاسفة خاصة السفسطائيين وهم جماعة من الفلاسفة الجوالين الذين كانوا يجوبون المدن اليونانية يعلمون فيها مقابل اجر ، اهتموا بالمنطق والعقل والبلاغة ، تتلمذ على ايديهم الكثير من رجال السياسة ، وكانوا يتقاضون اجورا باهظة لذا اقتصر تعليمهم على ابناء الاغنياء ومن اشهرهم بروتاغوراس الذي كان حريصا على تعليم تلاميذه « التبصر والحذر وفنون البلاغة والكلام » وثيبياس الاليستي الذي وضع بحوثا في الهندسة والشعر والموسيقى والخطابة والادب والاخلاق والسياسة والتاريخ [1] وقد اتهمهم الفلاسفة الذين جاءوا بعدهم كسقراط ، وارسطو بأنهم يموهون الخطأ ويقلبون الحق باطلا ، والباطل حقا ويرى ارسطو في السفسطائي رجلا لا يهتم الا بالاثراء من وراء التظاهر بالحكمة، ومثله فعل سقراط ، وايزوقراط ورغم ذلك فانه مما لاشك فيه ان السفسطائيين قد لعبوا دورا كبيرا في العملية التعليمية في المدن اليونانية . وكان هناك عدد من المعلمين غير المأجورين كسقراط الذي نال شهرة وصيتا عظيمين والذي استقطب حوله كثيرا من الشباب الذين تعلقوا به ودونوا افكاره كافلاطون وارسطو.

الامثال : وهي قصص وامثال اوردها ايزوب (٦٢٠ – ٥٢٠) ق.م على لسان الحيوانات وعنه اخذ لافونتين الفرنسي. وتنتهي قصصه دائما بمغزى اجتماعي واخلاقي وقد يكون ايزوب نفسه قد اقتبس هذا الفن الأدبي عن الآراميين . لان هذه الظاهرة لم تقتصر على شعب واحد او على بلد معين . فقد رافقت جميع الحضارات ، وبنوع خاص حضارات الشرق الاقصى (كليلة ودمنه) .

الفلسفة : ساعة برز ادب اليونان كان الفكر من وحي هذا الادب ، والادباء كانوا من المفكرين ، فشغفوا بتعليل الاشياء والتفتيش عن الحقيقة والسعي للمعرفة لان ديانتهم لم تضمن الاستقرار للقلق النفسي . وما وجد الشرقيون ، من مصريين وساميين ، تفسيره في

١- فرح نعيم ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

العقيدة ، حاول الاغريق تعليله عن طريق الفلسفة والفكر وهذا ما اثر في الاتجاه الفلسفي عند الاغريق وابعده عن الدين كل البعد .

الفلاسفة : ونشأت المحاولات الفكرية الاولى في ايونيه ، فبرز « طاليس » الذي رد الكون الى اصل مائي،" انكسيمندر" الذي سبق داروين الى نظرية تطور الحياة ، ثم " فيثاغوروس "الذي رأى في الاعداد نظاما للوجود ، وقال بالتناسخ ، ولكن جميع هذه النظريات كشفتها اقوال سقراط وكتابات افلاطون وارسطو.

ولم يهتم **سقراط** (٤٦٩ – ٣٩٩) ق.م بالدين او بما وراء الطبيعة او بتعليل الحياة ومنشأها ، بل شغف بالسياسة وعلم الاخلاق ، دليله في ذلك المنطق السليم فتعرض للديمقراطية حين رآها تحبذ القرعة في اختيار الحكام ، ومن هنا تفضيله النظام الارستقراطي على النظام الديمقراطي . ولكنه مع ذلك لم ينكر على الديموقراطية ما تتيحه من حرية للافكار. وانقياده للعقل والمنطق جعله اخطر الاشخاص على الدين والالهة وانتقاداته الدائمة جمعت من حول عددا ضخما من المتشككين . وحقد عليه الحاكم انيتوس لان ابنه تبع سقراط . وتذكر الجميع تهجمات اريستوفانيس ، فوجهت اليه التهمة التالية «ان سقراط مذنب عام لانه لا يعترف بالالهة التي تعترف بها الدولة ، بل يدخل فيها كائنات شيطانية وانه مذنب كذلك لانه افسد الشباب ». وحكم عليه بالاعدام ولكن من حاكوه ندموا في النهاية .

اما **افلاطون** (٤٢٧ – ٣٤٧) ق.م فقد احب سقراط ورافقه حتي النهاية ، وكان في الثامنه والعشرين عندما حكم على معلمه بالموت . دون اقوال سقراط لان هذا الثرثار رفض ان يكتب ، فصعب التمييز احيانا بين افكار الرجلين . وفي كتاب « الجمهورية » تخيل افلاطون افضل المجتمعات واسعدها . وتكلم عن عالم « المثل » فقسم العالم الى قسمين : علوي وسفلي. واطلق على العلوي اسم عالم المعقول او المثل . والمثل حقائق أزلية ثابتة في كمية محدودة لا تفني ولا تزول ، هي مبدأ الموجود والفكر . اما العالم السفلي فيتضمن اشياء متعددة ومتغيرة لها مثالها او صورتها المجردة عن المحسوس في عالم المثل . وما الانسان الا الصورة الكلية الشاملة لخصائص اشياء العالم السفلي . ولم يقل افلاطون عن سقراط انكارا لدين الاغريق والهتهم ، واقترابا من الله .

وارسطوطاليس او ارسطو كما اعتدنا ان نسميه (٣٨٤ - ٣٢٢) ق.م كانت تعاليمه ردة فعل ضد المثل الافلاطونية ، عرف مذهبه باسم المشائي لانه كان يعلم ماشياً . وانطلق من الواقع ليصل الى الله علة الوجود ، فخالف بذلك افلاطون الذي اراد ان يطبق عالم المثل على الارض ، والنفس عند ارسطو ملازمة للجسد مرتبطة به فعارض بذلك نظرية التناسخ لفيثاغورس وتعصب للمنطق فوضع المنطق الشكلي ، ورأى سعادة الانسان في الاتزان والتزام الموقف الوسط في كل القضايا والامور .

ومع العمالقة الثلاثة ، سقراط وافلاطون وارسطوا ، بلغت الفلسفة اليونانية ذروتها ، وفاخر الاغريق بانهم انجبوا في عصر واحد ما عجزت عنه بقية العصور والامم . ولم يخب هذا التيار الفلسفي من بعد ، ولمعت اسماء اخرى منها ابيقوروس (٣٤٢ - ٢٧٠) ق.م ، (اي في العصر الهليني) الذي دعا الى اللذة الحقيقية التي هي السعادة وهذه السعادة نابعة من ترويض النفس وكبح جماحها ، فتذهب بالم الجسد وقلق الفكر .

الفنون والعلوم

الفنون :

١- **الخزف** : اخذ الاغريق صناعة الخزف عن جزيرة كريت ، وهي صناعة رافقت مستلزمات الحياة قبل ان تصبح فنا قائما بذاته ، فثمة ضرورة ، لحفظ الزيت والخمر والحبوب وقد حدت غزوات الدوريين من نشاط هذا الفن . ولكن الاخيين الهاربين من وجه الدوريين الى ايونيه ورجوا هذا الفن فازدهر على يد ابناء ميليتس فصدروا الى العالم زهرياتهم واشتهرت ساموس بمصنوعاتها الرخامية ، وفاخرت كورنثه بقوارير الطيب ، ومنذ اواخر القرن السادس لمع نجم اثينا واحتكرت صناعة الخزف وفاقت جميع اقرانها ، اما الموضوعات التي رسمت على زهريات والاواني والقوارير فقد اقتبست من مصادر عدة . مها الالياذة والاديسة والميتولوجيا والحياة العامة وازدهرت باللونين الاحمروالاسود دون سواهما ، وبرز في هذا المضمار اسما دوريس وبريغوس .

٢- **فن العمارة** : ان ازدهار فن العمارة رهن بتوفر المال ، واليسار المادي تصحبه دائما نهضة عمران ، لان العمران نفسه ليس الا مظهرا من مظاهر الغنى . ولم تعرف اثينا زمنا سبق

عهد بيز بستراتوس ازدهرت فيه الاوضاع الاقتصادية . فاقتصر بناء الهياكل قبل ذلك ، على الحجر العادي والخشب . وكان بسستراتوس هو اول من عمل بفكرة المشاريع الضخمه والمنشآت العامة . فلما خرجت اثينا مظفرة من الحروب الميدية صمم ببريكليس على جعلها اروع مدن الاغريق على الاطلاق فاقام المعابد لشكر الاله وعدد المنشات فأمن العمل لجميع افراد الشعب من مواطنين وسواهم ، وانفق اموال حلف ديلوس غير آبة لاصوات المعارضة قائلا لهم في الجمعية : « حسن جداً فلتذهب نفقات هذه المنشآت الى جيبي انا ، لا الى جيوبكم ، ولينقش عليها اسمي لا اسمكم » .

فلما سـمعوا قوله هذا نادوا بأعلى اصواتهم ان ينفق المال .. فلم يخل شارع من ورشة بناء ، وجرت المياه في الاقنية ورممت اسوار اثينا التي هدمها الفرس واحيط الطريق المؤدى من اسوار اثينا الى مرفأ البيريه بجادرين طويلين ، اذ بلغ طول كل منهما سبعة كيلومترات ، ولكن اشهر الابنية واجملها كانت معابد الاكروبوليس .

١.٢ الاكروبوليس : هي تله هضبية مجاورة لاثينا ، فوق سطحها المهد ، وداخل اسوار مرتفعة هدمت مرارا على ايدي الفرس ثم الاسبارطيين ، اقيمت مجموعة من الابنية الدينية ، اشهرها معبد البارتنيون للالهة اثينا .

والبارتينون من تصميم المهندس والنحات « فيدياس » ، صديق بيريكليس والمولع بأعمال العمران . ولم يشأ فيدياس ان يستحدث في تصميم هذا المعبد ، بل فتش عن الكمال في التصاميم القديمة ، ولم يظهرالعظمة في كبر الحجم ، فقد عرفت « اليونان الكبرى" معابد اكبر منه ، ولكنه اتى تحفة هندسية سواء من حيث رخامه او من حيث انسجام الاعمدة الدورية وارتفاعها وحجمها . وبلغت الدقة في التفصيل ان تحاشى فيدياس كل ما يرى خطأ بالعين المجردة وان يكن صحيحا من حيث القياس ، مثلا على ذلك ان اعمدة الزوايا نحتت اضخم قليلا لتبدو للناظر بانها ليست ارفع من الاعمدة المجاورة .

وكذلك ارض المعبد لم يجعلها فيدياس مسطحة افقية ، بل مائلةالى الامام حتى لا تبدو ارض المعبد منخسفة في وسطها ، وحتى تسيل المياه الى الخارج فلا تركد في الوسط والمعبد كله يقوم فوق مسطح في ثلاثة ادراج ليبرز مشرفا على الارض المحيطه به .

وتلف البرتينون من الخارج اعمدة دورية الطراز وهي المسيطرة على فن البناء في القرن

الخامس اي مضلعة دون قاعدة وبسيطة التاج يتضخم حجمها في الوسط ويقل في اعلى ، وتحمل من فوقها افاريز منحوته ، عمل في نقشها فيدياس نفسه ، او تلاميذه تحت اشرافه ، واختار فيدياس موضوعا لنقوشه مراحل الاحتفالات بعيد اثينا ، وقد طليت بعض واجهات المعبد بالوان زاهية ، لكنها زالت مع الايام .

وفي ايام بيريكليس ايضا تم العمل في مدخل الاكروبوليس ، وهو مدخل يدعى البروبليا . اعمدته عالية لا تضايق دخول المركبات ، ويحيط به بناءان عاليان يتبوأ احدهما ، الى جهة اليمين ، معبد صغير للالهة اثينا (التي تهيىء النصر) .

وبعد بيريكليس استمر العمل في الاكروبوليس ، وانجز معبد الايريكتيون ، وابرز ما في هذا المعبد منبره الخارجي المسقوف ، تحمل سقفه تماثيل نساء تقوم مقام الاعمدة .

وليست هذه كل ابنية الاكروبوليس ، بل انجحها . والميزة البارزة في فن العمارة الاغريقي هو تنوع اعمدته . فمنها الدورى الذي يزين البرتينون ، ومنها الكورنثي وتاجه بشكل زهر الاكونتوس (زهر اليهود) ، ومنها الايوني ويمتاز بتاج له لولبان يلتقيان على الجانبين ، وخارج الاكروبوليس شيدت الملاعب الرياضية والمسارح ، وانتشرت في كل انحاء اليونان ، وصممت بشكل مدرج ليتاح لجميع الحضور مشاهدة الالعاب والتمثيل مع مراعاة وصول الاصوات الى آذان الجميع .

٤- **النحت** : عن كريت ايضا اخذ الاغريق فن النحت ، فاستعملوا في البدء الخشب والمعادن الثمينة ثم البرونز ، وفيما بعد ركزوا اهتمامهم على الرخام ، واتت نماذجهم الاولى خالية من كل حركة ، خاضعة لمقاييس جامدة لا تتبدل شأن تماثيل الفراعنه ، وبعد حكم الطغاة (بيزيسترانوس وابناه) برزت محاولات جديدة ، همها اضفاء الحركة على التماثيل ، فابتعد الفنانون عن الاوضاع الجامدة فمثلوا الجسم متحركا ، منحنيا لا منتصبا ، والذراعين والساقين منفتحتين . وهذا يعني المزيد من الحيوية ، فاعترت النحت مسحة من التجديد اهتمت بدراسة التشريح الحركي ودأب الفنان على ابراز العضلات الهادئة المعبرة عن الجمال والتكامل الجسماني لا عن القوة ، وعلت الوجوه سحة من الهدوء المعبر .

وحافظت التماثيل على مستوى رفيع من الجمال ، وذلك نتيجة امرين اولهما انها كانت تمثل الالهة ، وثانيهما ان من نحتت تماثيلهم من البشر كانوا من الابطال الرياضيين ، اي من

المتكاملين والمتناسقين جسمانيا واذا مثل الشخص برداثه ، لم يكتف الفنان بتمثيل الرداء ليستر الجسم فقط ويختصر في التفاصيل ، بل انصب على ثنايا الثوب ودرس تغضناته حتى يأتي الثوب نفسه آية في الابداع .

واول المجلين في فن النحت كان ميرون وجمع في نماذجه بين الرقة الايونية ورجولة البلوبنيز ، فاذا نحت تمثال الرياضي تمثله اثناء المباراة ، اي في وضعية اللعب لا قبلها ولا بعدها ، تلك حال« رامي القرص » . وعن عجلتة قال النقاد :«لا ينقصها الا الخوار».

اما« فيدياس » فكان الاشهر ، وبالاضافة الى تصميمه البرتينون زينة بالتماثيل كتمثال « اثينا برتينون ولم يسلم منه شيء بل ما وصل الينا هو نسخة عنه نحتها فيدياس نفسه. ونحت فيدياس تمثالاً اخر لاثينا نصبه بين البريليا والايركيتيون . واكتفى احيانا بالتصميم والاشراف ووكل الى تلاميذه امر التنفيذ .

وبرز غير فيدياس وميرون مشاهير عديدون مثل بركستيليس وليزيت ، وكثرت مدارس فن النحت ، وتعددت الاسماء بحيث يضيق المجال لذكرها هنا .

٥- **الموسيقى** : ونذكر معها الغناء والرقص، لما بين الفنون الثلاثة من تلازم ، وقد فرض الشباب ان يستمروا في تلقن الموسيقى حتى سن الثلاثين وعيب على الفرد اذا جهل مبادىء الموسيقى او قصر في استعمال احدى آلاتها ، ولازم التلحين مهنة الشاعر ، فالقصيدة لا تلقى بل تلحن وتغنى ، هكذا فعل بندار وسافو ، واشتقت تسمية الشعر الغنائي من اسم القيثارة وغدت الموسيقى من مستلزمات الحياة ، فهي عنصر ضروري في كل المناسبات ، فثمة الترانيم الدينية ، وأهازيج النصر وأنغام المآتم والافراح والجوقات ، ومن الاتهم القيثارة والناي ، وبعض العازفين استعمل نايين في آن واحد ، احدهما رفيع النغمة يدعى الانثى ، والاخر غليظ النغمة يدعى الذكر .

والاهتمام بالالحان والموسيقى يؤدي حتما الى الشغف في الرقص ، لا بل ان الراقص فرض عليه اصلا ان يغني ويرقص في آن واحد ، ولم ير الاغريق في الرقص عيباً او منقصة ، فسقراط كان يرجو ان يزيل سمنته عن طريق الرقص ، لما يكسب الجسم من كمال وتناسق وافلاطون يرى في الرقص " الرغبة الفطرية في شرح الالفاظ بحركات الجسم كله " وارسطوا يصفه بانه تقليد الاعمال ، والاخلاق ، والعواطف ، بطريق اوضاع الجسم والحركات الايقاعية.

واختلف الرقص التعبيري باختلاف المناسبات ، فثمة الرقص الديني في الاعياد ، والرقص الرياضي ، والرقص الحربي ، والرقص الشعبي واخيرا المباريات في الرقص .

العلوم :

١- **الخصائص** : العلوم سبقت الفلسفة في الظهور ، وكان مهدها الاول ايونية ، ثم تلازمتا حتى غدا العالم فيلسوفا ، وقد اعتبر الفلاسفة ان الوجود وحدة لا تتجزأ والالمام بجميع الحقائق – فلسفية كانت ام علمية – واجب في تعليل الاشياء ، فلا عجب اذا ان تكون الاسماء التي وردت معنا في دراسة الفلسفة هي نفسها البارزة في دنيا العلوم ، وعلى سبيل المثال طاليس وفيثاغوروس .

٢- **دور ايونيه** : وكانت ايونيه السباقة الى البروز بحكم موقعها ، وبحكم الازدهار الذي حظيت به مدينة ميليتس بنوع خاص ، في وقت كان الشرق قد بلور معلوماته ونسقها وغربلها ، فاستطاعت هذه المدينة الاغريقية ان تطلع على ما توصل اليه المصريون وشعوب ما بين النهرين ، وصح فيها القول : « حيث تلتقي الطرق ، تلتقي كذلك الاراء والعقائد ".

وامتازت علوم الاغريق بأنها لم تجعل لخدمة الحياة العملية كما في الشرق ، بل نجم معظمهما عن اشباع للفضول العلمي واصطبغ بالصبغة النظرية ، كل ذلك في سبيل تعليل الامور والوصول الى الحقيقة .

٣- **المشاهير** : واشهر الاسماء في دنيا العلوم كانت :

طاليس : (٦٤٠ – ٥٤٦) ق.م : اول البارزين من علماء ايونيه هو طاليس الفينيقي المولد انتقل الى سيليتس مروراً بمصر، حيث تتلمذ على علمائها فأدخل العلوم الفلكية والرياضية الى ايونية ، ونقى علم الفلك من شوائب التنجيم واستطاع ان يتنبأ بدقة عن موعد كسوف الشمس "ايار ٥٨٥ ق.م" فذاع صيته ، وطور الهندسة النظرية ، ولا نزال ندرس بعض نظرياته الهندسية كقطر الدائرة وحساب المثلثات وحالات تساوي الزاويا ، وكان اول من كتب في علم الطبيعة اي الفيزياء .

انكسيمندر : (٦١١ – ٥٤٨) ق.م : تتلمذ على طاليس ، وبرع في علم الفلك ، صنع مزولة بين عليها حركة الكواكب وميل الفلك وتعاقب الفصول ، لكنه قال بان الارض اسطوانة معلقة في وسط الكون ، واهم اعماله وضع الخرائط على أسس علمية ، فتطور علم الجغرافية

على يده واضاف الى علم الجغرافية فيما بعد الرحالون من امثال هيرودوت ثم ايراتستينيس في الاسكندرية .

فيثاغوروس : (٥٨٠ – ٥٠٠) ق.م : عالم وفيلسوف ولد في ساموس، اهتم بالفلك والهندسة والرياضيات ، « وكان اكثر الباحثين مثابرة » ، زار مصر فاستقى علم الفلك ، وعاد الى اليونان فانشأ مدرسة ذاع صيتها ، وبلغ من المثالية درجة فرضت احترامه على الجميع، فتعلق به تلاميذه واقتدوا به واكملوا ما بنى فطوروا علم الهندسة النظرية كالمتوازيات والمثلثات والاشكال واهتم بالفلسفة الى جانب اهتمامه بالعلم ، « فاضحت كلمتا فيثاغوروس وفيلسوف مترادفتين » ، وقال بالتناسخ فحرم اكل اللحوم « لئلا يأكل احد من لحم اجداده » ، وبلغ من مزجه بين العلم والفلسفة ان اتخذ من « الاعداد » اساسا لفلسفته .

ابو قراط : وهو المع الأسماء في عالم الطب ، عنه اخذ الجميع ، اعطى المهنة صفتها الانسانية قبل كل شيء ، ووضع قسما فرضه على كل من اراد تعاطي هذه المهنة ، اقام في عيادة لا يتنقل من مكان الى آخر .

اما الجراحة فقد بقيت مقصورة على كبار الاطباء ، وان كان بعض موظفي الجيوش يتعاطونها ابان الحرب ، ولكنهم في كل الاحوال يتكلون على ما نصحت به كتب ابو قراط .

وكلامنا على العلوم قد اقتصر على مشاهير الاغريق قبل العصر الهيلليني فثمة آخرون كان لهم الفضل في تطوير علوم العصر او في التمهيد لاكتشافات علمية دقيقة كمعرفة حقيقة الكواكب، دوران الارض – وهيأوا لمتحف الاسكندرية في العصر الهليني .

الفصل الرابع
الفكر السياسي عند اليونان

تميزت بلاد اليونان بكونها من اولى البلدان التي ظهرت فيها النظريات السياسية ، ولعل ذلك عائد الى طبيعة انظمة الحكم التي سادت في هذه البلاد، والتي تميزت بالدول المدينية المستقلة والتي كان لكل منها نظامها الخاص. وقد استعرضنا مختلف اشكال انظمة الحكم فيما سبق ، وقد شجعت الحرية التي وفرتها الانظمة الديموقراطية للأفراد على التفكير الحر وعلى دراسة النظم السياسية السائدة ، والمقارنة بين الانظمة السياسية التي شهدتها مختلف مدن اليونان، وسلبيات وايجابيات كل نظام من هذه النظم ، وإلى محاولة التوصل الى وضع نظام سياسي مثالي أو كفء يحقق العدالة والحياة الفضلى للشعب، ووصف المجتمع الامثل ومزايا وصفات الحاكم، والقانون الذي يسير عليه ويطبقه على الشعب . وقد ذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فمنهم من مال الى النظام الاسبرطي الذي يقوم على مبدأ سيطرة الدولة على جميع مقاليد الامور دون إغفال اي جانب من جوانب حياة الناس الفردية والجماعية صغيرا كان ام كبيرا ، ومنهم من أيّد بحماس كبير النظام الاثيني الديموقراطي واعتبره النظام الامثل الذي يحقق للانسان السعادة والهناء وقد كانت مدينة اثينا المركز الذي ظهر فيه معظم المفكرين السياسيين وازدهر فيه الفكر السياسي .

المفكرون السياسيون :

من اشهر المفكرين السياسين والفلاسفة الذين بحثوا في انظمة الحكم .السفسطائيون، سقراط ، افلاطون ، ارسطو .

وفيما يلي عرض موجز لآراء وأفكار كل منهم :

١- السفسطائيون :

وهم فئة من الفلاسفة والمفكرين ظهرت في القرن الخامس ق. م ومعظمهم من المعلمين والمفكرين الاجانب الذين اتخذوا من أثينا موطناً لهم ، وقد تركز اهتمامهم وبحثهم في اصل الدولة والجماعة البشرية وفي حقوق الموطنين ، ويرجحون مصلحة الفرد على الدولة ، ويرون بان

الدولة مؤسسة تقوم على المصلحة ، فهي نظام أنشأه بعض الافراد من اجل المحافظة على مصالحهم ، وأن القانون انما هو رمز لسلطة القوي وسلطانه على الضعيف ، ولذا فانهم دعوا الافراد الى عدم اطاعة هذه القوانين والتحلل منها .

٢- سقراط ٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م :

من اشهر الفلاسفة والمفكرين الذين ظهروا في اثينا ، استقطب حوله مجموعة كبيرة من الشبان في اثينا، نبغ من بينهم افلاطون نظر الى الدولة على أنها نظام طبيعي ودليل ذلك في نظره ان جميع التغيرات التي تصيبها لا تمس جذورها ولا تؤدي الى ازالة الدولة بل تمس مظاهر الدولة كانظمة الحكم مثلا. وقد خالف سقراط السفسطائيين في ما ذهبوا اليه من تقديم مصلحة الفرد على مصلحة الدولة ، فقال بوجوب تقديم مصلحة الدولة على مصلحة الفرد لانها افضل وأقوى ، ودعا الى احترام القوانين التي اعتبرها رمزا للعدل حيث انها تطبق على القوي والضعيف على حد سواء .

ولكنه اختلف مع القوى المسيطرة على اثينا التي اتهمته بافساد عقول الشباب فحاكمته وحكمت عليه بالاعدام. فحاول تلاميذه تهريبه ويسروا له السبيل ، ولكنه رفض الهرب ونفذ حكم الاعدام فيه فترك تلاميذه أثينا الى ميغارا حيث اسسوا مدرسة عرفت باسم الميغاريين كان افلاطون من اعضائها .

٣- افلاطون ٤٢٧ -٣٤٧ ق.م :

ولد افلاطون في اثينا ، ابوه ارستون Ariston وأمه بركتيوني prictione من اسرتين ارستوقراطيين ، تلقى التعليم الراقي في اثينا مثل ابناء طبقته ، التقى بسقراط وهو في العشرين من عمره ، ورافقه ثماني سنوات ، وعندما اعدم سقراط لجأ مع جماعة من تلامذته الى ميجارا عام (٣٩٩) ق.م ، ولكنه لم يستقر بها طويلا حيث تنقل في بلاد اليونان ومصر وايطاليا لمدة ١٢ سنة، وقد قضى في صقلية وفي سيراكوزه بالتحديد ثلاث سنوات عاد بعدها الى اثينا حيث وقع اسيرا بيد القراصنة وأصبح رقيقا ولكنه دفع فدية وعاد الى اثينا وعمره اربعين سنة . اسس بعدها اكاديمية افلاطون، ظل يعلّم فيها بقية حياته ووضع كل مؤلفاته ، اهتم افلاطون بدراسة النظريات السياسية . وضمن آراءه وافكاره في ثلاثة كتب هي :ـ

الجمهورية، الحاكم، القوانين .

وصف افلاطون في كتاب الجمهورية الدولة المثالية التي يتصورها ، والتي يرى انها تحقق لمواطنيها السعادة الكاملة .

يرى افلاطون ان الدولة هي نظام وضعي يقوم على اتفاق وتعاقد بين الافراد بهدف الوصول الى تحقيق اهدافهم وبما يحقق مصالحهم .

قسم افلاطون مجتمع جمهوريته الى ثلاث طبقات :

– طبقة المنتجين : وعملها تأمين حاجات المواطنين من المصنوعات الضرورية والغذاء ، وبناء المساكن والانشاءات المختلفة .

– طبقة المحاربين : وتنحصر وظيفتها في الدفاع عن الدولة وممتلكاتها .

– طبقة الحكام : ومهمتها الرئيسة حكم البلاد والسهر على مصالح المواطنين ورعايتهم.

هذه الطبقات متساوية في الحقوق وامام القانون أمّا ما يمكن أن ترمي اليه هذه الطبقية فهو مجرد وضع المواطن اليوناني في الموقع الذي يمكنه فيه ان يخدم المجتمع حسب ما تؤهله قدراته وامكاناته،اعتقد ان هذا التقسيم يمكن ان يتحقق من خلال التربية والتعليم ، حيث يقوم المربون بإعداد وتهيئة الافراد لواجباتهم، ويتم تصنيفهم وفق ما يتيسر لهم من القدرات العقلية ، ورأى ان من الواجبات الاساسية لكل طبقة ان تقوم بانجاز مهامها واعمالها بكل اخلاص وتفاني لمصلحة جميع مواطني الجمهورية ، ولكي ينصرف كل مواطن لأداء اعماله بالشكل المطلوب ، فانه يجب على الدولة ان تؤمن للجميع الطعام ، والملبس ، والمأوى ، وهذا يقع على عاتق الطبقة الاولى : طبقة المنتجين ، ولضمان قيام طبقة المحاربين ، وطبقة الحكام بمهامهم والتفرغ لذلك ، رأى ان يحرمهم من الملكية العقارية ، ومن الزواج الدائم ، وان اباح لهم الاتصال بالنساء دون ان يتحملوا أية مسؤوليات أسرية بما في ذلك تربية الاولاد الذين يولدون نتيجة ذلك الاتصال ، حيث اعتبر ان الدولة مسؤولة عن تربية هؤلاء الاطفال التي تربيهم وتعلمهم وتوزعهم على الاعمال التي تؤهلهم قدراتهم ومواهبهم لها .

نظر افلاطون الى الانظمة السائدة في زمنه وصنفها في درجات، فاعتبر ان الحكم الارستوقراطي هو افضل الانظمة السياسية وانه الاوج والذروة والمثل الاعلى الذي ينبغي ان تسعى الانظمة السياسية لبلوغه. حيث كان يرى ان طبقة الحكام في الجمهورية المثلى هم اولئك الذين أهلتهم قدراتهم العقلية بلوغ اعلى مرحلة في النظام التعليمي المقترح، حيث انهم بلغوا

مرحلة تعلم الفلسفة ، واصبحوا بذلك قادرين على معرفة الحقائق الموجودة في عالم المثل ، فهم الارجح عقلا والاكثر حكمة وتبصرا بعواقب الامور ، وبهذه الصفات التي يمتلكونها اصبحوا قادرين على رعاية مصالح المواطنين وتحقيق العدل بينهم، واعتبر ان هذه المرحلة هي مرحلة الكمال بالنسبة لانظمة الحكم وأن اي نظام حكم بعد ان يبلغ الكمال يبدأ بالضعف والانحدار حيث يتحول بعدها الى النظام التيموقراطي : الذي يقوم على التمييز بين المواطنين في الحقوق والواجبات تبعا لثرواتهم مثل نظام اسبرطة الذي وضعه المشرع صولون ، الذي تظهر فيه الفروق واضحة بين مختلف طبقات المجتمع ، كما يظهر ان كل طبقة من الطبقات تعمل لتحقيق مصالحها الخاصة بمعزل عن الطبقات الاخرى وعلى حسابها. وقد تقوم كلا الطبقتين الثانية (المحاربين) والثالثة (الحكام) بالتحالف والاتفاق ضد الطبقة الاولى (المنتخبين واستغلالهم والقضاء على حريتهم) .

ويأتي النظام الاوليغاركي (نظام حكم الاقلية) في المرتبة الثالثة، وفي هذا النظام مثل سابقه تشكل الثروة اساس ممارسة السلطة السياسية حيث تستأثر قلة من الاغنياء بالحكم بينما تحرم غالبية المواطنين من الفقراء من المشاركة في الحكم . ولضمان استئثارها بالحكم ورعاية مصالحها الخاصة ، نراها تمعن في قمع الطبقة الفقيرة وتصوغ القوانين التي تتفق ومصالحها ، الامر الذي يدفع هذه الطبقة الى التمرد والثورة لتحقيق المساواة ، فاذا نجحت في ذلك انتقلت بالنظام الى المرحلة الرابعة وهي النظام الديموقراطي ، حيث تنتقل ممارسة الحكم الى الاغلبية ، غير ان المشرفين على تسيير الحكم يسيئون فهم الحرية فتسود الفوضى والاضطراب في الدولة الامر الذي يقود الى الانتقال الى المرحلة الخامسة والاخيرة ، وهي نظام حكم الطغاة الذي يعتبره افلاطون اسوأ انواع الحكم [1] .

وفي كتابه الثاني « الحاكم » قام بعرض صفات الحاكم كما يراها ، وبين ان الحاكم الصحيح هو الفيلسوف الحكيم ، وان احسن اساليب الحكم، التعليم وتكوين الاخلاق .

ويشير الى ان هناك فارقا كبيرا بين الحاكم الكامل، وبين من يمارسون الحكم في الواقع وبين الاساليب التي يراها ضرورية وبين الاساليب التي يلجأ إليها هؤلاء ، ورأى افلاطون انه بما

١- حاطوم ، نور الدين ورفاقه ، ١٩٦٨ ، الموجز في تاريخ الحضارة ، مرجع سابق ٤٣٣ .

ان الحاكم هو فيلسوف وحكيم راجح العقل فان له من رجاحة عقله ما يغنيه عن وجود القوانين التي تقيده وتعيق عمله. وبما ان هذا الحاكم نادر الوجود فيصبح من الضروري سن القوانين لضبط وتوجيه عمل الحكام الواقعيين .

وقد وضع انطلاقا من افكاره عن الحاكم تصنيفا للحكومات تبعا لعدد الافراد الذين يمارسون الحكم فهناك حكومات يمارس الحكم فيه شخص واحد ، او تمارسه هيئة قليلة العدد، او يمارسه السواد الاعظم للشعب .

اما الكتاب الثالث والذي اكمل فيه افلاطون تصوراته حول انظمة الحكم وصفات الحاكم وهو كتاب « القوانين » ، وفيه حاول وضع مجموعة من القوانين تحدد حياة الجماعة ويمكن ان تؤدي الى افضل النتائج ، وقد تخلى افلاطون في هذا الكتاب عن افكاره المثالية وحاول ان ينهج فيها نهجا واقعيا ، ولكنه لم يفلح حيث ظل الاتجاه المثالي يشده اليه ، فقد رأى ان تسمح الحكومة بالزواج ولكنه وضع شروطا تقيد هذا السماح ، كما وضع نظاما جديدا للتربية يطبق بشدة على كافة الشباب . واخضع تربية وثقافة المواطنين الفكرية والفنية لرقابة شديدة، كما اباح الملكية الخاصة ضمن شروط شديدة . ورغم خشيته من ان يؤدي ذلك الى سوء توزيع الثروة الا انه اعترف بأن المساواة المطلقةغير ممكنة، ولذا عاد وقسم المواطنين الى اربع فئات ، تبعا لثروتهم وقد وصف سارثون كتاب القوانين بقوله : وفي كتاب القوانين تكيفت احلام افلاطون السياسية عمليا حتى تلائم الضعف الانساني ، وهو يحوي مادة غزيرة تنظم كل مرفق من مرافق الحياة العامة او الخاصة ، ومن هنا كان لهذا الكتاب تأثير ملحوظ في التشريع الهيلليني والروماني، وقد وضعت مسودات قوانين كثيرة وسنت قبل افلاطون ، ولكن من العسير الاهتداء الى فلسفة قانونية سابقة عليه. ومن اجل هذا نستطيع ان نسميه مؤسس فقه القانون.[1]

وضع افلاطون نظاما للدولة يعتبر وسطا بين النظام الملكي والنظام الديموقراطي لانهما برأيه يمثلان فكرتين متعارضتين : السلطة والحرية وان التطرف في اي منهما غير مقبول ، ويرى ان العلاقة بين الحاكم والمحكوم ينبغي ان تكون علاقة ايجابية يسودها الوئام والوفاق

١- سارثون ، جورج ،١٩٦١ ، تاريخ العلم (ج٣) ترجمة الطويل توفيق وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، ص (٣٠ - ٣١).

حيث يستند الحكم الى رضاء المحكومين لا الى ارغامهم ، وقد اقترح ضرورة وجود جماعة من الاوصياء على القوانين، عددهم (٣٧) ممن بلغوا الخمسين من عمرهم يتم اختيارهم بالانتخاب من الحكام العسكريين، ويعتزلون عملهم عند بلوغهم السبعين ، كما اقترح وجود مجلس اداري يتألف من (٣٦٠) عضوا يمارسون امر الجمعية التشريعية والتصويت على قرارات الحاكم ومراقبته ، كما اقترح وجود جمعية عامة تنتخب الحكام .

اما النظام القضائي الذي توصل اليه افلاطون فينص على حق المواطنين في المشاركة في شؤون العدالة .

ولكي نتمكن من الحكم على افكار أفلاطون وآرائه السياسية لا بد ان نذكر الظروف السياسية التي عاصرها ، فهو قد عاصر الحروب البيلوبونيزية وشهد هزيمة اثينا والديموقراطية ، ورأى الفظائع التي ارتكبها افراد الطبقات الشعبية اولا ثم التي ارتكبتها الارستوقراطية ثانيا ، وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره باشر الحكم الثلاثون طاغية (٤٠٤ – ٤٠٣) وشهد ارتكابهم للمظالم الفظيعة التي فاقت كل ما عداها من المظالم وشهد سنة ٣٩٩ق.م صدور الحكم بالاعدام ضد استاذه سقراط ، فغادر اثينا حانقا عليها حاقدا على الفوضى السياسية التي كان يراها امامه فيها . الامر الذي جعل اسبرطة وكريت تبدوان في وضع افضل منها. ومن العسير علينا ان نتفهم دوافع اعجابه باسبرطة وهي التي هزمت وطنه وأذلته شر اذلال ولكننا يمكن ان نرد ذلك الى ان افلاطون كان يرى الفوضى والاضطرابات تعم المجتمع الاثيني نتيجة الحروب المستمرة التي تخوضها اثينا ضد اعدائها. ويرى اسبرطة منتصره قوية من البعيد دون ان يعيش فيها ويلمس عن كثب مساوئ نظامها القائم على سيطرة طبقة الارستوقراطيين على الهيليوتيين والاجانب .

٤- أرسطو ٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م :

ولد ارسطو سنة ٣٨٤ في مدينة اسطاغيرا في اقليم خالكيديكي في اقصى الشرق من شبه جزيرة جبل آثوس ، في منطقة يسيطر عليها الفكر والثقافة الايونية ، أبوه نيقوماخوس وامه فايستس ، كان ابوه طبيبا لاميتاس الثاني ملك مكدونيا. ثم رحل ابوه من اسطاغيرا الى عاصمة مكدونيا حيث تلقى ارسطو تعليمه في مقدونيا وبذلك يفترض انه تأثر في شبابه بثلاثة

انواع من الثقافات الأيونية ، المكدونية والطبية (مهنة والده) .

وفي سن السابعة أوفده ابوه الى اثينا ليكمل تعليمه حيث قضى فيها ٢٠ سنة (٣٦٧- ٣٤٧) ق.م ، حيث تتلمذ على يدي افلاطون في مستهل اقامته بأثينا ، واعجب به افلاطون به ولقبه بالقاريء او العقل [١] ومن المرجح - انه درس على اساتذة آخرين مثل ايزوقراطس ، وديموستين ثم انسحب أرسطو من اكاديمية افلاطون ومن اثينا وذهب الى اثارنيوس والتحق بمدرسة اسوس التي تعتبر فرعا من اكاديمية افلاطون للتدريس فيها حيث قضى أرسطو فيها ثلاث سنوات (٣٤٧ - ٣٤٤) وتزوج من بثياس ابنة اخ هرمياس ، الفيلسوف والمدرس في نفس المدرسة وعندما مات هرمياس على يد الفرس ، عرض على ارسطو ان يكون معلما للاسكندر ابن فيليب المكدوني ، وظل معه من (٣٤٣ - ٣٤٠) . وعندما اعتلى الاسكندر العرش اتخذ من ارسطو مستشارا له ، وبعدما ازدادت مشاغل الاسكندر السياسية والعملية ، عاد أرسطو الى أثينا وانشأ مدرسة جديدة هي اللوقيون ، وبعد موت الاسكندر حاول اعداء مكيدونيا الفتك به ، فاضطر الى ترك اثينا واللجوء الى خالكيس حيث مات بعد ثلاثة شهور من ذلك .

كتب ارسطو في حياته الحافلة العديد من المؤلفات يمكن تصنيفها في ثلاث مجموعات :

الاولى : التي الفها وهو عضو في اكاديمية افلاطون .

الثانية : مؤلفات وبحوث كتبها في فترة مدرسة اللوقيون .

الثالثة : مؤلفات وبحوث كتبها ايام اشتغل بالتعليم في اسوس وبلاّ واثينا . وقد وصلت الينا جميعا بالاضافة الى مؤلف واحد من المجموعة الثانية هو الدستور الاثيني ، اما الباقية فقد ضاعت كلها ولم يصلنا منها سوى شذرات في كتبه الاخرى ومؤلفات تلاميذه .

ويبدو ان اهم كتبه السياسية اطلاقا هو كتاب « دستور اثينا » أو « الدساتير » وهو عبارة عن مجموعة محاضرات اعدها لمدرسة اللوقيون حيث قام بدراسة مقارنة لـ ١٥٨ دستورا اغريقيا ، اهمها على ما يبدو هو الدستور الاثيني وهو الذي وصل الينا ، ويقع في جزئين رئيسين هما :

١- التاريخ الدستوري من اقدم العصور الى ارسطو .

١- سارتون ، تاريخ العلم ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

٢- وصف تحليلي للدستور الأثيني والحكومة الاثينية كما كانت حوالي ٣٣٠ ق.م [1] .
وسنعرض فيما يلي لآرائه وافكاره فيما يتعلق بالدولة ، والمجتمع والرق ، والملكية والزواج وانواع الحكومات ، والتنظيم الداخلي في الدولة .

فقد رأى ان الدولة نظام طبيعي ، حيث ان الانسان اجتماعي بطبعه فقد كون الانسان الاسرة كأول جماعة مترابطة ، كما تكونت من مجموع الاسر القرية ومن اتحادمجموعة القرى تكونت الدولة في جماعات يمكنها أن تكفي نفسها ، والدولة بهذا المفهوم هي اهم واكمل مظاهر الاتحاد وجدت لتحمي مواطنيها ولتأمين السعادة الكاملة لهم، والانسان في نظره لا يستطيع العيش بعيدا عن الجماعة السياسية ومن يقدر على ذلك هو أحد اثنين : اما ان يكون قد سما فوق مستوى البشر او انحط الى مستوى البهائم .

اقر ارسطو نظام الرق واعتبره اداة اقتصادية تؤمن سعادة الافراد وهي جزء من المتاع الذي يقوى امتلاكه شخصية الفرد وينمي شعوره بالمسؤولية ، وان الذي اجرى التقسيم بين البشر هي الطبيعة نفسها، حيث قسمت البشرفئتين : السادة والعبيد .

آمن ارسطو بالملكية الخاصة واعتبر ان إلغاءها يعمل على اشاعة الفوضى والقضاء على الدولة ، كما نادى بضرورة الحفاظ على الروابط الاسرية ، ويعتبر الدولة مجموعة من المواطنين لهم دستور يحدد عناصر السلطة والحكومة والعلاقات التي يمكن ان تقوم بينهما ، ويرى وجوب تركيز السلطة العليا في يد الشعب الذي يرسم ويقرر الشؤون العامة وهو الذي ينتخب الحكام لتحقيق اغراضه ويحاسبهم على ما قاموا به من اعمال .

اما فيما يتعلق بأنواع الحكومات فهي اما ان تكون رشيدة تهتم بمصالح جميع مواطنيها أو تكون سيئة لا تهتم الا بمصالح الطبقة الحاكمة وحدها . اما افضل الحكومات فهي التي يمارس السلطة فيها افضل المواطنين ، دون تحديد العدد ، اذ يمكن ان يمارس الحكم شخص واحد ، او عدة اشخاص او الشعب باكمله [2] . وهذا النوع الاخير من الحكومات غير ممكن الوجود في عالم الواقع ، ويعود ارسطو فيقرر ان افضل الدول واكملها هي التي

١- سارتون ، جورج ، ١٩٦١ ، تاريخ العلم ، مرجع سابق ص ١٦٣ .

٢- حاطوم ، نور الدين ، ١٩٦٨ ، مرجع سابق ، ص (٤٣٨ - ٤٣٩) .

تستطيع ان تومن لمواطنيها حاجاتهم وتكتفي ذاتيا بشرط عدم زيادة عدد المواطنين عن قدرة المدينة او الدولة عن الاستيعاب ، اما العوامل التي تحقق للدولة الاكتفاء الذاتي في نظره فهي الموقع والمساحة الارضية الكافية والثروات الطبيعية، اما المواطنين الذين يحققون لها ذلك فهم في الغالب الزراع وارباب الحرف والمحاربين ورجال الدين والحكام .

اما فيما يتعلق بالتنظيم الداخلي للدولة فنجده يركز على التربية باعتبارها اهم واجبات الدولة لان كمال الدولة مرتبط بكمال مواطنيها والتربية هي الوسيلة الاكثر اهمية في غرس الفضائل الخلقية والثقافية. وان التربية ينبغي ان تبدأ مع المواطن منذ صغره. كما وضع نظاما للزواج وتربية الاطفال ، كما رأى وجوب اهتمام الدولة بحماية المواطنين من الاعتداءات الخارجية عن طريق الاستعداد العسكري الذي لا يهدف الى الاعتداء والتوسع بل الى الدفاع ضد الهجمات الخارجية .

وقد نادى ارسطو بسمو الاغريق عن غيرهم من الشعوب، كما عالج بكثير من التوفيق العلاقة بين الحرية والسلطة ، كما بحث في التأثيرات الاقتصادية على نظم الدول ونشاطها .

مما تقدم يتبين لنا ان فلاسفة اليونان ومفكريها السياسيين قد وصلوا بفكرهم إلى درجة متقدمة كثيرا عن عصرهم الذي عاشوا فيه، وان آراءهم وافكارهم قد انتقلت الى روما والى اوروبا التي قامت نهضتها على اساس احياء الثقافة اليونانية والرومانية ، وان بعض افكارهم تتفق كثيرا مع الافكار السياسية السائدة في وقتنا الحاضر .

القسم الثاني

تاريخ الرومان

الفصل الأول

تمهيد

- روما وحوض البحر المتوسط
- روما في العهد الملكي
- روما في العهد الجمهوري
- توّسع روما في حوض البحر المتوسط
- الامبراطورية الرومانية
- التوسع الروماني نحو الشرق وقيام الامبراطورية الشرقية (بيزنطة) .

القسم الثاني

تاريخ الرومان

الفصل الاول

البيئة الطبيعية

تمهيد

المعالم الجغرافية :

ايطاليا شبه جزيرة تمتد من جسم القارة الاوروبية في حوض ،بحر الابيض المتوسط وتقسمه الى قسمين شرقي وغربي، طولها حوالي ١٠٠٠ كم وعرضها يتروح بين (١٤٠ –١٦٠) كم، يقع الى الشرق منها بحر الادرياتيك الذي تشكل اليونان حدوده الشرقية ، بينما ينفتح البحر الابيض المتوسط الى الغرب منها الى سواحل اسبانيا حيث تتناثر فيه الجزر العديدة مثل كورسيكا ،وسردينيا ، وجزر البليار ، اما شواطئها الجنوبية فانها تطل على جزر صقلية ومالطه ، وتقترب بذلك من الشواطئ الشمالية للقارة الافريقية وخاصة تونس وليبيا .

يتكون سطح شبه جزيرة ايطاليا من عدة اشكال من التضاريس اهمها :

سلسلة جبال الأبنين ،وتمتد على طول شبه الجزيرة من الشمال الى الجنوب بمحاذاة الشواطيء الشرقية لشبه الجزيرة ، بينما تبتعد عن الشواطيء الغربية لتفسح المجال لنشوء سهول زراعية واراضي خصبة تخترقها الانهار ، ومن اشهر هذه السهول سهل **اللاتيوم** الذي يجرى فيه نهر **التيبر** الذي تقع عليه مدينة روما ، وسهل اتروريا ويجرى فيه نهر الآرنو . وتفرض سلسلة جبال الابنين تجزئة شديدة للارض الايطالية وتعزل الشواطيء الشرقية عن الشواطيء الغربية ، كما انها تعزل سهول صقيلة **وكامبانيا** عن سهول اللاتيوم واتروريا وحوض نهر البو (عرفت فيما بعد باسم سهول لمبارديا) . وهذا ادى الى خلق كيانات اقليمية مستقلة في شبه الجزيرة قبل تكون الدولة الرومانية ، كما ادى الى تباين وفروق تاريخية وحضارية بين منطقة وأخرى ، ففي الالف الاولى قبل الميلاد وجدت مناطق ايطالية تعيش في عصر البرونز ، بينما كانت مناطق اخرى قد تقدمت الى عصر الحديد .

وفي الشمال تشكل جبال الالب الشاهقة الارتفاع حاجزاً يفصل شبه الجزيرة عن بقية

اوروبا ، ولا تصلها بها الا بعض الممرات الجبلية الضيقة الامر الذي جعل الاتصال محصورا وضيقا الى حد كبير .

المناخ : مناخ شبه جزيرة ايطاليا يتفاوت بين الشمال والجنوب ، ففي الجنوب يسود مناخ البحر الابيض المتوسط ، حيث يسود الجفاف ، وسطوع الشمس والحرارة صيفا. بينما تسود الامطار شتاء ، ولكن يغلب على هذا المناخ الاعتدال بوجه العموم ، اما في الشمال فيسود المناخ الالبي حيث الثلوج والبرد شتاء .

ان الموقع الذي تتمتع به شبه جزيرة ايطاليا مكّنها من ان تلعب دورا كبيرا في تاريخ حوض البحر الابيض المتوسط، كما مكّنها من الدفاع عن نفسها بقوة امام القوى التي حاولت القضاء عليها وهي في مراحل تكونها الاولى ، كما ان امتدادها في البحر الابيض المتوسط جعلها تشارك شعوبه في صنع التاريخ ، وجعلها تتأثر بالحضارات التي نشأت فيه، وجعلها بالتالي تؤثر فيه بدورها تأثيرا واضحا. لقد كانت ايطاليا بحكم موقعها الجغرافي الممتاز في وسط البحر الابيض المتوسط ، وبسبب اعتدال اقليمها مهجرا لابناء الحضارات القديمة من الشمال الي الجنوب والشرق ، كما ساهم في تباين التأثيرات الحضارية وما استتبعه من اختلاف وفوارق في مستوى التطور فبينما تعرضت اتروريا واللاتيوم وكامبانيا الى المؤثرات الاغريقية والقرطاجية ، نجد ان المنطقة التي استوطنها الغاليون (اومبريا وسهل البو وليغوريا) كانت متخلفة وتسودها عادات وحشية بدائية ، اضافة الى ان التجزئة الشديدة التي فرضتها طبيعة البلاد الجغرافية ، أدت إلى حالة من الصراع الدامي ، استمرت قرونا عديدة حتى تم نوع من التوحيد على مراحل : اولا على يد الاتروسكيين ثم على يد الرومان، كما أدى الى تنوع شديد في اللغات والثقافات ، حيث شاعت في ايطاليا لغات متعددة (ليغورية ، سلتيه ، اتروسكية ، يونانية ، فينيقية) .

الفصل الثاني

حضارات إيطالية

لم تكن شبه الجزيرة الايطالية تسمى بهذا الاسم في الماضي البعيد ، واول من استخدم هذا الاسم هو هيرودوت ، واطلقه على مقاطعة كالابريا ، وفي حوالي القرن الاول ق.م عم هذا الاسم على مجموع شبه القارة [1] .

كانت ايطاليا تضم في فجر تاريخها شعوباً متعددة ذات لهجات ولغات مختلفة وتنشي فيها مؤسسات حضارية متباينه ، وسنتعرف فيما يلي بشكل موجز على هذه الشعوب والحضارات التي انتجتها والتي تشكل الارضية التي قامت عليها روما فيما بعد .

عاش سكان ايطاليا القدماء العصور التاريخية المختلفة التي مر بها الانسان في كل مكان عاش فيه ، فقد عاشوا في العصور الحجرية ، ثم انتقلوا الى العصور المعدنية باستخدام النحاس أولا ، فعرفوا منذ الالف الثاني ق.م الفؤوس والمناجل ، والسيوف وغيرها من الادوات المعدنية التي وجدت بقاياها في سهول لمبارديا ، وفي الالف الاول ق.م دخلت في عصر الحديد كما يظهر من الآثار المكتشفة بالقرب من مدينة بولونيا والتي تعود الى القرن التاسع ق.م، والتي يعتقد انها تطورت وانتشرت في شمال ايطاليا في حدود القرن السادس ق.م .

ان معرفتنا بالحضارات الايطالية القديمة قليلة وغامضة الى حد كبير ولكن يمكن التاكيد على سلوكين مارسهما السكان :

الاول : انتشار عادة تقديم الاضاحي والقرابين في الربيع المقدس التي تلي ايام الضيق والشدة الكائنة في فصل الشتاء ، وقد اختلف في نوعية هذه القرابين فقد تكون بشرية من مواليد الموسم وقد يستعاض عنها بطرد الجيل المولود في اثناء الربيع المقدس خارج الجماعة بعد ان يبلغ سن الرشد ، وقد عمل بذلك السابينيون والسابيون وانتقل ذلك الى الرومان والكلتين في اوروبا الوسطى .

١- لرزات ، محمد حرب ، ١٩٦٤ ، محاضرات القيت على طلبة التاريخ ، جامعة دمشق ، ص ١٥ .

الثاني : ان سكان ايطاليا تأثروا باليونان كثيرا حيث تعلموا منهم الكتابة الابجدية ، واسلوب النحت [1] ، كما يظهر الى درجة واضحة، تأثير الفينيقيين والقرطاجيين وبخاصة على سكان غربي ايطاليا وصقليه وبالتحديد على قبائل الاليم ، وهم جماعة من سكان طروادة الذين غادروها بعد حرب طروادة المشهورة ، واستقرت في غرب صقلية ، اما هذه الشعوب فهي **الليغوريون** .

وينتمون الى مجموعة الشعوب التي اطلق عليها اسم شعوب البحر الابيض المتوسط ، واستوطنوا الأجزاء الشمالية الغربية من شبه الجزيرة واعطوها اسمهم ، واستوطنوا ايضا في جزر كورسيكا ، وسردينيا ، وغرب صقلية ويعتقد البعض انهم بسطوا نفوذهم على مجموع شبه الجزيرة الايطالية ، ثم عادوا الى الانكماش عند مجيء شعوب الايطاليك الهندو- اوروبية الى المنطقة - ، ويشكل الايطاليون هؤلاء مجموعة كبيرة من الشعوب مثل الاومبريون ، والسيانيون واللاتين والسانبيون ، وقد دخلوا الى شبه الجزيرة على دفعات وهجرات متتالية ، وليس يدري متى تم لهم ذلك ولكن الغالب انهم دخلوا من شبه جزيرة البلقان عن طريق ايلليريا .

الكلتيون : ويعتقد بان اصلهم من اوروبا الوسطى ، وهم من الهندو - اوربيون استوطنوا بلاد الغال (فرنسا حاليا) في الفترة ما بين القرنين السابع والسادس ق.م واحتلوا جزيرة ايبريا ، وفي القرن الخامس ق.م انتصروا على الاتروسكيين ثم غزوا روما وعاثوا فيها فسادا عام ٣٩٠ ق.م .

تميزوا بالذكاء ، والشجاعة ، وبسرعة الغضب ، والميل الى النظام ، تقودهم ارستوقراطية عسكرية ميالة الى العنف، تميز سلوكهم عموما بالتقدم ، فكانوا يتناولون طعامهم في صحون معدنية ، تسليتهم العراك الصوري ، استخدموا السيوف المزخرفة كما لبسوا الملابس الملونه والموشاة بالذهب المكونة من سراويل طويلة والاحذية طويلة الساق ، والمعاطف الواسعة ، يلبسون الحلى ، ويطيلون شعورهم ويربون الشاربين .

اما تنظيمهم السياسي فتميز بالرقي ايضا حيث وجدت لديهم مجالس للشيوخ تشكل مصدر السلطة ، وطبقة الاخوان المحاربين ، وانقسمت الطبقات الى : طبقة الفرسان المحاربين،

---

[1] لرزات ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

وطبقة الضعفاء ، وطبقة العبيد ، وكان نظام الحكم الغالب عندهم نظام الممالك المدينية ، وكانوا يحرقون موتاهم ، اما نظام الاسرة فكان يقوم على سيادة الاب ، اما على صعيد الاقتصاد فكانت لهم علاقات تجارية واسعة مع الأقوام المجاورة ، كما صنعوا ادواتهم من المعادن وبخاصة القصدير ، وبنوا السفن وابحروا بجوار شواطيء المتوسط والاطلسي .

الاتروسكيون : من أشهر الجماعات البشرية التي استوطنت ايطاليا ، وقد اختلف المؤرخون في أصلهم ، فمنهم من قال بأنهم من سكان ايطاليا الأصليين، وآخرون يردونهم الى شعوب آسية الصغرى الذين استقروا في نهاية هجراتهم في ايطاليا ، وفريق ثالث يردهم إلى شعوب أوروبةالشمالية.

انطلق الاتروسكيون من أتروريا في منتصف القرن السابع ق.م على منطقة كامبانيا، واستولوا على سهل اللاتيوم ، وقاموا بتمدين سكانها ، وبنوا فيها عددا من المدن وشقوا القنوات لري الاراضي الزراعية واقاموا فيها حكومة ملكية تعاقب عليها عدد من الملوك وتقدموا نحو الجنوب حيث احتكوا باليونان وانشأوا معهم علاقات سياسية ، وتجارية ، وفكرية مختلفة[1] . وفي عصر التوسع اليوناني في ايطاليا وفي كورسيكا حوصرت أتروريا فتحالفوا مع القرطاجين ، وقد اراد الاتروسكيون الاستفادة من مقاومة القرطاجين للتوسع اليوناني فدارت بين الطرفين معارك بحرية في ميناء **الاليا** هزم بنتيجتها الاسطول اليوناني واصبحت كورسيكا للأتروسك ، وسردينيا لقرطاجة ، واستثمر الاتروسكيون ذلك فتوسعوا شمالا وزحفوا على سهل البو .

وقد بدأ نجم الاتروسكيون بالأفول منذ نهاية القرن السادس ق.م ، وذلك بسبب التحالف بين الاغريق واللاتين حيث انتهى الامر بطرد الاتروسكيين من اللاتيوم ومن روما ، حيث يبدو ان الاتروسك قد اخلوا مدينة روما بعد هزيمتهم من **اللاتين** وليس بسبب ثورة او تمرد حدث في مدينة روما نفسها ولكن يبدو ان هناك عاملان اديا الى سقوط حكم الاتروسكيين في روما هما:

١- مقاومة الارستوقراطيين ملاكي الاراضي الملكية الاتروسكية في روما .

٢- عوامل استراتيجية بسبب دخول اللاتين الى روما لنجدة اهلها والخوف من تدخل

١- عبد الحق ، سليم عادل ، ١٩٥٩ ،روما والشرق الروماني ، المطبعة الهاشمية ، ص ٢٠.

السابينين لقطع الطريق بين روما وأتروريا .

وقد نتج عن انسحاب الاتروسكيين من روما واللاتيوم انقطاع الصلة بين مقاطعتي كامبانيا وأتروريا والى دخول عنصر جديد في تاريخ ايطاليا والعالم وهو بدء تاريخ روما وبذلك انهارت اول محاولة لتوحيد ايطاليا الذي تم على يد الرومان فيما بعد .

ويمكن رد فشل المحاولة الاتروسكية لتوحيد ايطاليا الى ثلاث عوامل :

١- فقدان القوة المنظمة .

٢- ضعف او انعدام الجهاز السياسي الكفء .

٣- فقدان التشريعات الاجتماعية الموحدة .

وقد استمر الحكم الاتروسكي في الشمال حيث استمروا يسيطرون على مناطق الابريين واقاموا عددا من المستعمرات التي يقوم في اماكنها اليوم مدنا هامة مثل ميلانو ومودينا وبولونيا على بحر الادرياتيك .

وقد حمل الاتروسكيون معهم الحضارة الى اللاتيوم وكامبانيا واومبريا وحوض نهر البو ، فنشروا الزراعة وبنوا المدن في مواقع سليمة الاختيار وجففوا المستنقعات وعرفوا التعدين وصناعة الحديد .

كان المجتمع الاتروسكي مجتمعا ارستوقراطيا وكانت الاسرة عندهم تسير وفق النظام الابوي كما عرفوا الاسرة التي تنتسب الى الام وعرفوا نظام الاتباع الذي ساد عند الرومان فيما بعد ، ويعود لهم الفضل في نشر مؤسستين اجتماعيتين سياسيتين هما :
نظام الدولة المدينية ، ونظام الحلف الاثني عشري .

وكان مجلس الاتحاد ينعقد في الساحة المحيطة بالمعبد ويعمل على فض المنازعات التي تحدث بين اعضائه كما يقرر سياسة الاتحاد العامة .

كان نظام الحكم السائد عندهم النظام الملكي ولكنه لم يكن واضح المعالم من حيث كونه وراثيا ام انتخابيا ولكن يبدو بحكم تركيب المجتمع الاتروسكي ان النظام الاكثر شيوعا عنده ، كان نظام حكم الاقلية « الاوليغاركي » ، وقد تركت التنظيمات الاتروسكية اثرها في التقاليد والمنظمات الرومانية كعضوية مجلس الشيوخ وملابس القادة وقت الحرب مثل ارتداء الشال الأرجواني الموشى، وفي احتفالات النصر ومراسيمها ، وفي نظم الرومان واعرافهم فيما بعد .

أما من الناحية الدينية[1] فقد تميزالاتروسكيون بتدينهم وحرصهم على التعاليم والمعتقدات الدينية ، وتقوم عبادتهم على الخضوع والاستسلام لمشيئة القوى العظمى التي تتحكم بها وتحركها مقاصد غيبية غير معروفة ، فكانوا يخافون من الصواعق والرعود ويعتبرونها انذارا الهيا ، ويهتدون الى مقاصد الالهة والقوى الخفية بزجر الطير او فحص احشاء الحيوانات الذبيحة ، وقد انعكس ذلك على سلوكهم فأخذوا يتبعون مراسم دقيقة يتقيدون بها عند اختطاط مدنهم او في اثناء تقديم قرابينهم او في انشاء معابدهم وهياكلهم ، اما الالهة التي عبدوها فيرتد معظمها الى اصل اغريقي كالاله طوران Turan الاله فينوس والآله (يوني Uni) الذي يشبه مارس الايطالي الاصل وهناك الاله هيركل (هرقل)أبوللو، وارتوم (ارتيمس اليونانية)

ويوكد (إإيمار) ان العبادات الاتروسكية تأثرت بالعقائد الشرقية تأثرا واضحا وبخاصة مصر وبلاد الرافدين حيث وجدت نصوص تعاويذية وطلاسم سحرية من مصر كما آمن الاتروسكيون بالحياة الاخرى بعد الموت ، حيث وجدت قبور واضرحه عليها صورا للميت واسرته وحاجاته المنزلية واسلحته وحليّه[2] .

وقد برزت بعد القرن السادس ق.م تأثيرات يونانية في عبادات الاتروسكيين وبخاصة فيما يتعلق بالموت وبالحياة الأخرى .

اما الفن [3] عندهم فيظهر واضحا في مدافنهم وما خلفوه عليها من رسوم ونقوش – ولكنهم كانوا ذوي مهارة عالية في صنع الخزف اكثر من مهارتهم في النحت . وتعود اجمل واشهر مأثرهم الفنية الى القرن السادس ق.م ، حيث قامت اعمالهم الفنية كل ما انجز قبلهم في ايطاليا ، وقد اعجب الاغريق بانتاجهم الفني فاستوردوه ضمن ما استوردوا من ايطاليا .

ويمكن تلخيص الأثر الأتروسكي في الرومان بما يلي :

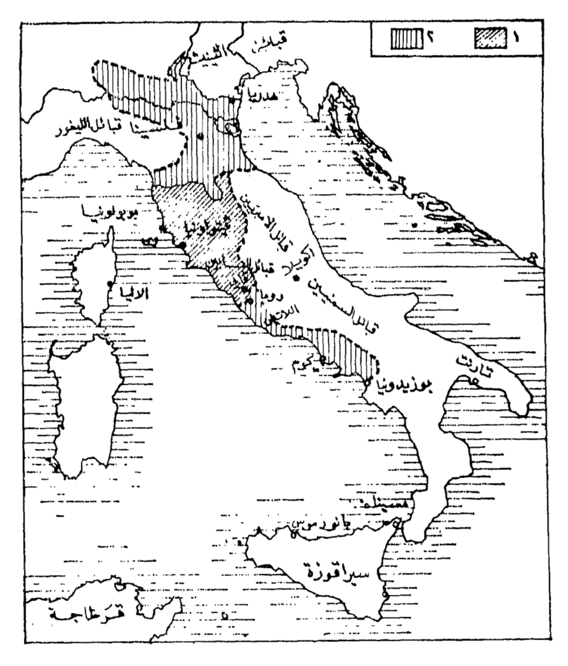
في المجال السياسي في انظمة الحكم والمؤسسات الحكومية في الملكية والمجالس

١- عبد الحق : روما الشرق والروماني – ص ٢٤

٢- انظر اندريه ايمار/، روما وامبراطوريتها.

٣- عبد الحق : روما والشرق الروماني ص ٢٦

التشريعية والاستشارية وفي العمران ، في فن التحصين والري وبناء الطرق ، وفي نقل الابجدية من اليونان الى الرومان ، وفي بعض المعتقدات الدينية ، والفن.



الشكل ٢ - خريطة قديمة لايطاليا تبين انتشار الاتروسك

١ - اتروريا ، ٢ مقاطعات احتلها الاتروسك

الفصل الثالث
نشأة روما

كانت الروايات والاساطير التاريخية القديمة هي المصادر التي استخلص منها المؤرخون الرومان الاوائل معارفهم حول نشأة روما والامة الرومانية والتي اعتمد عليها كل من تصدى لدراسة تاريخ الرومان بعد ذلك في القرون الوسطى ومطلع العصور الحديثةالى ان جاء القرن العشرين واستطاع الاثريون والمنقبون الكشف عن الحقائق المتعلقة بتاريخ اللاتيوم وروما ولذا يجدر بنا ان نشير الى الاسطورة ثم الى ما استجد من الحقائق بعدها حول هذا الموضوع .

تاريخ روما واللاتيوم الاسطوري .

تقول الاساطير بأنه وبعد سقوط طروادة بيد اليونان وتدميرها، هاجر المحارب الطروادي اينياس Aineias ابن الالهه فينوس والطروادي أنكيسيس†Anchises ، وقد تزوج اينياس من ابنة الملك الطروادي بريام Priamos، وبعد مغامرات عديدة في مختلف ارجاء البحر الابيض المتوسط، رسا هذا المغامر بسفينته على شواطيء نهر التيبر في مدخل سهل اللاتيوم في نفس الموقع الذي نزل فيه الاله « ساتورنوس » بعد ان خلفه ابنه جوبيتر على عرش آلهه الاوليمب وحل محله ، ومن هنا سميت المنطقة باللاتيوم المشتقه من الفعل اللاتيني Latere اي اختبأ حيث توارى ساتورنوس فيها بعد فراره ... وقد قام ساتورنوس اعترافا بفضل سكان المنطقة بتعليمهم زراعة القمح والكرمة .

كان الملك لاتينوس Latinus سليل الاله ساتورنوس يحكم منطقة اللاتيوم حين وصول اينياس اليها فزوجه من ابنته لافمينيا Lavinia ، وبعد موت الملك خلفه اينياس على العرش وبني مدينة سماها لافينيوم اكراما لزوجته واصبح شعبه يعرف باسم الشعب اللاتيني نسبة الى لاتينوس ، وقد اختفى اينياس فيما بعد في اثناء عاصفة هوجاء ، فاصبح معبودا لدى شعبه باسم « جوبيتر القومي » .

وبعد اختفاء اينياس تولى ابنه اسكاينوس او « بولوس » الحكم بعده فقام ببناء مدينة البا المستطيلة في اعالي جبل البنين ، وسرعان ما اصبحت هذه المدينه اهم مدينة في اللاتيوم

واتخذها عاصمة له، وبعد موته حكم المدينة ابناؤه واحفاده ومنهم الملك « نوميتر » الذي رزق بابنة هي« Rheasilvia » رياسيلفيا وابنا ذكرا . وقد ثار عليه اخوه الاصغر « آميليوس » وعزله عن العرش وتولى مكانه ونفاه ، ثم قتل ابنه ونذر ابنة اخيه للا لهه فيستا Vesta ، حتى تبقى عذراء لمدة ثلاثين سنة [1] وبذا لا تخلف نسلاولكن اله الحرب (مارس) اعجب بالفتاة في منفاها وانجب منها طفلين هما رومس ورمولوس ، وعندما وصل نبأهما الى آميليوس، ،غضب غضبا شديدا وامر بالقاء الطفلين في نهر التيبر ولكن الآلهة ، تدخلت فانجتهما من الغرق، وقذفت بهما على شاطيء النهر تحت شجرة تين ، وجاءت ذئبة من الجبال و حنَّت عليهما وارضعتهما، وحلق صقر فوق رؤوسهما ليحميهما من كل أذى ، وظلا كذلك الى ان عثر عليهما راعي قطعان الملك (بوستولوس paustulus) وقام وزوجته بتربيتهما . وعندما شب الطفلان عن الطوق وبلغا الثامنة عشرة من عمرهما علما بما جرى لجدهما ، فقاما بقتل المغتصب آميليوس واعادا جدهما الى عرش المملكة ، ومكافأة لهما على صنيعهما منحهما جدهما (نوميتور) اراضي التلال السبعة على ضفاف التيبر ، فقرر الاخوان بناء مدينة لهما في المنطقة التي كانت مهدا لهما على تل البالاتيوم ثم استشار الاخوان الالهة فيمن يضع اسس المدينة المقبلة فاختارت رومولوس ، فاخذ محراثه ذا السلاح النحاسي ، واختط به اخدودا حول البالاتيوم ليكون سورا للمدينة وعندما كان يبلغ امكنة الابواب كان يرفع محراثه بعناية دون ان يمس الارض ثم امر اتباعة من السابينيين واللاتين ببناء السور فورا وبعد اجراء الطقوس الدينية الضرورية ، ولما ارتفع السور أصبح مقدسا ، ولا يجوز لأحد اجتيازه والدخول الى المدينة ، الا من ابوابها . وعندما بدأت الاسوار بالارتفاع ، غضب ريموس وكان حانقا بسبب تجاهل الالهة له واختيارها لأخيه ، فقفز عن السور صائحا، « هل لمثل هذه الحواجز ان تصون مدينتك ؟ . فاستشاط رومولوس غضبا وقتل اخاه صائحا :« هكذا سيهلك كل من يجتاز اسوار مدينتي».

وبذا انفرد رومولوس بالسلطة ، واكمل بناء روما على آثار الدماء التي سفكت فيها ، والتي سيتسبب اهلها في سفكها طوال قرون عديدة بعد ذلك ، وتحدد الرواية زمن حدوث ذلك بسنة ٧٥٣ ق.م .

١- محفل ، محمد ، ١٩٨٤ ، دراسات في تاريخ الرومان ج ١ ، جامعة دمشق ، ص ٦ .

ولجأ روميولوس من اجل اكثار سكان مدينته الى اجتذاب اكبر عدد من الناس فقام ببناء ملجأ على تل الكابيتوليوم، أوى اليه الآبقون واللصوص والمشردون والمغامرون ، ولكن جير انه من السابينيين رفضوا تزويج بناتهم لهؤلاء الرومان ، فلجأ روميولوس الى الحيلة، ودعاهم الى حفل ، ثم ارسل اتباعه فاختطفوا بناتهم وتزوجوهن وكان ذلك سببا لحرب كانت سجالا بين الطرفين ، ثم عقد الصلح بين الطرفين بتوسط النساء السابينيات، واصبح بنتيجة ذلك (روميولوس) و(تاتيوس) السابيني ملكين عليهم يحكمان معا ، ولكن تاتيوس قتل في حرب خاضها ضد الاقوام المجاورة ، فبقي روميولوس وحده حاكما منفردا على الرومان والسابينيين ولكن روميولوس اختفى بعد مدة في عاصفة هوجاء في اثناء احتفال ديني ، واختلف الرومان والسابينيين ، لمدة سنة في تعيين خلف له ، واتفقا أخيرا على ان يقوم الرومان بانتخاب ملك من السابينيين عليهم ، فانتخب « نومابومبليوس » السابيني وزوج احدى الربات ملكا وقد اشتهر بالتقى والورع ، واصلح التقويم ، [1] ونظم للرومان مؤسساتهم الدينية وشجعهم على الزراعة ، ووزع عليهم الاراضي التي خلفها روميولوس ، وبارتقائه العرش يبدأ حكم ثلاثة ملوك سابينيين خلال (٩٩) سنة من (٧١٥ –٦١٦) ق.م . وانشأ معبدا للاله جانوس ، وكانت ابواب هذا المعبد تفتح في حالة الحرب وتغلق في اثناء حالة السلم كما شيد معبدا للآلهة (فيستا Vesta) [2] .

وبارتقائه العرش يبدأ حكم ثلاثة ملوك سابينيين خلال (٩٩) سنة من (٧١٥–٦١٦)ق.م.

وخلفه (توللوس هوستيليوس Tulus Hostilius) ، وبحكمه ابتدأ حكم الملوك البشر في روما ، ونشبت في زمنه الحرب بين روما ومدينة إلبا المستطيلة ، وقد اصطرع خلالهاثلاثة ابطال من روما(الاخوة هوراتيوس) مع الابطال الالبينيين الثلاثة « الاخوة كورياس» فتغلب الأبطال الرومان خصومهم، وبذا ورثت روما من البا زعامتها على اللاتيوم وسيطرتها عليه ولكن البا ما لبثت ان تمردت على روما فقام الرومان باحتلالها وهدمها واصبح الكابيتول بنتيجةذلك المعبد الرئيسي لسكان اللاتيوم بدلا من جبل « كافو » Cavo »،المكان المقدس عند سكان اللاتيوم القدماء وعندما فسدت علاقات الملك المحارب توللوس مع الآلهة غضب عليه جوبيتر وقذف مقره

١– اصلح التقويم بتقسيم السنة الى (١٢) شهرا ، وبتحديد ايام الاعياد .

٢– محفل ، محمد ، محاضرات في تاريخ الرومان ، مرجع سابق ، ص ٩ .

بالصاعقة فخلفه انكوس مارتيوس Ancus Martius ٦٤٠-٦١٦ ق.م.

ومن اهم اعماله بناء جسر سوبليسيوس Sublicius, وميناء اوستى على مصب التيبر، وحصن تل الجانيكول لحماية روما من الغرب .

وقد وفد في ايامه الى روما من أترورية شخص من منكورنثه في اليونان ، فأوكل اليه الملك الوصاية على اولاده ، وبعد موته تولى الوصي تاركوينوس الحكم ، وانتهى بذلك حكم الملوك السابينيين . وبدأ عهد الملوك الاتروسكيين، الرومان [1] . حيث توالى على العرش ثلاثة ملوك أتروسكيين امتد حكمهم منذ (٦١٦ – ٥٠٩) ق.م. وأول هؤلاء الملوك كما رأينا هو الوصي (تاركوينيوس القديم) وكان لقبه قبل توليه الحكم (لوكومون) Lucumon وتعني « شيخ قبيلة» او« رئيس »ومن اهم انجازاته في روما بناء الفوروم ، والملعب الكبير , Circus Maximus ، و« مجرى روما الكبير » Cloaca Maximus ، كما عمل على تجفيف المستنقعات، وبذا توسعت مساحة الاراضي القابلة للزراعة كما اخضع اللاتين والسابين والاتروسكين لحكمه ، وزاد اعضاء مجلس الشيوخ فعين« ١٠٠ » شيخ جديد ، وقد قتله ابناء الملك انكوس مارتيوس انتقاماً لأبيهم ، فتولى بعده الحكم صهره « سيرفيوس توليوس » (٥٧٨ –٥٣٤) ق.م. وتنسبه الروايات الاتروسكيه الى الزواج بين أمة كانت تعيش في قصر الملك والاله الحارس للقصر الملكي (نصفه بشر ونصفه اله) ، وقد اقام التنظيمات الادارية الاولى في روما حيث قسمها الى عدة دوائر كما قسم اراضيها الى مناطق متعددة وقسم السكان الى خمس طبقات حسب ثرواتهم كما بنى السور الجديد حول روما ، وقد انتهى امره نتيجة مؤامرة قام بها صهره (تاركوينيوس المتعالي) Tar-superbus، وقد اشتهر بجرائمه وحكمه المستبد بدأ حكمه بالغاء كل تنظيمات سلفه ، وبسبب ظلمه، وخوفا على حياته قام باتخاذ حرس خاص لحمايته . اما اهم منجزاته العمرانية فهي بناء المعبد المكرس للثالوث الالهي ، كما اشتهر بحروبه المتوالية ضد الاقوام المجاورة وبخاصة اللاتينين والسابينيين وقد اثارت تصرفاته المستبد شعبه فثار عليه وطرده وطرد الاسرة الملكية كلها من روما ، وبطردها سقطت الملكية وبدأ العهد الجمهوري في روما .

١- عبد الحق ، سليم عادل ، روما والشرق الروماني ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

ومما يلاحظ على ملوك الاتروسكيين في روما هو : ان الملوك الاتروسكيين الثلاثة وصلوا الى العرش بالاغتصاب ، وان اثنين منهم قتلا وطرد الثالث ، وان الزعيم الذي قاد الثورة ضد الاتروسكيين لاتيني الاصل . وهذا يشير الى الصراع المرير الذي دار بين الاتروسكيين واللاتين، والى الدور الذي لعبه اللاتين في طرد الاتروسكيين من اللاتيوم .

إن الروايات التي اوردناها عن انشاء مدينة روما واستيطان سهل اللاتيوم هي مجرد اساطير تعكس بعض الحقيقة اذا امكن دراستها بطريقة علمية سليمة. اذ يمكن اعتبار كل ما ورد فيها مختلف، وخرافي ، ولا يمت بصلة لماضي اللاتيوم وروما ، ولذا يجدر بدارس التاريخ الروماني ان يجمع ما بين الاسطورة وما توصلت اليه دراسات وابحاث اللغويين وعلماء الآثار .

لم تظهر الحفريات الاثرية حتى الان ، اي اثر لسكنى الانسان في سهل اللاتيوم في العصر الحجري القديم والوسيط بينما ظهرت آثار انسانية تعود الى العصر الحجري الحديث ، في حوضي نهري التيبر والآنيو . وكان هذا الانسان يدفن موتاه ويدفن معها ادوات فخارية بدائية الصنع ، وبعض الادوات الصوانية ، ويظهر ان هذا الانسان ينتسب الى الليغوريين كما اظهرت الحفريات ايضا انه في أواخر عصر البرونز واول عصر الحديد ، جاءت الى المنطقة موجة بشرية جديدة كان افرادها يحرقون موتاهم بدلا من دفنهم ، وتشبه حضارتهم الى حد بعيد الحضارة التي كانت سائدة في شمال ايطاليا في حوض نهرالبو . ولذا اطلق عليهم اسم الايطاليين القدماء ، وقد امتزج هؤلاء مع الليغوريين فنشأ عن امتزاجهم ما سمي فيما بعد بالأقوام اللاتينيه والتي تشكل الاصل الذي انحدرت منه المجموعات البشرية الاولى ،اي اجداد الشعب الروماني .

وقد اظهرت الحفريات ان الناس كانوا يعيشون في سهل اللاتوم على شكل مجموعات متفرقة في قرى تقوم على المرتفعات ، ويقومون بالاغارة على بعضهم البعض ، ثم دعتهم الحاجة الى التكاتف في مجموعات عسكرية دفاعية ، فتكونت بينهم احلاف بدائية مؤقته تنحل وتنعقد حسب الحاجة ، الى أن تشكل الحلف الألبيني الذي ضم أربعين قوما لاتينيا حول مدينة (البا) على شكل اتحاد انصهرت فيه التحالفات القديمه وقد جمع هذه الاقوام اللاتينية ديانة جوبيتر في جبل كافو .

اما بالنسبة لمدينة روما فتشير الدراسات الى انه في حوالي القرن العاشر ق.م كان

الليغوريون يسكنون فيها على (تل الأفانتان)، حيث ان بقية المنطقة كانت تغطيها المستنقعات والاشجار ولذا لجأ الناس الى اعالي التلال تحاشيا للفيضانات ، ثم استوطن بعض اللاتنين القادمين من مدينة (البا)، تل البالاتان على الضفة اليسرى لنهر التيبر ، واقاموا بعض التحصينات لمنع عبور النهر من الضفة اليمنى الى اليسرى ، وقد بنى الالبينيون القادمون قرية على ظهر الجرمال في غرب البالاتان ، واحاطوها بسور من الطوب ، ثم ظهرت قرية ثانية في موقع الاسكيلان ، ثم اخذت قرى أخرى في الظهور تباعا على قمم التلال ، ومن ثم شكلت فيما بينها اتحادا عرف باسم الاتحاد السباعي ويرى المؤرخون ان هذا الاتحاد تكون على مرحلتين الاولى : اتحاد قريتي الجرمال والبالاثيول الواقعتين على البالاتيوم ، والمرحلة الثانية تحالف البالاثان مع بقية التلال الرومانية وقد احتفظت كل قرية من القرى المشاركة في هذا الاتحاد باستقلال واسع ، وبتنظيماتها السياسية والاجتماعية البدائية الاولية ، وقد كانت حضارة الرومان في زمن التحالف السباعي بسيطة جدا وتقدمها بطيئا .

وقد اظهرت الحفريات التي وجدت في المنطقة على ان سكان روما الاوائل صاروا منذ القرن السابع يتاثرون بالحضارة الاغريقية ، ويستعملون مصنوعاتها ويتعاملون مع ملاحيها ، الذين اخذوا يرتادون السواحل الايطالية وبخاصة سواحل جنوبي شبه الجزيرة .

الفصل الرابع
الحضارة الرومانية في عهد الملوك

حكم روما في الفترة الملكية سبعة ملوك : رومولوس وثلاث ملوك سابينين ، وثلاث ملوك اتروسكيين ، وقد أشرنا اليهم سابقا . وسنعرض فيما يلي لاهم المظاهر الحضارية لروما في هذه الفترة :

المجتمع الروماني :

كان المجتمع الروماني في الفترة الملكية مكونا من عدة طبقات ، فقد انقسم المجتمع الى طبقتين اساسيتين :

أ) طبقة الاحرار ب) الارقاء

وكانت طبقة الرجال الاحرار تنقسم بدورها الى اربع طبقات :

١- طبقة النبلاء ٢- طبقة الاتباع

٣- طبقة العوام ٤- طبقة العتقاء

كانت الحقوق السياسية مقتصرة على الطبقات الثلاث الاولى من طبقات الرجال الاحرار بينما حرمت منها طبقتا الارقاء والعتقاء .

وكان سكان روما في هذه المرحلة ينقسمون الى ثلاث قبائل هي قبيلة اللوسيرسيين Luceres، وقبيلة التيتس Tites ، وقبيلة الرامنيس Ramnes، ويعتقد بأنهم كانو ينتمون الى اصول عرقية مختلفة فاللوسيريس اتروسكيين ويسكنون البالاتان ، والتيتس سابينيون ويقطنون تل الاسكالان والرافيس لاتينيون ويسكنون السكيليوس . وكانت كل قبيلة تقسم اليعشار جماعات (كوريا Curies) ، وكل جماعة تنقسم الى عدد من الاسر (Gentes) ، ويبلغ عددها حوالي ٣٠٠ اسرة ولكل قبيلة مجلس أعيان يبحث في امور الجماعة العسكرية والدينية وقضاياها العامة ، ولكل منها عبادتها والهها الخاص وكاهنها الخاص.[1]

وكان لكل اسرة او عشيرة شيخ او عميد او رب اسرة (Pater Familias) يمارس سلطة

١- انظر حاطوم، نورالدين، موجز تاريخ الحضارة، مرجع سابق ص، ٨، ٥.

واسعة على كل افراد العشيرة التي تفترض انها تنحدر من اصل واحد هو جدها **الاكبر الذي** جرت العادة بأن يؤلّه. ويعبد من جميع افراد الاسرة ، وكانت كل اسرة تتكون من (**الخواص** Patriciens) ومن الاتبـاع Clients وكانوا في الغالب من السكان الاقدمين لسهل اللاتيوم كالليغوريين والسيكول ، والذين خضعوا للمغيرين اللاتين والاتروسكيين او من افراد بعض الاسر القوية القديمة ، الذين اضطروا نتيجة الحروب الى التماس الحماية من اشخاص اكثر قوة منهم، وقد وجد بنتيجة ذلك نوع من الالتزام بين السيد والتابع حيث يلتزم السيد الخاص بالمحافظة على اموال واملاك اتباعه ، وان يساعدهم ، وان يدافع عنهم امام القضاء ، ولا يقوم بأية اعمال تسيء اليهم ، وكذلك يلتزم الاتباع بالا يشهدوا ضد سيدهم ، وان يصوتوا له وان يساعدوه باموالهم في حالات : دفع فدية عنه لفكاك اسره ، ومعاونته في دفع الغرامات المالية التي تفرض عليه ، ومساعدته في الانفاق على عائلته وعلى نفسه اذا اضطر للمعيشة في منطقة اجنبية ، ومساعدته في دفع بائنة ابنته اذا تزوجت ، (قارن ذلك بالتزامات السيد الاقطاعي وتابعه) .

اما طبقة العوام Plebe ، فكانت تعيش في نفس الأراضي التي يعيش فيها الخواص واتباعهم ، غير انه ليس لهم اجداد مؤلهون ولاديانة ولا اتباع ولا يعدون من المواطنين ، ولم يكن لهم شيء من الحقوق المدنية والدينية والسياسية ، وفقدانهم لهذه الحقوق جعلهم في حل من الواجبات ، فلا يدفعون الضرائب ، ولا تترتب عليهم الخدمة العسكرية ويعتقد ان اصلهم ، اما من السكان القدماء او من اسرى الحرب ، او ممن ولدوا ولادات غير شرعية ، او من الاجانب الذين استوطنوا روما طلبا للرزق ، وقد حصلوا على حقوقهم المدنية في العهد الجمهوري وقد ذكرنا سابقا ان سيرفيوس توللوس الملك السادس قد اعاد تنظيم المجتمع الروماني من جديد ، فقسم المجتمع الى خمس طبقات جديدة على اساس الثروات التي يملكها افراد الطبقة ، واتخذ هذا التقسيم اساسا للتنظيم في زمن السلم والحرب وقد قسمت الطبقات تقسيما مئويا على النحو الاتي :

الطبقة الاولى :

مكونة من ثمانين قسما مئويا ، وثمانية عشر قسما للفرسان عددهم ١٩٠٠ فارس ويشترط في كل فرد من هذه الطبقة ان يكون مالكا ل ١٠٠٠٠٠ درهم فاكثر، يُعطى لكل فارس

منهم جوادا وراتبا سنويا يساعده في تجهيز نفسه ، وقد الحق بها قسمان مئويان من العمال للمساعدة في الاعمال الحربية الشاقة كجر العربات والتجهيزات الحربية [1] .

الطبقة الثانية :

فقد ضمت المواطنين الرومان الذين تتراوح ثرواتهم بين (٧٥) الف درهم ـ (١٠٠) الف درهم، وقد قسموا الى عشرين قسما مئويا وقد ضمت شبانا وكهولا مثلها مثل الطبقة الاولى .

الطبقة الثالثة :

وثروات افرادها ما بين (٥٠) - (٧٥) الفا وعدد افرادها المئوي ٢٠ قسما مئويا .

الطبقة الرابعة :

وثروات افرادها تتراوح ما بين (٢٥) - (٥٠) الفا حوت عشرين قسما مئويا .

الطبقة الخامسة :

وعدد افرادها (٣٠) قسما مئويا وثرواتها من صفر - (١١) الف درهم وقسمت الى قسمين، (٣) اقسام مئوية عليا افرادها يملكون (١١) الف درهم (٢٧) قسما يملكون اقل من ذلك وهم معفون من الخدمة العسكرية ويسمى افرادها بالمعدمين وهم من العمال الذين لا يملكون الا اولادهم واجسامهم .

وقد اتخذت هذه التقسيمات المئوية اساسا لانتخاب مجالس الجماعات ولتكوين الجيش ، ولدفع الضرائب وقد جرى تغيير على بنية روما السكانية زمن الملوك الاتروسكيين الذين جنحوا للتوسع ، فازدادت حاجتهم الى المقاتلين ، فلجأوا الى استقدام اسر جديدة من المناطق الخاضعة لحكمهم ، مثل اسـ ر كلوديا ومارسيا ، وبابيريا ، وسرجيا ، وسوليسيا ، وقولومينا ، والى منحها صفة المواطنين وجعلوها في طبقة الخواص . كما عملوا على تجنيد اغنياء طبقة العوام الى جانب الخواص ، وكان هذا الاجراء بشكل خاص نتيجة طبيعية لرغبة الملوك في الاستعانة بهم ضد الخواص الذين اخذوا ينافسونهم في الحكم والسلطة . وقد رحب العوام بهذا التعاون مع الملوك لنيل حقوقهم المدنية .

كما اعاد سيرفيوس توللوس تقسيم مدينة روما الى اربع مناطق بدلا من ثلاث .

١- عبد الحق ، سليم عادل ، ١٩٥٩ ، روما والشرق الروماني ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

التنظيم السياسي :

تمثل الحكم في الفترة الملكية من حياة روما بثلاثة عناصر اساسية هي :

١- الملك . ٢- مجلس الجماعات ٣- مجلس الشيوخ .

وقد تأثرت التنظيمات الرومانية السياسية الاولى بالاغريق حيث ادخلوا نظام المدينة الى المجتمع الروماني الابتدائي ، وجعلوا روما مركز حكمهم في اللاتيوم ، ومنحوها الرخاء الاقتصادي والازدهار المادي .

الملك :

كانت الملكية الرومانية الاولى انتخابية ، ولمدى الحياة ، حيث يقوم مجلس الجماعات بانتخاب الملك ويمنحه مجموع السلطة التنفيذية . الامبريوم Imerium أموافقة مجلس الشيوخ بمقتضى سلطته الابوية (اوكتوريتاس باتريوم(Auctoritas patrium).

واذا مات الملك فان صلاحياته تعود الى الشعب الذي يمثله بصورة دائمة مجلس الشيوخ حيث يقوم مجلس الشيوخ بالحكم لمدة خمسة ايام فقط ينتخب خلالها ملكا مؤقتا يتسلم السلطة لمدة قصيرة وينتخب خلفا له ، وتستمر هذه العملية الى ان يتم جمع مجلس الجماعات الذي ينتخب الملك الجديد ، ويقوم الملك بالوظائف العسكرية والدينية ، والقضائية ، والمدنية .

اما مجلس الجماعات :

ويتكون من ممثلي الجماعات الثلاثين وعدد الاصوات فيه ثلاثون صوتا ، ويكفي لانجاح اي قرار فيه تجميع (١٦) ستة عشر صوتا بجانب القرار ، ومن مهماته :

١- انه ينتخب الملوك .

٢- يصوت على القوانين .

٣- له سلطات قضائية - استئناف الاحكام التي يصدرها الملك واعوانه .

٤- اعلان الحرب والنظر في امور السلم والحرب .

٥- النظر في منح الغرباء حق السكنى في المدينة وفي قضايا التبني والوصيات .

ولا يجتمع هذا المجلس إلاّ اذا دعاه الملك الى الاجتماع او بعد وفاة الملوك لانتخاب ملك جديد ، ويحق للكاهن الاعظم ان يرأس اجتماعاتها عندما يطرح امامها مناقشة الامور المتعلقة

بالدين .

اما مجلس الشيوخ [1] :

فيتألف من رؤساء الاسر القوية اللاتينيه والاتروسكية والسيابينية ويقوم الملك باختيارهم وعددهم ثلاثماية وأهم مهماته :

١- اسداء النصح والمشورة للملك .

٢- مساعدة الملك في جميع امور الدولة

٣- يوافق على قرارات مجلس الجماعات ويعطيها الصفة القانونية .

الديانة الرومانية في العهد الملكي [2] :

كان الرومان الاوائل يعبدون القوى الطبيعية ، ويعتقدون بتأثيرها على الانسان حيث يمكنها أن تحسن او تسيء اليه ، واذا اصابت انسانا او مدينة فانها تدّنسه، ويبرزتأثيرها في الحوادث غير الطبيعيه كالخسوف والكسوف ، والصواعق ، وظهور المذنبات ، والهزات الارضية، او ولادة مخلوقات حيوانية عجيبة كأن تكون ذات رأسين أو ذات القدم المتلاصقة الاصابع وغير ذلك واذا حدث مثل ذلك يتحتم القيام ببعض الطقوس والاعمال التي تهدف الى تطهير الانسان او المكان المدنس بعزله . اما المخلوقات العجيبة فيتم قتلها او حرقها ، ويتم ايضا الطواف حول المكان المدنس وتقديم الاضاحي والقرابين للالهة ، كما اعتقد الرومان ان بامكانهم التأثير في الظواهر الطبيعية وتبديلها بالقيام ببعض الاعمال ، فالمراة العقيم أو العاقر تضرب بالسياط فتنجب، وهزيمة الجيش تستلزم تقديم أحد أفراده لكقربان للالهة . كما آمن الرومان بأن هناك ارواحا تعيش في الغابات أسموها (الجن) ، وترافق كل روح جنية فرد من البشر تحسن اليه وتسهر على راحته وحمايته .

وقد عبد الرومان بالاضافة لذلك ثالوثا الهيا هو :

جوبيتير كبير الالهة واله السماء والامطار ، ومرشد القضاة الى الاحكام الصائبة، وله زوجة هي (جونون) وابنه هي منيرفا وجانوس Janos، وهو اله ذو وجهين ، وهو اله الحرب ، وقد اقيم له

١- حاطوم وآخرون : موجز تاريخ الحضارة ، ج١مرجع سابق ، ص٥١٠

٢- انظر عبد الحق مرجع سابق ،ص ٥٦٦-٥٧٦ ، ص ٤٠ -43

معبد في ساحة (الفوروم) في روما ، تفتح ابوابه في حالة الحرب وتغلق في حالة السلم **والآلهة فيستا** Vesta، وهي إلهة النار.

وهناك الهة اخرى اقتبسها الرومان عن غيرهم من الامم والشعوب مثل : الالهة **سيريس** آلهة المزروعات والنبات ، والآلهة ديانا ،وآلهة الحظ فورتونا Fortune والاله **هيراكليس** اليوناني والاله **مارس** .

كما عبد الرومان الاموات ، حيث آمنوا بان الميت يخلف وراءه روحه بعد موته ، وعلى الاحياء ارضاؤها حتى تحميهم من الارواح الشريرة ، ولذا كانوا يقيمون لها احتفالات خاصة تستمر عشرة ايام في نهاية شباط من كل عام ، حيث تعطل الاعمال وتغلق المعابد وتطفأ النار في المعابد والهياكل ويمنع الزواج . وتتكرر العملية في ايام التاسع والحادي عشر والثالث عشر من شهر أيار لتهدأ الأرواح وتعمل على طرد الارواح الشريرة [1] . كما كان من المعتاد ان يقوم رب الاسرة بأعمال معينة هدفها ايضا ارضاء الارواح ، بان يقوم في منتصف الليل فيفرقع اصابعه ويتطهر ثم يسير في البيت ويرمي وراءه تسع حبات من الفول الاسود وهو يقول تسع مرات « انني ارمي هذه الفولات فاشتري بها نفسي وأقربائي » . ثم يتطهر ثانية ويضرب قطعة نحاسية ويقول تسع مرات«اخرجي ايتها الارواح الشريرة» . كما كانوا يعتقدون بأن بامكانهم الاتصال بامواتهم ، يتم ذلك في حفرة على تل البالاتان اسمها (موندوس Mondus) ياتون اليها ثلاث مرات في السنة يتكلمون معها وفي المساء تعود ارواح الاموات الى مقرها وتغلق ابواب الموندوس ثانية .

ومن الطقوس التي كانوا يمارسونها في عباداتهم استشارة وتفسير سلوك الحيوانات والظواهر الطبيعية ، كالبرق ، والرعد ،و طيران الطيور وطريقة مشي الحيوانات وزحف الافاعي .

اما الكهنه ورجال الدين فهم كثيرون ومتعددوا الاعمال والوظائف وينتظمون في ثمانية فئات هي :

١- عبد الحق ، سليم عادل ، ١٩٥٩ ، روما والشرق الروماني ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

الاولى :

كاهنات الربة فيستا Vesta و يقمن بحراسة النار المقدسة ، وهن من بنات اسر النبلاء الخواص يشترط فيهن ان يكون آبائهن وامهاتهن احياء ، ويخدمن في المعبد لمدة (٣٠) سنة ، كما يشترط فيهن العفة ، واذا أخللن بهذا الشرط يحكم عليهن بالموت وأداً وهن حيات يلبسن على رؤوسهن شالا ابيض ويضفرن شعورهن في ستة ضفائر متراكبة بعضها فوق بعض ، وعملهن ابقاء النار المقدسة مشتعلة وصناعة الحلوى المملحة التي تقدم للالهة (المولاسالسا Molasalsa) .

الثانية :

كهنة ذكور وظيفتهم مباركة الحقول والمواشي والمدن واخصاب الاراضي .

الثالثة :

كهنة عرافون وظيفتهم التنبؤ بالمستقبل ، بعد النظر في احشاء الحيوانات وتفسير سلوكها وتفسير ما تريده الظواهر الطبيعية .

الرابعة :

كهنة ذكور يقومون بايقاد النار في مذابح الاله مارس .

الخامسة :

السادسة :

كهنة ذكور يقومون بالرقص واستدعاء الاله مارس عند نشوب الحرب .

السابعة :

كهنة ذكور وظيفتهم السهر على حفظ القوانين ودوام المؤسسات الدينية .

الثامنة :

كهنه ذكور وظيفتهم تأمين حسن سير العلاقات الدولية بين روما وجاراتها .

الحقوق والقوانين الرومانية في العصر الملكي .

لم يكن هناك عند الرومان في العصر الملكي اية مجموعات قانونية مدونه يمكن الرجوع اليها باستثناء مجموعة Jus Papirianum جوس بابيريانوم المنسوبة الى بابيريوس papirius الذي عاش في أواخر العصر الملكي والتي يرى المورخون انها تنسب خطأ الى

العصر الملكي ، حيث تشير الدلائل ان الرومان في العصر الجمهوري قد قاموا بتدوينها في(١٢) لوحا نتيجة شعورهم بالحاجة الى قوانين مكتوبة. ان هذه المجموعة ليست قوانين بالمعنى المقصود بل هي ارشادات حقوقية عليها مسحة دينية تتعلق ببعض القواعد الحقوقية المدنية والجزائية ، وبعض اصول العبادة ويركز القسم الاكبر منها على احوال الولادة والزواج والتبني والموت والمواكب الجنائزية .

فالزواج مثلا هو احتفال ديني يتم وفق ثلاثة فصول :

١- الترادسيو Traditio

٢- الديدوكسيو ان دوموم Diduxio in Demum

وفي هذين الفصلين يتم تتويج العروس ، ويلقى الوشاح على رأسها ، ثم تقاد الى بيت زوجها في احتفال وموكب يتقدمه رجل يحمل مشعلا وينشد نشيدا دينيا ، ثم يقوم بعض الشبان باختطاف العروس فيحملونها ويدخلونها عتبة بيت منزلها الجديد .

٣. الفصل الثالث الكونفرياسيو وينص على تقديم النار والماء والضحايا وحلوى خاصة الى الاله جوبيتر ، ثم قراءة ادعية معينة امام عدة شهود . وبعد ذلك تصبح الزوجة تحت سلطة زوجها الذي يتصرف بها وبأموالها كيف يشاء . وكما ان للزوج سلطة مطلقة على زوجته فان للأب سلطة مطلقة على افراد اسرته ، فله عليهم حق الحياة والموت ، ويمكنه ان يبيعهم . ولكن عملية البيع هذه لها حد تتوقف عنده ، فاذا باع اب ابنه ثلاث مرات فان للولد الحق في التحرر من سلطة والده ، واذا ولد للأب ولد جديد فعليه ان يعترف به ويقدمه لآلهه الاسرة في اليوم التاسع من مولده ، ثم تجرى عليه مراسيم التطهيروالتبني غير مسموح في قوانين واعراف الرومان . وسلطة الاب تنتقل الى ابنه البكر وكذلك الجزء الاكبر من الميراث [١] .

ومن العادات التي انتشرت عند الرومان الاوائل عادة الاخذ بالثأر وقد عملت الدولة على الحد منها باتخاذ عقوبات قاسية ضد مرتكبي جرائم القتل ، وكانت هذه العقوبات جسدية وقاسية ومن الامثلة عليها ، مثلا ان من قتل ابيه يوضع في كيس مع ديك وافعى ويلقى بالماء ليغرق ، اما المدين الذي يعجز عن سداد دينه فيسلم الى دائنه ليتصرف به بيعا او قتلا او تقطع اعضاؤه من قبل دائنيه اذا كانوا اكثر من واحد .

٢- عهد الحق ، سليم عادل ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

الفصل الخامس
العهد الجمهوري

قام النظام الجمهوري في مدينة روما بعد طرد آخر ملوك الاتروسكيين واسرته منها، وتم انشاء نوع من الحكم يقوم على وجود قاضيين ينتخبان لمدة سنة . ثم استبدل اسمهما الى قنصلين ، وقد حاول الملك الاتروسكي المطرود تاركوين المتعالي او الجميل ، العودة الى الحكم مستعينا بسكان مدينة تسكولوم وبورسينا امير مدينة كلوزيوم ، حيث قام هذا الامير باحتلال روما واحراقها وتدميراسوارها ، ولم تستطع روما في اواخر القرن السادس ق.م اعادة بناءا سوارها ، واوشكت ان تعود ثانية مجموعة من القرى المتحالفة، وبدا وكأن الوحدة السياسية التي تمت قبل ذلك توشك ان تزول ، حيث عادت النزعات الاقليمية الى الظهور بين الخواص والعوام وكادت الطبقتان ان تصطدما ، ولكن بدلا من الاصطدام توصلت الطبقتان الى اقامة وحدة سياسية ائتلافية مؤقتة ، غايتها المحافظة على كيان روما الحالي .

وقد حلت الفوضى بعد ثورة ٥٠٩ ق.م في سهل اللاتيوم ، فقد ثار اللاتينيون ضد روما وكوّنوا حلفا ضم جميع المدن اللاتينية، ودخلت روما في نزاع مع هذا الحلف استمر طيلة القرن الخامس ق.م ، كما دخلت روما في نزاع مع السابينيين القاطنين في جبال الابنين استمر خمسين سنة ، انتصرت روما في بدايتها (من ٥٠٤ –٤٧٥ ق.م) ومالت الكفة الى جانب السابينيين في اواخرها دون ان يحرز الطرفان نصراً حاسما ، قام الطرفان بعقد سلم طويل الامد .كما تعرضت روما الى غزوات الاقوام الجبليين الذين كانوا يحيطون بها كالايكيين والفولسكيين ، والسبيليين ، والبيسينيين والسامنتيين ، وقد أصيبت اتروريا بضربات شديدة من هذه الاقوام الجبلية ايضاً .

وهكذا فان روما تعرضت الى خطر شديد خلال القرن الخامس ق.م ودفعت الى خوض غمار حروب ضارية خرجت منها وهي تملك الوسائل التي ساعدتها فيما بعدعلى إنشاء امبراطوريتها العظيمة فيما بعد [1] .

١- عبد الحق ، سليم عادل ، مرجع ، ص ٥٠ .

كانت الحروب بين الرومان واعدائهم تتم على شكل غزوات متقطعة خلال الربيع غالباً، حيث يتحرك الرومان او اعدائهم ويقومون بنهب اراضي بعضهم وحرق مزروعاتها . وقد عملت روما لتقوية موقفها، على التحالف مع اعدائها السابقين اللاتينين والهيرنيكيين ومدينة كايره ضد هجمات الاقوام الجبلية . وقد تمكنت نتيجة هذه التحالفات من الانتصار على الايكيين واحتلت اراضيهم سنة ٤١٨ ق.م ، كما هاجمت بلاد الفولسكيين سنة ٤٠٦ ق.م واحتلتها ، ثم احتلت اتروريا نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي سادتها ، كما ارتد السابينيون على اعقابهم وتحولوا من الهجوم الى الدفاع . وهكذا تحولت روما من قوة اقليمية صغرى الى اقوى دولة في وسط ايطاليا وقد اتاح لها احتلال اتروريا مجالا حيويا للعمل ومكنها من الوصول الى البحر ، واتسعت مساحتها من اقل من ١٠٠٠ كم ٢ في نهاية العهد الملكي الى اكثر من ٢٢٠٠ كم ٢ في القرن الرابع ق.م .

التوسع الروماني في القرن الرابع ق.م [١] :

عملت روما على توسيع رقعة دولتها بعد ان تخلصت من أعدائها الذين كانوا يحيطون بها من كل جانب وكادوا يقضون عليهافكان عليها ان تستولي على سهل اللاتيوم وتوطد فيه نفوذها نهائيا ، وكان ينازعها فيه اللاتينيون . وقد تأثر توسعها في القرن الرابع ق.م بثلاث احداث كان لها تأثير كبير في تاريخ ايطاليا بشكل عام وروما بشكل خاص هي : انحطاط اتروريا وتدهورها ، وانهيار النفوذ الروماني وضعفه والغزوات الغالية ، (الكلتية) ، ومما لا شك فيه ان انهيار القوى الاتروسكيه ، وضعف النفوذ اليوناني كان ذو أهمية بالغة في تاريخ روما ، اذ انه ازاح من امامها قوتين كبيرتين عظيمتي الشأن، كانتا تقفان حجر عثرة في وجه التوسع الروماني وتشاركانها الزعامة ، كما ان انهيارهما احدث فراغا ينبغي ملؤه . وقد اثبتت الغارات الغاليه صحة هذا الامر ،الشيء الذي فعلته روما وجعلها تنتقل الى احتلال المركز الاول بين جميع القوى التي كانت في ايطاليا في ذلك الوقت .

ومما لا شك فيه ان الخطر الاكيد الذي هدد روما بالزوال ولكنه اجبرها على مراجعة حساباتها واعادة تنظيم امورها ، ومراجعة خططها الحربية واعادة بناء جيشها على اسس

٢- انظر : ادورد جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ،جـ١ ، ص ٤٨٩ - ٥٦١

جديدة ، واعادة بناء سورها الذي هدمه بوروسينا كان الخطر الغالي. بدأ الغاليون ..هجرتهم وغزوهم لايطاليا في اواخر القرن الخامس ق.م واوائل القرن الرابع حيث عبروا جبال الالب على دفعات انطلاقا من غاليا فاحتلوا سهل البو في شمال ايطاليا، واستولوا على المدن الاتروسكيةالشمالية ، ثم عبروا جبال الابنين وحاصروا مدينة كلوزيوم الاتروسكيةالتي كانت واقعة ضمن دائرة النفوذ الروماني ،فتدخلت روما لصالح حيلفتها ، الامر الذي استفز الغاليين فتركوا كلوزيوم وتوجهوا الى روما ، وكانت بدون سور منذ ان هدمه بورسينا ، وقد حاول الجيش الروماني ايقافهم عند نهر آليا Allia لكنه مني بهزيمة منكرة ، فاخلى سكان روما مدينتهم ولجأوا الى مدينة فييس، فاحتل الغاليون روما ، وحاصروا قلعة الكابيتول ، ونهبوا ، وأحرقوا منازلها الخشبية . وبعد أشهر أصابت المجاعة المدافعين عن الكابيتول فطلبوا الصلح فوافق الغاليون ، وقد دفعت لهم روما مبالغ كبيرة من المال والذهب ، وكان ذلك بين سنتي ٣٩٠ – ٣٨٦ ق.م .

وقد قام الرومان بعد هذه الفاجعة باعادة بناء سور مدينتهم خوفا من تجدد غارات الغاليين عليها والتي تجددت فعلا ، حيث عاد الغاليون الى روما بعد عدة سنوات فحاصروها ولم يستطيعوا فتحها بفعل السور الذي بني حولها ، ثم قاموا بمحاصرتها وعسكروا امامها في سنوات ٣٦٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٠ ق.م ، ثم عادوا الى مهاجمة اللاتيوم سنة ٣٤٧ق.م وقد تمكن الرومان في هذه المرة من هزيمتهم بفضل جيشهم الذي اعادوا تنظيمه ، وبفضل مجموعة من القادة الاكفاء مثل لوسيوس كاميليوس.١ وقد عاد الغاليون للمرة الاخيرة لمهاجمة روما سنة ٣٣٢ ق.م فهزموا ثانية الامر الذي اضطرهم الى عقد اتفاقية معها .

وهكذا وبعد تلاشي الخطر الغالي نهائيا التفتت روما الى استعادة ما كانت قد خسرته في فترة الضعف والتراجع أمام الخطر الغالي ، فاعادت اخضاع أتروريا وتصفية حساباتها مع الفولسكيين والحقت اراضيهم بالممتلكات الرومانية ، وقد قام الرومان في هذه المرة بسلوك سياسة جديدة تقضي باسكان قبائل رومانية في المناطق المخضعة. لتثبيت السيطرة الرومانية فيها . وقد خرجت روما من هذه الحروب التي كادت تقضي عيلها اقوى مما دخلتها. وانتهت بذلك المرحلة الاولى من التوسع الروماني في القرن الرابع ، ولكنها ظلت محصورة في اللاتيوم بين ما تبقى من المدن الاتروسكية في الشمال وبين اللاتين في الجنوب .

اما المرحلة الثانية من التوسع الروماني فتمت بعد ذلك باخضاع اللاتينيين . كان اللاتينيون كما رأينا سابقا حلفاء لروما في صراعها ضد الاقوام الجبلية التي شكلت فيما مضى عدوا مشتركا للطرفين وخطرا داهما عليهما . وقد تجدد هذا التحالف ثانية عند نشوب الحرب بين الرومان والسامنتيين نتيجة للاحداث التي جرت في كامبانيا جنوب ايطاليا ، وقد انتصر الحلف الروماني اللاتيني ضد السامنتيين ، ولكن اللاتينيين اكتشفوا ان الرومان قد اصبحو يشكلون خطرا داهما عليهم حيث احاطوا بهم من الشمال والجنوب باحتلالهم لكامبانيا ، فارادوا التخلص من هذالمأزق . فقاموا سنة ٣٤٠ ق.م بتقديم مجموعة مطالب تتضمن المطالبة بالتساوي في الحقوق السياسية مع الرومان ، وبان يكون لهم الحق بأخذ المنصبين القنصليين ولكن روما رفضت ذلك بشدة ، ولذلك نشبت الحرب بين الطرفين ، واستطاع الرومان هزيمة اللاتينيين وانهاء القضية اللاتينية نهائيا فتم حل حلف المدن اللاتينيه ومنع مواطنو المدن اللاتينيه من الزواج فيما بين هذه المدن او قيام اي تملك مشترك بينهم.

ثم وجه الرومان نظرهم بعد ذلك نحو السامنتيين الذين كانوا يسكنون اودية جبال الابنين ويشكلون دولة تكاد تضارع الدولة الرومانية من حيث المساحة، ولكنها اضعف منها سكانا واقتصاداً ، وقد نشبت الحرب بين الطرفين كنتيجة حتمية لتوسع الدولتين المتجاورتين ، وكان السبب المباشر ، الطلب الذي تقدم به السامنتيون الى روما لاخلاء المستعمرة الرومانية فريجيل التي تحول بينهم وبين البحر ، فرفض الرومان هذا الطلب ونشبت الحرب بين الطرفين واستمرت ٣٧ سنة (٣٢٧ - ٢٩٠) ق.م وقد هزم بنتيجتها السامنتيون وحلفائهم وخرجت منها روما ظافرة وقد امتلكت معظم اجزاء ايطاليا .

وقد كانت الحروب السامنتية أطول الحروب التي خاضتها روما واكثرها عنفا وضراوة ، ولم يستطيع الرومان ربحها الا بفضل :

١- موقع روما المتوسط .

٢- التنظيم السياسي المحكم .

٣- قدرة الجيش الروماني وبراعة قادته العسكريين بالمناورة والتطويق .

٤- دبلوماسية الرومـان التي عملت على تمزيق شمل التحالفات التي نظمها اعداؤها السامنتيون ضدها .

٥- القسوة التي استخدمها الرومان في اخضاع السامنتيين والقضاء على تمرداتهم.
٦- ظهور عدد من القادة العسكريين المتازين مثل أبيوس كلوديوس ودوسيوس موس، وفابيوس روليانوس ، وبابيريوس كورسور .

ثم وجهت روما جهودها نحو المدن الاغريقية في جنوب ايطاليا والتي كانت تعيق مطامع روما في توحيد ايطاليا فحاربتها واحتلتها سنة ٢٧٢ ق.م وهدمت اسوارها واقامت فيهاحامية رومانية ، وبعد هده الفتوحات التي قامت بها روما في ايطاليا اصبحت دولة عظيمة يحسب حسابها ويخشاها اعداؤها وتبادلها الدول الكبرى المعاصرة الود والعلاقات ، فقد ارسل لها بطليموس فيلادلفيا ملك مصر بعثه سياسية ليكتسب صداقتها . كما اخذت تقيم علاقات تجارية مع المدن اليونانية في البر اليوناني .

التوسع الروماني في البحر الابيض المتوسط

جوبهت روما بعد اتمام توسعها في سهل اللاتيوم وجنوب ايطاليا بثلاث مشاكل او قضايا كان عليها حلها لاتمام توسعها في شبه جزيرة ايطاليا ، وفي المناطق البحرية المحاذية لايطاليا في البحرين التيراني ، والادرياتيكي وفي مناطق شمال ايطاليا وراء جبال الابنين .

وقد قادتها محاولات حل هذه المشكلات الى حروب مع القوى المسيطرة على هذه المناطق ، كان من نتيجتها توسع روما في البحر الابيض المتوسط وفي البر اليوناني وفي شمال ايطاليا، ثم فيما وراء الالب بعد ذلك وبشكل خاص في غاليا .

وكانت قضية البحر التيراني من اكثر المشاكل الحاحا بالنسبة للرومان ، والتي تتطلب حلا عاجلا. يقع البحر التيراني بين الساحل الايطالي الغربي ومجموعات جزر ارخبيل توسكانا شمالا وجزيرتي كورسيكا وسردينيا غربا ومجموعة جزر ليباري وصقلية جنوبا . وقد كانت مضائق هذا البحر موضع نزاع بين القوى التي نشأت على اطرافه كالاتروسكيين ، واليونان ، والفينيقيين ، والقرطاجيين ، ثم روما فيما بعد ، حيث اعتبرت ان مصيرها كدولة كبرى في ايطاليا مرتبط بمصيره وبما يجري فيه من أحداث ، فتوجب العمل على التخلص من الوضع القائم فيه ، الامر الذي اضطرها الى الصدام مع قرطاجة التي كانت تسيطر على صقلية وجزر ليباري : ومع الاتروسكيين الذين كانوا يسيطرون على كورسيكا وسردينيا ،

وسنعرض بشكل موجز الصراع الروماني القرطاجي .

قرطاجة مدينة فينيقيه انشأها الملاحون الفينيقيون التجار على ساحل تونس في القرن التاسع ق.م ، حيث تنسب عملية بنائها الى الملكة ايليسا او ديدون زوجة الملك الصوري سيكارباس على اثر مقتله، وتولى اخيه بيجماليون عرش صور . وقد ظلت قرطاجة مدينة صغيرة ضعيفة قليلة السكان، الى ان بدأت صراعا مع المدن اليونانية التي كانت قد بدأت عملية توسعها التجاري في الغرب، ومع القبائل الايتالية ، الذين حاولوا منع الفينيقيين من التجارة مع صقليه وشواطىء ايطاليا الجنوبية في كامبانيا واللاتيوم ، الامر الذي دفع قرطاجة الى التحالف مع الاتروسكيين ضدهم ، وكانت الحروب البونيه الاولى والثانية بين المدن اليونانية وقرطاجة والتي استعرضنا تفاصيلها في بحثنا عن تاريخ اليونان .

وقد اسست قرطاجة في مجال توسعها التجاري كثيرا من المستعمرات على السواحل الافريقيه في تونس والجزائر وعلى المحيط الاطلسي في المغرب وعلى سواحل اسبانيا الشرقية والغربية وفي سردينيا ، وصقليه ، وكونت من اجل حماية هذه المستعمرات والدفاع عنها اساطيل قوية تتميز بسفن متينة البنيان والتجهيز ، وسرعة الحركة ، وبرز من بين ابنائها قادة بحريون متميزون بحسن القيادة والشجاعة والحنكة والدهاء ، كما عملت على بناء جيش قوي ساعدها في بسط سيطرتها على هذا المدى الواسع من المستعمرات التجارية وعلى الامم التي كانت تستوطن في الاقطار التي اقيمت فيها هذه المستعمرات ، وفي مقاومة الامم التي اخذت تنازعها السيطرة على مناطق تجارتها كالاغريق ، والرومان ، وقد تألف الجيش القرطاجي من عناصر فينيقية قرطاجية ومن مرتزقة من الليبيين والابيريين والليغوريين، والجزائريين (النوميديين) والساردينيين والكورسيكيين وغيرهم من الشعوب التي تعامل معها القرطاجيون .

اسباب الحروب (البونية) القرطاجيةالرومانية :

كانت العلاقات بين روما الفتيه القوية الناشئه وقرطاجة الدولة الكبرى القوية في القرنين الرابع وبداية الثالث ق.م علاقات ود وتحالف حيث فرضت الظروف التاريخية على الجانبين التقرب من بعضهماالمقاتلة ومواجهة اعدائهما، ولكن زوال الاخطار التي كانت تهدد الطرفين وبخاصة حروب بيرهوس المكدوني في البر الايطالي والصراع مع ملك (ايبير) حيث

استطاعوا التخلص منه والتفرغ الى مشاريعهم التوسعيه في صقلية . ادى زوال الخطر الذي كان يهدد الطرفين الى تفرغهماا الى مشاريعهما التوسعية ، مما قاد الى اصطدامهما في حروب ضارية ضروس ، كان لا بد ان تنتهي بانتصار احداهما وازالة الأخرى كليا من الوجود . ولم تكن احداهما بمنجى من احتمال مواجهة الموت والفناء ، بل تعرضت كلتاهما الى هذا المصير اكثر من مرة ، فما هي اسباب هذه الحروب التي يطلق عليها اسم الحروب البونية والتي مرت بثلاث مراحل ؟

تعود اسباب الحروب الى :

١- تنافس بين القوتين على للسيطرة على صقلية وسردينيا وكورسيكا .

٢- قضية مسينا او السيطرة على المضيق البحري الذي يفصل صقلية عن البر الايطالي والذي دفع روما الى السيطرة على مدينة ريجيون في جزيرة (البوي) والى احتلال قرطاجة لمدينة مسينا التي كان يتنافس عليها الرومان ومدينة سيراكوزه والقرطاجيون .

٣- ضغط الطبقات الشعبيه الرومانية على مجلس الشيوخ لدفعه الى التدخل في صقلية طمعا في ما يمكن ان يعود به عليهم هذا التدخل من مغانم كثيرة كانت قرطاجة تحرمهم منها .

٤- استنجاد المارمثيين من سكان مدينة مسينا بروما لتخلصهم من سيطرة القرطاجيين على مدينتهم .

الحروب البونية الاولى [(١)] :

بعد ان احتل القرطاجيون مسينا قاموا بعقد معاهدة للصلح مع هيرون ملك سيراكوزة لكي يقووا جانبهم ، ولكي يقطعوا الطريق على التدخل الروماني . ولكن روما كانت تميل الى التدخل لفك طوق العزلة التي فرضها عليها احتلال قرطاجة لمسينا وسيطرتها على مضيق مسينا ، حيث سارع ابيوس كلوديوس الى قيادة جيش توجه به الى مدينة ريجيون، فاستعادها من جنود القائد القرطاجي (أغا توكل) المارمتيين ، ثم حاصر مدينة مسينا ولم يستطع النفاذ اليها بسبب اغلاق الاساطيل القرطاجيه طرفي المضيق في وجهه ،ولكنه

١-انظر : برستد : العصور القديمة ، ص ٤٢٧ - ص ٤٢٩

١-انظر سليم عبد الحق : روما و الشرق الروماني ، من ص ١٢١ - ١٤٨

استطاع استدراج قائد الحامية القرطاجيه الى خارج قلعة مسينا وأسَرَهُ ، فقام جنوده بتسليم قلعة مسينا كفدية له. وهكذا احتل الرومان مدينة مسينا ، وردا على ذلك قام القرطاجيون وحليفهم هيرون ملك سيراكوزة بحصار مسينا ، ولكن ابيوس كلوديوس استطاع الافلات من الحصار واتجه الى سيراكوزة فحاصرها ولكنه لم يستطع فتحها فانسحب من جوارها سنة ٢٦٤ ق.م .

وهكذا بدأت الحرب رسميا بين الطرفين حيث اعلنت روما الحرب على قرطاجة، وارسلت جيشا الى صقلية بقيادة القنصلين ماكسيموس ، وكراسوس اللذان استطاعا اجبار ملك سيراكوزة على الاستسلام وطلب الصلح والتحول الى حليف لروما يزود جيشها بالمؤن والاغذية ومن ثم انضمت بعض المدن الصقلية الناقمة على السيطرة القرطاجيه الى روما ثم استطاع الرومان فتح اجريجانت المدينة الصقلية اليونانيه وحليفة قرطاجة الرئيسة في الجزيرة سنة ٢٦٢ق م، ولم يبق في نهاية السنة الثالثه من الحرب الا بعض الحصون البحرية القريبة .

ولكن القرطاجيين الذين هزموا في البر عملوا على الانتقام والسيطرة في البحر حيث كانت اساطيلهم تهدد السواحل الرومانية في اللاتيوم ، واستطاعت هزيمة اسطول روماني في ليباري ، ولكن الرومان سرعان ما طوروا اساليب قتالهم البحري حيث قلدوا بناء السفن القرطاجية السريعة ، واضافوا الى سفنهم سلالم خشبية يلقونها على السفن القرطاجية، وبذا يتمكن جنودهم من الوصول اليها وقتال القرطاجيين وكأنهم على البر ، وبهذه الوسيلة استطاعوا الانتصار على الاسطول القرطاجي في معركة (ميلة) سنة ٢٦٠ ق.م. وظلت الحرب سجالا بين الطرفين حيث انتصر القرطاجيون سنة ٢٥٩ ق.م وعاد الرومان الى الانتصار من جديد في ٢٥٨ ق.م ، وقد دفعهم هذا الموقف الذي يفتقر الى الحسم الى التفكير بغزو قرطاجة نفسها في البر الافريقي ، فارسلوا أسطولا من ٣٣٠ سفينة بقيادة القنصلين ريغولوس ومانيلوس سنة ٢٥٦ ق.م ، فاصطدم باسطول قرطاجي كبير تعداد سفنه ٣٥٠ سفينة ، واستطاع التغلب عليه ، وقد وصلت الحملة الى الساحل الافريقي وانزلوا جيوشهم في رأس (يونه) واحتلوا بعض المواقع في المناطق المجاورة لمدينة قرطاجة وعاثوا فساداً في مزارعها ، وأسروا كثيرا من الفلاحين وباعوهم عبيدا في سوق الرقيق، ثم اضطر مانليوس للعودة مع جزء من الجيش والغنائم والاسرى الى روما بينما بقي القنصل الاخر

ريغولوس في الاراضي الافريقية مع بقية الجيش ، وقد حاول ريغولوس انهاء الحرب بسرعة فعرض على القرطاجيين صلحا بشروط قاسية ، ولكن القرطاجيين هاجموه بشدة وتمكنوا من اسره وهزيمته وانهاء مشروع ضرب قرطاجه في البر الافريقي .

وقد حاولت روما تجديد نشاطها في البحر المحاذي للشواطيء الصقلية وفي صقليه نفسها ،وتمكنت من احراز بعض الانتصارات ولكن اسطولها دمر على سواحل صقلية بفعل العواصف والاعاصير الشديدة ، حيث عادت قرطاجة بعد ذلك لسيادة البحر ، ومحاولة استعادة سيطرتهاعلى البر الصقلي بعد ذلك ، فاحرزوا بعض الانتصارات ، ولكن الرومان عاودوا الانتصار مما أغراهم بمعاودة غزو الساحل الافريقي ، ولكنهم منوا بانتكاسات جديده جعلتهم ينبذون هذه الفكرة ثانية .

وفي الفترة بين ٢٥٤ -٢٤١ ق.م عاودت الحرب نشاطها بين الطرفين فقد حاول القائد القرطاجي (اسدروبال) استعادة مدينه بالرم، ولكنه فشل فشلا ذريعا وهزمت قواته ، ولجأت قرطاجة للتفاوض وطلب الصلح فرفض الرومان ذلك لشعورهم بقرب الأنتصار النهائي على السيطرة القرطاجية على صقلية وذلك بالقضاء على آخر معقلين لها فيهما وهما(ليليبه) و(دريبان) ، وقد حاصروا المدينة الاولى ،ثم حاولوا مهاجمة المدينة الاخرى ولكنهم منوا بهزيمة شديدة في الحالتين ، مما جعلهم يقلعون عن محاولة استعادة السيطرة على البحر وعن محاولة القضاء على معاقل القرطاجيين في صقلية ، وفي هذه الفترة ظهر القائد القرطاجي اميلكار الذي افزع الرومان بهجماته الجسورة على سواحل اتروريا واللاتيوم وكامبانيا مما دفع الرومان الى الانشغال عن صقلية بانشاء مستعمرات بحرية على السواحل الايطالية ، واطمأن القرطاجيون إلي تفوقهم فسحبوا اساطيلهم إلى افريقيا، ففاجاهم الرومان بأسطول روماني يهاجم دريبان ويستولي عليها، فسارع القرطاجيون لاعادة اسطولهم لنجدتها واستعادتها ، ولكن الرومان بقيادة القنصل (لوتانيوس) نصب له كمينا وحطمه بالقرب من جزيرة ايغات سنة ٢٤١ ق.م ونتج عن هذه الهزيمة ان قرطاجة لم تستطع متابعة الحرب فطلبت الصلح على ان لا تعود الى صقليه ثانيه ، وان لا تحارب روما او حليفتها سيراكوزة او غيرها من حلفاء روما وان تدفع غرامة حربية قيمتها ٢٢٠٠ تالان ذهبي خلال عشرين سنة ، وان تعيد اسرى الحرب الرومان وبهذا انتهت الحروب البونية الاولى ، بعد ان استمرت حوالي ٢٤ عاما .

الحروب البونية الثانية[1] :

سادت حالة من السلم استمرت من سنة ٢٤١ - ٢١٩ ق.م بين المعسكرين المتحاربين ، انصرف خلالها الطرفان الى لم جراحهما واعدة بناء اقتصادهما من جديد ، فقد انصرفت روما الى التوسع في شمال ايطاليا وحل قضية الغاليين نهائيا ، كما انصرفت الى حل قضية الادرياتيك حلا جذريا ونهائيا ، بينما توجهت قرطاجة التي خسرت نتيجة للحرب البونيه الاولى كل املاكها المتوسطية والاوروبية ، الى التوسع في ميدان جديد بعيدا عن مسرح الحروب السابقة ، في اسبانيا ، حيث قادت اسرة باركا هذا التوسع القرطاجي ، وقد ادت عمليات التوسع القرطاجي وما رافقها من اشارات تدل على نيتها الانتقام لهزيمتها السابقة الى نشوب الحروب البونية الثانية.

اما بالنسبة للتوسع الروماني ، فقد انصرفت روما الى الاهتمام بقضية الاقوام الغالية التي بدأت تتحرك من جديد بفعل اكثر من عامل .

الاول : هو تعرضها لضغط بعض العناصر الكلتية الشمالية التي اخذت تغزو شمال ايطاليا .

والثاني : تزايد عدد القبائل الغالية بشكل كبير الامر الذي يضطرها الى الحركة من جديد .

والثالث : استياء الغاليين من روما التي وضعت في معاهدة ٢٤٠ ق.م شرطا ينص على منع قرطاجة من تجنيد مرتزقة من شمال ايطاليا ، الامر الذي من شأنه حرمان شباب الغاليين من مورد مهم من موارد رزقهم .

ابتدأ الصراع بين الطرفين عند قيام روما بمهاجمة احدى القبائل الكلتية وهي قبائل الابوانيون Apuans التي استطاعت التغلب على جيش روماني بقيادة القنصل فاريوس فالتا ، وقد شجع هذا الانتصار الاقوام الغالية الاخرى على الانضمام الى الابوانيين والتحرك جنوبا نحو روما ، على ان الخلافات لم تلبث ان دبت بينهم فتفرقوا وعادوا الى مواطنهم في الشمال، ولكنهم عادوا الى الحركة من جديد عندما اغار الرومان على الاجزاء الجنوبية من ايطاليا الشمالية عند اطراف الجبال الليغورية ، حيث تحالفوا من جديد بزعامة الملكين (كونكو ليتان)،

١- انظر عبد الحق : روما الشرق الروماني ، مرجع سابق ص ١٤٨ - ٢٩٠

٢- برستر : العصور القديمة ٤٢٩ - ٤٣٤

وانيروست ، فاستنجد الرومان بالاقوام الايطالية في ايطاليا الوسطى والشمالية للوقوف بجانبها ضد الغاليين ، وجرت المعركة الرئيسة بين الطرفين قرب مدينة شيوزي حيث هزم الرومان في بدايتها ولكنهم ما لبثوا ان انتصروا بفعل النجدات التي جاءتهم من الجنوب بقيادة القنصل (أميليوس) ومن سردينيا بقيادة القنصل (ريغولوس) ، وقتلوا ما لا يقل عن ٤٠٠٠٠ جندي آسروا نحوا من ١٠٠٠٠ بينهم الملكين الغاليين ، والقنصل الروماني ريغولوس .

وقد استثمر الرومان هذا الانتصار فطوروا هجماتهم شمالا واحتلوا عاصمة الغاليين(ميديولاتوم) ، في لمباردیا سنة ٢١٩ ق.م ، ولتأكيد سيطرتهم على المنطقة اقاموا مستعمرتين رومانيتين في كريمون وبليزانس ونقلوا اليها مستوطنين رومان للاقامة الدائمة فيها .

وبعد ان انتهت روما من حل مشكلة شمال ايطاليا وجهت همها الى الشرق لحل مشكلة بحر الادرياتيك وبلاد اليونان ، واستغلت لتدخلها في هذه المنطقة انتشار ظاهرة القرصنة البحرية التي كان يمارسها الاالليريون ضد المدن الاغريقية ، فطلبت الى ملكة القراصنة (توتا) ايقاف القرصنه في بحر الادرياتيك ، ولكنها رفضت فارسلت روما حملة بحرية استطاعت القضاء على مراكز القرصنه الايليرية ، واضطرت الملكة توتا الى التخلي عن عرشها ، فاقام عليه الرومان أحد رجالهم ، سنة ٢٢٩ ق.م ولم يفكروا آنئذ في التدخل في شئون بلاد اليونان واكتفوا بمراقبة ما يجري فيها ، الى ان قام تحالف بين ملك مقدونيا (انتيغون دوزون) وديميتريوس الذي اقامه الرومان ملكا على ايلليريا ، واتجه الحليفان الى التحالف مع قرطاجة عدوة روما . فسارعت روما الى العمل وجردت حملة قادها القنصلان (اميليوس بولوس) ، وليفيوس سالتنور ، وتمكنا من انهاء حكم ديمتريوس والقضاء على حكمه سنة ٢١٩ ق.م .

وهكذا اكملت روما توسعها في الاراضي الايطالية وفي صقلية وكورسيكا وسردينيا ، وقد وجدت نفسها في نهاية هذه المرحلة مضطرة الى الاصطدام ثانية بقرطاجة التي كانت تتوسع بدورها وتعد نفسها للانتقام من روما .

التوسع القرطاجي :

اتجه التوسع القرطاجي الى الغرب لتعويض الخسائر التي منيت بها قرطاجة في الحروب البونية الاولى ، فعملت على بسط سيطرتها على اسبانيا ، وقاد حملة التوسع هذه القائد (اميلكار) وأنصاره للانتقام من روما ، واستغل استنجاد اهل مستعمرات قادس

الفينيقية بقرطاجة لدفع غارات الايبيريين عليها ، فقام على رأس حملة عسكرية بالتوجه الى قادس ، فبدأ باخضاع القبائل الايبيرية التي كانت تهاجم قادس ثم أخذ يتوسع في المناطق المجاورة لها في بستيتانيا الغنية بمناجم الفضة ثم قتل في احدى المعارك مع الايبيريين فخلفه في قيادة الجيش صهرة (اسدروبال) الذي استمر في سياسة سلفه التوسعيه ، وبنى مدينة قرطاجة الجديدة (قرطاجنه) على الساحل الشرقي لاسبانيا في منطقة غنية بمناجم الفضه .

أدى التوسع القرطاجي الى الاضرار بمصالح مدينة مرسيليا الحليف القديم لروما ، مما دعاها الى الاستنجاد بروما ضد توسع اسرة باركا في اسبانيا (اسرة اميلكار القرطاجية) التي ادت إلى تضاؤل نفوذهم التجاري فيها ، فطلب الرومان ايضاحا من قرطاجة لهذه الاعمال، فكان جواب قرطاجة ان ذلك انما هو نتيجة لحاجتها الى الاموال لدفع ما رتبته عليها اتفاقية الصلح مع روما سنة ٢٤٠ ق.م ، ولكنهم لم يرضوا بهذا الجواب واجبروا اسد روبال على معاهدة جديدة معهم سنة ٢٢٦ ق.م، تنص على عدم اجتياز جيوش القرطاجيين لنهر الايبر نحو الشمال . وبعد موت اسدروبال خلفه هانيبال ابن اميلكار واستمر في سياسة والده وزوج اخته التوسعية .

اسباب الحروب البونية الثانية [١] :

يكمن السبب الرئيسي في قيام الحروب البونية الثانيةالى سياسة هانيبال التوسعية التي سلكها في اسبانيا وتجاوز فيها حد نهر الايبر ، وهاجم مدينة ساغونت حليفة روما واستباحها، الامر الذي اغضب روما فارسلت وفداً الى قرطاجة يطلب معاقبة هانيبال ، فرفض مجلس الشيوخ القرطاجي هذا الطلب ، وردوا على الوفد الروماني بغلظة ، فاعلنت روما الحرب على قرطاجة .

وهكذا بدأت الحرب البونية الثانية ، وكان القائد القرطاجي هانيبال في اثناء المفاوضات يستعد لقيادة حملة برية على روما ، وقد اختار البر لادراكه باستحالة الغزو البحري بسبب سيطرة الاساطيل الرومانية على البحر وفي سبيل التمهيد لهذه الحملة اعد جيشين اضافيين

١- انظر عبد الحق : روما الشرق الروماني ،ص ٢٩١ - ٣٠٣

انظر برشد : المصور القديمة ، ص ٤٣٥ - ٤٣٨

لحماية اسبانيا ، والبر الافريقي نفسه ، واتصل بالغاليين الناقمين على روما وتحالف معهم . وقامت روما من جهتها باعداد اسطولين ضخمين لغزو افريقيا بقيادة القنصل لونغوس الثاني ومهاجمة اسبانيا بقيادة سيبيون .

سار هانيبال الى روما عبر جنوب فرنسا ، وعندما وصل الى جبال الالب تجنب الممرات المعروفة التي كان الرومان يراقبونها ، ومر في ممرات وعرة صعبة الاجتياز لا يتوقع احد سلوكها ، ووصل سهل البو مع ما تبقي من جيشه البالغ ٢٠٠٠٠ من مجموع جنوده الاصليين الذين كان تعدادهم ٤٠٠٠٠ الفا ، فتركهم يستريحون ويتهيأون لملاقاة الرومان .

فوجئت روما بهجوم هانيبال البري فسارعت الى تغيير خططها فطلبت من سيبيون ترك مرسيليا واسبانيا والتوجه الى لمبارديا لملاقاة هانيبال ولكنه هزم هزيمة منكرة على نهر « تيسياي Tessin » ثم استدعت القنصل الثاني ساميرونيوس وكان يتهيأ للابحار الى قرطاجة، وارسلته لمساعدة سيبيون في الشمال ، ولكن هانيبال هزمهما ثانية على نهر تريبيا واسر منهم ٣٠٠٠٠ روماني ، ونتيجة لهذه الهزائم تحالف اللومبارديون مع هانيبال وتراجع الرومان الى ما وراء جبال الابنين .

اجتاز هانيبال جبال الابنين ، فارسلت اليه روما جيشين بقيادة القنصلين الجديدين فلامينوس ، وسرفيليوس ، ورغم التعب الذي اصاب جيشه وموت الفيله التي كانت معه بسبب البرد والشتاء القارس استطاع ان يهزم فلامينوس في معركة ترازيمين على بعد ٤٠ كيلو مترا من روما وامام هذه الهزيمة، انتخب الشيوخ الرومان فابيوس مكسينوس دكتاتوراً لمقابلة هانيبال ، فاعد هذا جيشه وآثر انتظار هجوم هانيبال ، والذي بدلا من مهاجمة روما مباشرة آثر التوجه نحو الجنوب لتأمين الاتصال مع قرطاجة لتأمين الامدادات والتموين .

وفي سنة ٢١٧ ق.م اعدت روما جيشا كبيرا لمهاجمة هانيبال والتقى الطرفان على نهر الاوفيد واستطاع هانيبال ايقاع هزيمة كبرى بالرومان وقتل ثلاثة من قادتهم المشهورين وثمانين شيخا من شيوخهم في ٢ آب ٢١٦ ق.م ، ولم يستثمر هانيبال انتصاره الحاسم ، وحاله الانهيار التام التي وقعت فيها روما وثورة كل الشعوب المحكومة عليها (كالسامنتيون، والبروثيون واللوكانيون) وبقية مدن كامبانيا ، الامر الذي اعطى للرومان الفرصة الكافية للاستعداد للدفاع عن روما ، وبدلا من مهاجمتها اخذ هانيبال يعمل في توسيع قاعدة سيطرته

على جنوب ايطاليا ،وعلى القضاء على معاقل الرومان فيها ويستعدي اهلها على الرومان فانضم قسم كبير منهم اليه ، كما ارسل يطلب امدادات جديدة من قرطاجة ، فارسلت اليه قوة صغيرة من ٤٠٠٠ جندي و ٤٠ فيلا ، وعقد تحالفا مع فيليب ملك مكدونيا ، يقضى بأن يكون البحر الادرياتيكي الحد الفاصل بين قرطاجة ومقدونيا ، وظل القتال سجالا بين الطرفين طيلة الاعوام ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ق.م ولكن روما اخذت تحقق بعض الانتصارات في جنوب ايطاليا وقد حاصر هانيبال روما ، وقام برفع الحصار عنها دون أن يتمكن من فتحها .

وقد امتد القتال الى خارج ايطاليا فقد حققت قرطاجة بعض التقدم في صقلية، ولكن روما سرعان ما استعادت سيطرتها على جميع المدن الاغريقية فيها ، وكانت أعنف هذه الحروب تلك التي كانت بين روما وسيراكوزه والتي يقال بان العالم ارخميدس كان يعيش فيها ، وان الاختراعات التي ابتكرها استخدمت في هذه الحرب ، حيث تعرض جنود الرومان عندما اقتربوا من الاسوار الى سهام لم يعرفوا من اين كانت تأتي ، ولما اقتربت مراكبهم من مرفا المدينة صارت تخرج فجأة من الابراج أيد ميكانيكيه هائلة الحجم تمسك بها وتلقيها على الصخور فتتحطم ، كما يقال بان سيراكوزه استخدمت المرايا المحرقة ضد اعدائها . وعندما استطاع الرومان فتحها نتيجة خيانة حدثت فيها قتلوا اعدادا هائلة من سكانها من بينهم العالم ارخميدس الذي كان منكبا على رسم هندسي يدرسه .

وعندما اخضعت روما صقلية قامت بتجريدها من السلاح ، وفرضت على اهلها الاقتصار على الزراعة وانتاج الحبوب لاطعام جيوش الرومان . .

اما في سردينيا فقد قام السكان الاصليون بالثورة على الرومان بعد انتصار هانيبال في معركة ترازيمين ، وقام القرطاجيون بدعم ثورتهم ولكن الرومان استطاعوا سحق الثورة ، ولكن الثورة تجددت بعد ذلك في ٢١٠ ق.م ، ثم في ٢٠٧ ق.م دون تحقيق اي استقلال يذكر .

اما في اسبانيا فقد استطاع الرومان تحقيق بعض الانتصارات ولكن القرطاجيين استعادوا سيطرتهم، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا اذ سرعان ما استطاع الرومان امتلاك زمام المبادرة وهاجموا قرطاجنه عاصمة القرطاجيين في اسبانيا وفتحوها وغنموا منها مغانم كبيرة.

اما في مكدونيا ، فقد استغل فيليب الخامس انشغال روما بحروب هانيبال فعمل على توسيع رقعة مملكته في كل بلاد اليونان فتحالف مع قرطاجة ، وحاول في سنتي ٢١٧ ، ٢١٦

بناء اسطول كبير لمهاجمة البر الايطالي، ولكنه فشل في تحقيق اي نجاح ، وعاد دون ان يحقق ايا من اهدافه ، فاخذ يتوسع في البر على حساب الامراء المجاورين ، فعملت روما على ارسال اسطول صغير مهمته مراقبة سواحل الادرياتيك ومنع اي محاولة من جانب فيليب لإنزال قواته على البر الايطالي من جهة، والى استخدام دبلوماسية بارعة تقوم علي دعم وتوحيد القوى المعارضة لفيليب ، وقد حققت بعض النجاح في سياستها هذه ، الا ان فيليب استطاع ان يحافظ على مملكته وان يصونها من كل الغزوات الخارجية عليها، ولم تستطع روما ان تلعب دورا فعالاً في بلاد اليونان ، رغم محاولتها ذلك في سنة ٢٠٦ ق.م حينما ارسلت قوة لمساعدة حلفائها الايتوليين الذين يتعرضون لهجوم مركز من فيليب الخامس ، ولكن هذه القوة هزمت واضطرت روما الى عقد اتفاقية فوانيكة والتي تعترف لروما بالحق في بعض المقاطعات ولفيليب بأخرى ، وبوجه الاجمال يمكن اعتبار هذه الاتفاقية نصرا لفيليب وانتقاصاً من مكانة روما وهيبتها .ومن هنا يمكن اعتبار صلح فوانيكه فترة سلم ارادتها روما للتفرغ لحرب قرطاجة والاستعداد لجولة أخرى في الحرب المكدونيه الثانية ، فيما بعد .

التراجع القرطاجي :

اخذ زخم الاندفاع القرطاجي بقيادة هانيبال بالتراجع منذ سنة ٢١١ ق.م ، حيث تمكن الرومان من استرجاع مدينة كابوا Capua وعاملوا اهلها معاملة وحشية قاسية ، كانت بمثابة النذير لجميع الشعوب والمدن التي انحازت الى صفه ، فاخذ الجنود المرتزقة ينفضون من حوله، الامر الذي اضطره لسحب حامياته وجنوده من معظم المدن التي احتلها ، والى الانتقام من المدن التي اخذت تتخلى عنه باحراقها والتنكيل بأهلها ، الامر الذي اشاع روح الحقد ضده بين سكان ايطاليا ، ودفعهم الى محاولة التخلص منه والثورة ضده ، وتشير النصوص التاريخية الى انه هدم ما يقارب ال ٤٠٠ مدينة وقرية لهذا السبب، ورغم انه حقق بعض الانتصارات في سنوات ٢٠٩ –٢٠٨ ق.م الا أن رقعة الارض التي يسيطر عليها اخذت تضيق عليه تدريجيا.

وفي هذه الفترة تحرك اخوه اسدروبال بجيش ضخم من اسبانيا الى ايطاليا لنجدة اخيه عدده ٦٠٠٠٠ محارب ، فقابله جيش روماني ضخم بقيادة كلوديوس نيرون واوقع به هزيمة شديدة على ضفاف نهر ميتور ، وقتله ومعه حوالي (٥٦) الفاً من جنوده ، وارسل رأسه الى

معسكر اخيه هانيبال ، ويقال بأن هانيبال قال عندما رأى رأس أخيه « أنني ارى **فيه مصير قرطاجة** » [1] ففتّ ذلك في عضده ، وأقام في جنوب ايطاليا بضع سنوات قبل ان يرحل عائدا الى **افريقيا** .

وبعودة هانيبال الى افريقيا انتقل الصراع الى البر الافريقي ، وكان القائد الروماني سيبيون قد انتقل بجيشه الى افريقيا بعد انتصاراته في اسبانيا نتيجة مغادرة اسدروبال لها . ونزل بالقرب من اوتيكا ، وحاصرها وهزم جيشا قرطاجيا قويا مسنودا بجنود ملك الجزائريين الغربيين سيفاكس ، فخاف زعماء قرطاجة على مدينتهم وارسلوا يستدعون هانيبال للعوده الى قرطاجة للدفاع عنها ضد سيبيون ، وكسبا للوقت فاوضوا سيبون على الصلح ، فوافق على ان يقيم معهم صلحاً وفق الشروط التالية :

١- ان تسحب قرطاجة من ايطاليا كل الجنود القرطاجيين الموجودين فيها .

٢- وان تعترف بسلطان روما على اسبانيا وصقلية وسردينيا .

٣- ان تعيد الى روما جميع الاسرى الرومان والفارين من الخدمة العسكرية .

٤- ان تسلم الى روما مقادير كبيرة من الحبوب .

٥- ان تختصر عدد وحدات اسطولها وان تحدده بعشرين سفينة فقط .

٦- ان تعترف بحليف الرومان مزينيسا ملك الجزائريين الشرقين ملكا شرعيا على بلاده .

٧- ان تدفع غرامه نقدية مقدارها (٥٠٠٠) تالان ذهبي .

وافقت قرطاجة على شروط سيبيون وارسلت وفدا الى روما لتوقيع الاتفاقية ولكن روما ردت الوفد الى سيبيون وفوضته بابرام الاتفاقية .

وفي هذه الاثناء عاد هانيبال الى قرطاجة ، وجمع جيشا كبيرا قابل به سيبيون وعرض عليه الاتفاق وفق الشروط السابقة ما عدا الغرامة الحربية التي طلبها سيبيون ، ولكن القائد الروماني رفض ذلك فدارت معركة « زاما » بين الجانبين ، ورجحت كفت هانيبال في بدايتها وكادت الهزيمة تلحق بالرومان لولا وصول نجدة كبيرة بقيادة الملك الجزائري مزينيسيا لنجدتهم، فدارت الدائرة على جيش هانيبال وهزم في هذه المعركة التي قررت مصير الحرب البونية

١- عبد الحق ، سليم عادل ، (١٩٥٩) روما الشرق الروماني ، مرجع سابق ، ص ١٨٠

الثانية وجاءت انتقاما لهزيمة روما القاسية في معركة « كاي » في ترازيمين في بداية هذه الحرب ، وقد حاول هانيبال جمع جيش جديد لمقابلة سيبيون ، الذي قاد حملة توجه بها لمحاصرة قرطاجة .

سارعت قرطاجة امام هذا التهديد المباشر الى طلب عقد الصلح ثانية مع سيبيون الذي وافق على اتفاقية صلح بين الطرفين ينهي الحروب البونية الثانية سنة ٢٠١ ق.م وينص على ما يلي :

١- ضمان روما لاستقلال قرطاجة .

٢- احتفاظ قرطاجة بقوانينها وأراضيها الافريقية التي كانت لها قبل الحروب البونية الاولى .

٣- تمتنع قرطاجة عن كل عمل سياسي لا توافق عليه روما .

٤- عدم اقدام قرطاجة على شن اية حرب لا ترضى عنها روما ، وعدم تعبئة اي جنود من اوروبا .

٥- الاعتراف بميزنيسا ملكا على بلاد أجداده وبعض الاراضي التي انتزعها من مملكة سيفاكس .

٦- تخلي قرطاجة عن كل فيلتها والتعهد بعدم تربيتها ثانية .

٧- تجريد قرطاجة من اسطولها والسماح لها بالاحتفاظ بعشرة سفن فقط .

٨- اعادة ما غنمته قرطاجة في حروبها من غنائم رومانية .

٩- اعادة جميع الاسرى والهاربين الرومان .

١٠- على قرطاجة الانفاق على الجيش الروماني وحلفائه الى ان يعود المفاوضون من روما وتوقيع الصلح .

١١- دفع غرامة حربية قيمتها (١٠٠٠٠) تالان ذهبي لمدة خمسين سنة .

١٢- تقوم قرطاجة بتسليم (١٠٠) من افراد الاسر الكبيرة كرهائن عند روما لضمان تنفيذ الشروط .

وكان هانيبال من المؤيدين لهذا الصلح لاحساسه بالضعف والوهن الذي اصاب قومه لدرجة ان احد الشيوخ القرطاجيين حاول ان يقف معارضا لهذا الصلح فما كان من هانيبال

الا أن انتزعه من منصة الخطابة ونصح مواطنيه بقبولها على شدتها .

وانتهت حياة هانيبال نهاية محزنة لبطل عظيم ومحارب لا يشق له غبار فقد اصبح قاضيا في مدينته فعمل على إصلاح احوالها، واضعاف سلطة مجلس الشيوخ وتنظيم موازنتها، ولكن اعداءه دسوا له عند الرومان، ففر من قرطاجة فعمد اعداؤه الى بيته فهدموه واعتبروه خائنا.

الحروب البونية الثالثة :

فر هانيبال الى مدينة صور في سورية وحاول تحريض انطيوخوس السلوقي على محاربة روما ولكن دون جدوى ، ففر منها إلى جزيرة كريت ومنها الى ملك بيتينيا في آسية الصغرى حيث استمر في تشجيعه على التسلح ومناهضة سياسة روما وحلفائها، وساعده في الانتصار على عدوه ملك برغام. ثم ذهب الى داخل ارمينيا ومن هناك اخذ يراسل اعداء روما لتحريضهم ضدها وعندما شعر بان ملك بيتينيا ينوي تسليمه الى روما نتيجة تعرضه لضغط روماني، تجرع السم وقال « بانني انقذ روما من مخاوفها مني بموتي »[1].

استطاعت قرطاجة بعد هزيمتها العسكرية أن تبني نفسها من جديد وان تستعيد نشاطها البحري ، ونشاطها الاقتصادي ، وقد ادهشت سرعة النهوض واستعادة العافية الرومان الذين حسدوها وخافوا أن تستعيد قوتها وتشكل خطرا عليهم من جديد، ولذلك راقبوها مراقبة دقيقة، واغروا حليفهم مزينيسا بالنيل منها والاستيلاء على اراضيها وممتلكاتها بحجة أن ذلك من أراضي أبيه ، وكان هذا يطمع في انشاء دولة قوية ، وان يجعل من قرطاجة تابعة له ، وكانت قرطاجة مقيدة بشروط معاهده ٢٠١ ق.م التي تفرض عليها عدم شن اية حرب لا ترضى عنها روما . وكانت روما منحازة إلى حليفها ففي كل مرة يعتدي فيها على قرطاجة ، كانت هذه تشكوه الى روما فيكون قرار روما الى جانبه ، وعندما انتهت روما من حروبها في مقدونيا اخذت توازن في سياستها بين مزينيسا وقرطاجة .

وكانت قرطاجة ونتيجة لسياسة روما غير المتوازنة قد اخذت تسلح نفسها سرا لتستطيع مواجهة خصومها الطامعين فيها ، ولكن وصول الاحزاب الشعبية الى السلطة وحماسة زعماء

١-عبد الحق: روما والشرق الروماني، ص ٢٩١-٣٠٢

هذه الاحزاب الشعبية، دفعها الى التسلح علنا مخالفة بذلك اتفاقية ٢٠١ ق.م وفي اثناء الثورات الاسبانية ضد روما ، عملت هذه على مهادنة مزينيسا ، فعاد الى مهاجمة اراضي قرطاجة ، فاشتكت هذه إلى روما التي ارسلت بعثة من مجلس الشيوخ برئاسة كاتون ، وكان من اعداء قرطاجة الذين يسعون الى تدميرها ولذا جاء حكمه لصالح مزينيسا، فاعترض القرطاجيون على حكمه. وعـــندما عاد الى روما يقال انه كان يحمل في ذيل ثوبه تيناً افريقيا ، القاه امام مجلس الشيوخ فاعجبوا به، فصاح بهم أن الارض التي تنبت مثل هذا الثمر لا تبعد عن روما اكثر من ثلاثة ايام، وكان يدعو دائما الى هدم قرطاجة. واستطاع اقناع مجلس الشيوخ الروماني بهذا الرأي، فقرروا هدم قرطاجة وازالتها من الوجود واخذوا يتحينون الفرص لفعل ذلك . وأتيحت لهم هذه الفرصة عندما قامت قرطاجة بالدفاع عن نفسها امام هجمات الملك الجزائري مزينيسا ، فارسلت روما وفدا برئاسة (سيبيون اميليان) الذي حضر المعركة وعندما انتصر مزينيسا ، واراد أن يقطف ثمار انتصاره ، قررت روما التحرك ، فجهزت حملة كبيرة لاحتلال قرطاجة وتدميرها، وقد حاولت قرطاجة عبثا ثني روما عن عزمها بالتنازل لها عن اراضيها واعدام من ترى روما أنه يعاديها، ولكن روما كانت قد قررت تدميرها ، فلم يبق امام قرطاجة سوى الدفاع عن نفسها مهما كان الثمن واخذت تستعد لذلك. وقد حاصرها الرومان مدة ثلاث سنوات من (١٤٩ - ١٤٦ ق.م) الى أن استطاع الرومان دخولها بعد أن دافع عنها اهلها دفاع الابطال، وحاربوا داخلها رجالا ونساء من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت. وقد امر القنصل سيبيون اميليان باحراقها فتهاوت بيوتها على رؤوس ساكنيها واستمرت عملية الاحراق والقتل والتدمير مدة ستة ايام بلياليها . وفي اليوم السابع استسلم حوالي ٥٠ الف مواطن قرطاجي حوصروا في تلة بيرسا احد تلال قرطاجة ، اما القائد الشعبي أسدروبال الذي كان يدافع عنها فقد تحصن في معـبد اشمون هو واهـله وقسـم من جنـده الى أن وصـل اليهم الجنود الرومان فقتل أسدروبال ثم قامت زوجته بقتل اولادها ثم القت بنفسها في النار حتي لا تستسلم للرومان ، ويشير مؤرخو الرومان الى أن أسدروبال قد استسلم للقائد سيبيون الذي عرضه أمام المقاتلين القرطاجيين وبينهم امراته وابناءه ، فلعنته زوجته قبل أن تموت واشعلت النار في المعبد وصاحت بسيبيون :

"إياك أن تنسى مجازاة هذا الجبان الخائن لوطنه وآلهته وزوجته واولاده" [1] ثم قتلت ولديها والقتهما والقت نفسها في النار .

وبذلك اسدل الستار على تاريخ مدينة عظيمة نمت وترعرعت على الشاطىء الافريقي وقضي عليها بوحشية لم ير التاريخ لها مثيلاً وتعتبر وصمة عار في جبين روما، تثير اشمئزاز كل من قرأ عن أحداثها .

التوسع الروماني في الشرق [2]:

قام الرومان بعد انتصارهم على القرطاجيين وتدمير مدينتهم التوسع في الشرق حيث كان البطالسة يحكمون في مصر والسلوقيون في سوريا والمقدونيون يسيطرون على بلاد اليونان ، وقد رأينا سابقا كيف أن روما اهتمت بتثبيت الاوضاع في البحر الادرياتيكي بشكل يؤمن لها مصالحها ويحمي سواحلها الشرقية .

وقد اضطرت روما الى التدخل ثانية في منطقة البلقان وبلاد اليونان نتيجة لتجدد الصراع بين مقدونيا ومملكة البطالسة في مصر، واتفاق فيليب الخامس ملك مقدونيا مع انطيوخوس ملك سوريا السلوقي على اقتسام مملكة البطالسة في مصر ، ثم اخذ فيليب يتوسع في بلاد اليونان وجزر ارخبيل بحر ايجة ، وقد بنى لاجل ذلك اسطولا قويا جعل الخوف يتسرب الى نفوس الرومان، الذين كانوا قد اصبحوا سادة البحر الابيض المتوسط بعد تلاشي دولة قرطاجة و قد انتهزت روما فرصة طلب جزيرة رودس وملك برغام المساعدة منها، فاعلنت الحرب على فيليب الخامس واستطاعت هزيمته في عدة مواقع آخرها في منطقة رؤوس الكلاب (سينو سيفاليس) و اضطرته الى توقيع صلح مع روما تعهد بموجبه باعادة الحرية الى جميع البلدان اليونانية الاوروبية والاسيوية التي احتلتها قواته ، وان يدمر اسطوله ما عدا خمس سفن وان ينقص عدد افراد جيشه ليصبح ٥٠٠٠ خمسة الاف رجل فقط والايخوض حربا دون موافقة روما ، وان يدفع غرامة حربية قيمتها قيمة نفقات الحرب التي

١-عبد الحق ،سليم عادل ، مرجع سابق ، ص ٢١٥ .

٢- برستد العصور القديمة ، ص ٤٤٠ .

خاضها الرومان ضده .

ثم قام الرومان بمحاربة ثابيس زعيم اسبرطة الذي رأى الرومان فيه خطرا عليهم حيث اظهر نيات توسعية في شبه جزيرة البيلوبونيز ، واستطاعوا اخضاعه وفرضوا عليه شروطا تحد من سلطته وقدرته على التوسع ، وبعد اتمام ذلك قاموا باخلاء كل مواقعهم في بلاد اليونان وجلوا عنها بعد أن اعادوا الحرية لأهلها .

الحرب بين الرومان والسلوقيين :

كان السلوقيون احفاد احد قادة الاسكندر المقدوني يحكمون سوريا ويتنافسون مع البطالسة الذين كانوا يحكمون مصر وفي القرن الثاني ق.م كان ملك السلوقيين انطيوخوس الرابع يبدي ميولا توسعية ، حيث اخذ يعمل لضم ممتلكات البطالسة في سوريا الى مملكته، كما اخذ يهاجم المدن اليونانية في آسيا الصغرى والبر اليوناني بعد القضاء على نفوذ مقدونيا ، فاستنجدت هذه المدن بروما التي دخلت معه في مفاوضات مع الملك السلوقي أنطيوخوس كانت طويلة لم تؤد الى نتيجة حاسمة ، وفي هذه الفترة وصل هانبال الى صور فاستقبله انطيوخوس واحتفى به حفاوة بالغة ، وقد رأينا أن هانيبال اشار عليه بان يحرض قرطاجة على الثورة والتمرد وان يمده بجيش وأسطول يسيربه (اي هانيبال) بنفسه الى ايطاليا وانه يتكفل له باثارة شعوبها ضد روما ، ولكن احد مستشاري انطيوخوس اشار عليه بعدم الاخذ برأي هانيبال ، وان يسير بنفسه الى بلاد اليونان . وفي سنة ١٩٢ ق.م نزل بجيش صغير عدده ١٠٠٠٠ شخص في البر اليوناني، واعلن انه جاء حاميا لجميع المدن الاغريقية ، ولكن الاخائيين حلفاء روما ، لم يصغوا له واعلنوا عليه الحرب ، وتبعتهم روما فاعلنت عليه الحرب، كما انقلب عليه فيليب الخامس ملك مقدونيا ، وطلب من روما السماح له بمحاربة انطيوخوس. وفي سنة ١٩١ ق. م فقد انطيوخوس اهتمامه بالحرب وانصرف إلى اللهو والاستمتاع باللذائذ وتبعه جنوده ، في الوقت الذي كان فيه الرومان منصرفين الى تجميع جيوشهم وقواهم ، وأحرزوا انتصارات اضطرت أنطيوخوس الى الانسحاب الى ايفيز ، ورغم انحياز رودس الى صف الرومان فقد احرز السوريون بعض الانتصارات ، إلا أن كفة الرومان وحلفائهم كانت الارجح حيث هزموا الاساطيل السورية في (سيده) وفي (ميونيزوز) . وفي

سنة ١٩٠ ق.م حاول انطيوخوس الانسحاب وعقد الصلح مع الرومان وفق شروط عرضها الرومان سابقا تقضي باطلاق يد انطيوخوس في البر الاسيوي مقابل تنازل انطيوخوس عن اي ادعاءات اوروبية ، ولكن الرومان رفضوا ذلك فوقعت بين الطرفين معركة (مانيزيا) حيث هزم انطيوخوس هزيمة منكرة انسحب بعدها جنوبا الى سوريا ، ونتيجة لذلك سقطت مدن آسيا الصغرى كلها بيد الرومان، وعقدت بين روما وجميع الشعوب التي دانت لهم في آسيا الصغرى وانطيوخوس معاهدة (افامية) وبموجبها :

١- فقد انطيوخوس كل ممتلكاته في آسيا الصغرى
٢- التعهد بعدم محاربة روما او حلفائها .
٣- عدم تجنيد اي جندي مرتزق من البلدان التي اضاعها .
٤- تسليم اسطوله الى الرومان لتدميره .
٥- عدم مهاجمة احد من جيرانه إلا اذا هوجم .
٦- التعويض عن خسائر رودس ، ومملكة اومين الحربية .
٧- دفع غرامة حربية لروما قيمتها (١٥) الف تالان .
٨- تسليم رهائن من اسرته المالكة لروما .
٩- تسليم هانيبال لروما .

وهكذا فان روما بنهاية هذه الحروب اصبحت سيدة البحر الابيض المتوسط بجناحيه الغربي والشرقي وقاعدته الجنوبية في افريقيا ولم يبق خارجا عن سيطرتها سوى مصر وسوريا في الشرق ، وغاليا والجزر البريطانية في شمال اوروبا وغربها .

التوسع الروماني في الغرب :

كنا قد رأينا أن روما قد قامت في اواخر القرن الخامس واوائل القرن الرابع ق.م بفتح ايطاليا الشمالية واخضعت الغاليين لحكمها ، ولكن الحروب البونية الثانية ومجيء هانيبال اضاعها من ايديهم ثانية ، ولم تستطيع استعادتها الا بعد أن حشدت جنودا وجيوشاً كبيرة العدد وبعد حروب استمرت مدة طويلة استطاعت الانتصار على الغاليين والليغوريين والاستيريين، وعمدت لاخضاعهم إلى تدمير قراهم ومدنهم ، وترحيلهم عنها وبيعهم في أسواق

الرقيق .

لم تكن روما تريد اشغال نفسها بقضية ايطاليا الشمالية بعد انتهائها من حروب قرطاجة مباشرة ، وبسبب ذلك انشغالها بقضية مقدونيا وخوضها الحروب المقدونية الثانية ، ولكن المبادرة جاءت هذه المرة من الغاليين انفسهم حيث اتحدت مجموعة من الاقوام الغالية(البوائيون، والانسوبريون ، والسينومانيون) ، وبدأت حربا استقلاليه عن روما بتأثير محارب قرطاجي يسمى اميلكار ، وهزموا جيشا رومانياً أرسل لتأديبهم ، وفي سنة ١٩٧ ق.م ارسلت روما الى ايطاليا الشمالية جيشا كبيرا لتأديب العصاة فاخضعتهم تباعا بين سنتي ١٩٧ ق.م – ١٩١ ق.م وهاجر بعضهم الى حوض الدانوب ، وبعد ذلك عملت روما على استثمار المنطقة وصبغها بالصبغة الرومانية ، واسست فيها مستعمرة رومانية في بولونيا سنة ١٨٩ ق.م ونظمت مجاري الانهار وقطعت اشجار الغابات وجففت المستنقعات وشقت مجموعة من الطرق لتصل المنطقة ببقية انحاء ايطاليا .

وبعد أن اتمت روما سيطرتها على الغاليين ، عملت على اخضاع الليغوريين ، واحتاجت مدة طويلة لتتمكن من التغلب عليهم واخضاعهم ، كما استخدمت اساليب القسوة والشدة ، لتحقيق هدفها وانشأت عددا من المستعمرات الرومانية اسكنت فيها عناصر رومانية لمراقبة تحركات الليغوريين وصبغهم بالصبغة الرومانية .

وفي سنة ١٨١ ق.م ثارت جزيرتا سردينيا وكورسيكا ضد الرومان ، فقامت روما بارسال حملة بحرية الى الجزيرتين ، أخضعتهما وفرضت عليهما غرامة حربية كبيره ، ثم عملت روما على السيطرة على منافذ الالب وممراته الاستراتيجية، فانشأت نقاط مراقبة في منطقة الالب الوسطى (مستعمرة ايبوريديا) .

الحروب الرومانية في اسبانيا :

عملت روما في بداية الحروب البونية على احتلال اسبانيا والقضاء على النفوذ القرطاجي فيها حيث ارسلت اليها سيبيون الافريقي الذي احتلها ، وبعد انتهاء الحروب البونية ، احتفظ بها الرومان لاهميتها السياسية والعسكرية والاقتصادية ، واقاموا فيها ولايتين رومانيتين : ولاية داخليه هي ولاية الاندلس ، وولاية ساحلية هي ولاية حوض نهر الايبر ، وبقيت بقية البلاد دون

سيطرة مباشرة من الرومان ، الأمر الذي سهل على الاسبان القيام بالثورات والتمرد على الرومان، فقام سكان ولاية الاندلس بتمردات عنيفة ضد الرومان قتل فيها الوالي الروماني سنة ١٩٦ ق.م ، ثم انتشرت الثورة في ولاية الايبر ، فارسلت إليهم روما جيشا قويا بقيادة القنصل كاتون . الذي استطاع اخضاع الثائرين ومد سيطرة الرومان على الهضبة الاسبانية الداخلية ، ولكن اعمال العنف استمرت بعد ذلك فترة طويلة بعد ذلك، بسبب نزول سكان الجبال الاسبانية الى السهول ومنع الرومان لهم ، واستخدم الرومان اساليب بالغة الشدة في القضاء على تمرد الاقوام المتمردة الامر الذي ادى الى فترة من السلم دامت ٢٥ سنة سلكت فيها روما سياسة حسنة تجاه الاسبان.

ولكن الاقوام الاسبانية (اللوزيتانية والايبرية عادت الى الثورة من جديد سنة ١٥٤ ق.م بسبب سوء سياسة الولاة الرومان وقد احتاجت روما لبذل جهود كبيرة لقمع ثورتهم سنة ١٥١. ق.م وفي سنة ١٤٦ ق.م عاد الاسبانيون من جديد الى الثورة بتاثير اساليب القمع الوحشيه التي اتبعها القادة الرومان والتي كانت تستخدم الغدر والخديعة ، وابادة السكان ، وقد قاد هذه الثورة الجديدة الكاهن فيرياتVairiaitte ، واستمرت ثورته مدة ثماني سنوات حيث استطاع احد القادة الرومان قتله غيلة ولم يتمكن من جاء بعده من الاستمرار بالثورة. واستطاع القائد الروماني (كاليكوس) اخضاع البلاد الايبرية حتى شاطيء الاطلسي ولم يبق مستعصيا عليه سوى مدينة نومانس التي استولى عليها سيبيون اميليان سنة ١٣٤ ق.م، وظل الوضع في داخل البلاد قلقا الى سنة ١١٢ ق.م حيث هدأت فيها الاوضاع واصبحت التمردات او الثورات قليلة متباعدة تشكل حادثا فرديا ليس الا .

ثم قامت روما بعد ذلك باخضاع غاليا الجنوبية بعد مهاجمة اقوام الليفوريين الغاليين الاوكسيبيين حليفتها مارسيليا ، وتمسكت بها بعد اتمام سيطرتها على اسبانيا لأهميتها للمواصلات بين ايطاليا واسبانيا .

وفي سنة ١١٨ ق.م حدثت ازمة سياسية في شمال افريقيا بين ابناء ابن حليف روما القديم مسينيا ادهربال وهيمسبال من جهة وابن عمهما جوغورثا jugortha، ادت الى تجدد القتال في جبهة افريقيا بعد أن كانت روما تظن انها قد انتهت والى الابد من قضية افريقيا بتدمير قرطاجة .

وقد قسم مسينيا قبل موته مملكته بين ابنيه وابن عمهما سنة ١١٨ ق.م ، ولكن المنافسات قامت بين الثلاثة، فعمل جوغورثا على القضاء على ابن عمه هيمسبال ، وهزم جيوش ادهربال والتجأ هذا الى روما التي ارسلت بعثة لتقسيم المملكة بين المتنافسين ولكن جوغورثا لم يكتف بنصيبه بل اخذ يفتعل الاحداث لمهاجمة مملكة ابن عمه وحاصره في مدينة سيرثا certha واستولى عليها ، وكان يقيم فيها بعض التجار الايطاليين ، فقام جوغورثا بالقضاء عليهم بحجة مناصرتهم لأدهربال سنة ١١٢ق.م وعندما وصل الخبر الى روما ثارت ثائرة اعضاء مجلس الشيوخ وزعماء الشعبيين الذين انتهزوها فرصة للطعن في مجلس الشيوخ واعضائه الارستوقراطيين . وامام هذا الضغط الشعبي اذعن مجلس الشيوح واعلن الحرب على جوغورثا وارسل جيشا بقيادة بستيا Bestia سنة ١١١ ق.م ولكن جوغورثا استطاع رشوته واقناعه بالعدول عن الحرب وبناء على اقتراح احد القضاة الشعبيين استدعي جوغورثا الى روما للادلاء بشهادته في تصرفات القناصل والمسؤلين الرومان الذين أرسلوا الى افريقيا وارتشائهم ، ولكنه استطاع رشوه احد المحامين الرومان الذي استخدم حق النقض (الفيتو) فانقذه من الشهادة ، ولكن القنصل الينوس دفع احد الامراء الجزائريين (النوميديين) المقيم في روما للمطالبة بعرش الجزائر ولكن جوغورثا ارسل اليه من قتله ، وعندما افتضح أمر الجريمة أمِرَ جوغورثا بمغادرة روما ، وفي طريقه خارجا القى نظرة ازدراء على روما وقال عبارته التي اصبحت مثلا « مدينة للبيع توشك أن تزول بسرعة أن وجدت من يشتريها »[1] فقام القنصل البينوس بقيادة جيش تبعه الى افريقيا وعادت الحرب الى النشوب من جديد بين الطرفين واستطاع جوغورثا الحاق الهزيمة بالجيش الروماني واسر قائدة القوء البينوس سنة ١٠٩ ق.م ولكن مجلس الشيوخ رفض الاعتراف بالهزيمة والموافقة على الصلح الذي قبل به القائد البينوس. وارسل جيشا جديدا بقيادة ميتيليوس ، الذي اصطحب معه قائدين متمرسين هما اريوس وروتيليوس ، فاستطاع احتلال مدينة (فاكاVacca) واتخذها مقراً لجيشه وقاعدة له، وقداستطاع هزيمة جوغورثا في عدة مواقع ، فتحول هذا الى اسلوب حرب العصابات بين جبال الجزائر واوديتها ، وتحالف مع والد زوجته بوكوس ملك مراكش ، وقد وصل الى منصب

١- علي ، عبد اللطيف احمد ، (بلا) التاريخ الروماني عصر الثورة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٤٨

القنصل في هذه الفترة القائد ماريوس الذي ادخل بعض الاصلاحات على الجيش، ففتح باب التجنيد للطبقات الشعبيه واتم الاستعدادات لحرب جوغورثا وأبحر بجيشه سنة ١٠٧ ق.م وكان بين ساعدية القائد سلا Sulla ، واستطاع ماريوس أن يوقع بخصميه جوغورثا وبوكوس في موقعتين هامتين ، ولكنه ادرك أن نهاية الحرب لن تصبح ممكنة الا اذا استطاع الايقاع بين الحليفين واسر جوغورثا ، فارسل سلا الى بوكوس لمفاوضته واقناعه بتسليم جوغورثا فوازن هذا بين التخلص من جوغورثا، ومعاداة الرومان الى الابد، فوجد ان مصلحته تقضي بتسليم جوغورثا الى الرومان. فارسله ماريوس الى روما ليعرض في موكب الظفر ثم سجن في حمام وترك يموت دون طعام بعد ستة ايام كاملة ويشير المؤرخون الى انه ظل متماسكا ساخرا من الرومان حيث صاح بالحرس (ما اشد برودة افرانكم) اشارة الى المكان الذي وضع فيه وقامت روما بتقسيم افريقيا مرة ثانية باعطاء الجزء الشرقي لأخ غير شقيق لجوغورثا ، والجزء الغربي لبوكوس مكافأة له على خيانته .

وقد احدثت هذه الحرب آثاراً ونتائج بعيدة المدى على روما نفسها ، اذ فقد مجلس الشيوخ هيبته بعد أن انكشف عجزه الواضح وارتشاء اعضــاءه وانعدام روح المسؤولية بينهم ، كما اثبتت أن بالامكان تكوين جبهة متحدة بين العامة والفرسان .

وبعد أن انتهت روما من حروب افريقيا جابهت خطراً اشد من السابق حيث تدفقت سنة ١١٣ ق.م مجموعة من القبائل الجرمانية الاصل على شمال ايطاليا من ممرات الالب الشرقية ، وقد حاول القنصل كاربو الذي كان يرابط على رأس جيش روماني في مستعمرة نوريكوم التصدي لها ولكنه هزم في نوريا ، إلا أنّ هذه القبائل بدلا من اختراق شمال ايطاليا يممت وجهها نحو سويسرا ثم غربا الى غالة الناربونية حيث هزمت جيشا رومانيا آخر يقوده القنصل سيلانوس وتحالفت مع التيجورني وهي قبائل مشابهة لهم وقد استطاع هؤلاء هزيمة جيش روماني آخر بقيادة لونجينوس سنة ١٠٧ ق.م ثم اوقعت هذه الجماعات الكامبرية والتيجورنية بجيش روماني ثالث يقوده القنصل ماالليوس ، والبرو كاييبو .

امام هذه الهزائم اعادت روما تنظيم صفوفها والاستعداد لقتال الكامبريين والتيوتون الذين زحفوا على اسبانيا ، ففرضت التجنيد الاجباري على كل روماني قادر على حمل السلاح ثم اسندت مهمة القنصلية الى ماريوس ومعه جيش افريقيا فقام بعدة اصلاحات

وببعض الاعمال الاستراتيجية [١] التي مكنته من تحقيق انتصار كبير على التيوتون بعد انفصال الكامبريين عنهم وتوجههم الى سويسرا فايطاليا في معركة الارك في خريف ١٠٣ ق.م ، واسر ملكهم واحتفظ به لعرضه في موكب الظفر ثم سار الى شمال ايطاليا لمقابلة الكامبريين ومعه نائبه سيلا وهناك وجد في انتظاره جيشا رومانيا آخر يقوده القنصل كاتولوس. واستطاع الانتصار على الكامبريين سنة ١٠١ ق.م في فركلاي Vercellae ونتيجة الانتصارات التي حققها ماريوس نجت ايطاليا من الخطر الجديد ، وقد دفعت انتصارات ماريوس المتتالية روما الى انتخاب ماريوس قنصلا للمرة الخامسة مخالفين بذلك القواعد المنظمة للقنصليه ، وقد سمي ماريوس بعد انتصاره المبين على الكامبريين رومولوس الثالث ، وباني روما الجديد [٢] . وفي اثناء انشغال الرومان بصد الخطر الشمالي ، واجهت ايضا عدة غزوات وثورات خطيرة ففي سنة ١٠٤ ق.م حدثت في صقلية ثورة عرفت باسم ثورة العبيد الثانية بقيادة سالفيوس في جنوب الجزيرة وأثينيون في غربها واستمرت الثورة مسيطرة على الجزيرة حتى سنة ١٠١ /١٠٠ ق.م .

كما واجهت روما خطرا آخر تمثل بخطر القراصنة الذين استعادوا نشاطهم بعد انهيار قوة رودس البحرية وانشغال روما عن البحر بالمشكلات القارية ، وكان مركز القرصنة يوجد في كليكيا وكانوا يهتمون بتجارة الرقيق اولا من الشواطىء الشرقية ثم مالبث خطرهم أن استفحل واتسع واصبح يشكل خطرا على الدولة ، فكلفت روما القنصل انطونيوس سنة ١٠٠ ق.م بالقضاء عليه .

وقد واجهت روما ايضا خطرا آخر تمثل في الثورات التي حدثت في اسبانيا واستمرت بشكل متقطع منذ ١٠٠ ق.م – ٩٥ ق.م ولكن خطرها لم يكن بدرجة الخطر الكامبري والافريقي.

وفيما بين ٩١ –٧١ ق.م قامت مجموعات أُخرى من الثورات اشهرها جميعا ثورة ميتيريدات ملك البونت في آسيا الصغرى واستمرت ثورته مدة ثلاثين سنة ، والذي عمل على توسيع مملكته على حساب حلفاء روما ملوك كابادوسيا ، وارمينيا وبيتينيا ، واستطاع بما

١- قام بحفر قناة بين مدينة آرل ونهر الرون ليؤمن الاتصال مع مارسيليا وايطاليا عبر نهر الرون .

٢- رومولوس الثاني هو كاميليوس اثر انتصاره على الغاليين سنة ٣٤٧ ق.م .

تجمع لديه من جيش قوي بلغ ٣٠٠ الف مقاتل، واسطول مؤلف من ٤٠٠ مركب أن يحارب الرومان وان ينتصر عليهم في عدة مواقع ، وهزم مجموعة من القناصل الرومان من امثال اكيليوس واوبيوس وحطم اسطولهم المرابط في الاوكسان وتقرب الى الاهالي فاطلق سراح الاسرى وألغى الضرائب عن المدن لمدة خمسة سنوات وحرضها على قتل الرومان الموجودين في مدنهم ثم استولى على بحر ايجة ونفذ بجيوشه الى بلاد اليونان وهناك قابله سلا واستطاع هزيمته في معركة خيرونه ، ولكن هذه الهزيمة لم تكن كافية للقضاء على متيريدات ، الذي استعاد رباطة جأشه وجمع جيوشا جديدة. فعاد سلا لهزيمته مرة أخرى ولكنه ونتيجة للخلافات بين الارستوقراطيين والشعبيين في روما وآسيا الصغرى ، اتفق سلا مع ميتريدات على أن يعود الطرفان الى الوضع الذي كانا فيه قبل سنة ٨٩ ق.م ، ويدفع ميتيريدات الفي تالان لسلا ، ويجهز له ثمانين مركبا بحريا ويصدر سلا العفو عن المدن الاسيوية العاصية ، اما الولاية الرومانية في آسيا الصغرى فقد عاقبها سلا عقابا شديداً وكأنها بلاد اجنبيه مفتوحة ، كما لقيت المدن الحليفة للرومان والتي ايدت ميتيريدات مصيرا مماثلا ، كما كافأ المدن التي حافظت على ولائها للرومان كرودس . واجبر سلا المدن التي انحازت الى عدوه، والولاية الرومانية المنشقة في آسيا الصغرى على دفع غرامة حربية بلغ مقدارها ٢٠٠٠٠ تالان .

وكان سلا في أثناء الحرب قد عزل من مناصبه وانتخب سيناوماريوس قنصلان بدلا منه ولكنه استمر في الحرب غير عابيء بالتغيير ، ولذا نراه يسارع الى انهاء الحرب مع ميتيريدات للعودة الى روما وتصفية حساباته مع خصومه اعضاء الحزب الشعبي سنة ٨٥ ق.م ، الذين انتهزوا فرصة غيابه في اليونان وانهوا حكمه ورفضوا التصديق على المعاهدة التي عقدها مع ميتيريدات .

قام ميتيريدات بعد عودة سلا باعادة بناد مملكته من جديد وتقويتها وتدعيمها بجيش قوي واساطيل بحرية وبتوسع في المناطق المجاورة له الامر الذي احرج روما ، كما زاد خطر القراصنة انطلاقا من كليكيا ، وظهر خطر ملك ارمينيا تجرانيس الاول ، الذي اخذ يتوسع في اراضي الممالك المجاورة له في شرق آسيا الصغرى ووسطها ، وبرز احتمال قيام تحالف بين الملكين مما يجعل من العسير على روما مواجهته ، ولكن ذلك لم يحدث الا متأخرا ، وفي هذه الاثناء مات ملك بتونيا واوصى بمملكته للشعب الروماني سنة ٧٤ ق.م وَقَبِلَ مجلس الشيوخ

الروماني التركة وحول المملكة الى مقاطعة رومانية ، ولكن ميتيريدات لم يرض عن هذا الاجراء لأن معنى ذلك سيطرة الرومان على مدخل البحر الاسود ، الامر الذي يمنع عنه دخول البحر الاسود والاتجار معه بحرية ، ولذا حَرض ابن ملك بتونيا المتوفى على المطالبة بعرش ابيه ، ثم قام بغزو بتونيا وهزم القنصل الروماني كتا وحاصره في خلقدونيه ، ثم غزا ولاية آسيا الصغرى الرومانية وحاصر ميناء كوزيكوس على بحر مرمرة ، ولكن الرومان بقيادة لوكوس استطاعوا هزيمته وأجلوه عن بتونيا سنة ٧٣ ق.م ثم قاموا بغزو بلاده نفسها سنة ٧٢ ق.م واوقعوا به الهزيمة في معركة كابيرا ، فهرب ميتيريدات والتجأ الى ارمينيا ، فتبعه لوكلوس وهاجم ارمينيا وحاصر عاصمتها ولكن جنوده ابوا الاستمرار في القتال ، فاضطر الى الرجوع الى بتونيا فوجد أن القيادة قدأسندت لغيره، وأخذ مجلس الشيوخ يضايقه، كل هذ الاحداث اضعفت مركز الرومان فعاد ميتيريدات واستعاد مملكته ، كما استعاد صهره تيجرانيس مملكته ايضا في ارمينيا ، وقد ظهر في هذه الحروب القائد بومبي الذي سيعمل على توسيع رقعة السيطرة الرومانية في الشرق .

فتوحات بومبي في الشرق:

ظهور بومبي :يعود ظهور بومبي لاول مرة الى الحرب ضد ميتيريدات ، حيث اصطحبه القنصل سلا في جيشه الذي حارب به في آسيا الصغرى واليونان ، وبزغ نجمه عندما كلف بالقضاء على الثورات التي ثارت في اسبانيا ضد روما ، وفي القضاء على ثورة ليبيديوس في شمال ايطاليا ، كما ساهم في انهاء ثورة العبيد وسبارتاكوس ، ولأجل كل ذلك انتخب قنصلا سنة ٦٨ ق.م ، فأعاد للمحامين سلطاتهم التي كان سلا قد انتزعها منهم فاصبحوا بذلك اكبر المؤيدين له والمؤازرين لسياسته سنة ٧٠ ق.م .

وفي سنة ٦٧ ق.م قام مجلس الشيوخ الروماني بتأثير العامة بانتخاب بومبي قنصلا ومنحه سلطات استثنائية « يمنح بومبي السلطات الاستثنائية ويُعطى له الحق في انتخاب خمسة وعشرين مفوضا بدلا من (١٥) مفوضا ، واعداد خمسمائة مركب ، وتجهيز (١٢٠) الف محارب و (٥٠) الف فارس ، ومصادرة جميع الاموال التي يحتاج اليها ، والتصرف بخزائن المال في روما والولايات » .

بدأ بومبي عمله ضد القراصنة فنظف البحر المتوسط الغربي منهم ثم قضى عليهم وعلى اوكارهم في كليكيا ، وليسيا والجزر الايجية ، واستطاع بذلك أن يرسي قواعد السلم والأمن في البحار المحيطة بروما ، وفي سنة ٦٦ ق.م ، منح بومبي سلطات استثنائية على البر لمدة غير محدودة ، وعهد اليه بحكم الولايتين الرومانيتين الآسيويتين ، واطلاق يده بحرية تامة في عقد التحالف مع من يرى لزاما محالفتهم ، او محاربة من يرى وجوبا لحربهم ، واقامة السلم على مسؤليته الشخصية ، دون اي شرط موضوع او مراقبة بموجب قانون عرف باسم قانون مانيليا .

كان بومبي في جنوب آسيا الصغرى ، حين وصلته انباء تعيينه قائداً عاماللقوات الرومانية البرية والبحرية في آسيا الصغرى ، فبدأ عمله بالتخلص من القائد الروماني المتواجد فيها آنئذ القائد لوكلوس الذي مر ذكره معنا آنفا ، ثم وجه همه الى القضاء على ميتيريدات الذي كانت قوته قد ضعفت كثيرا. فهزمه في عدة معارك عند داستيرا Dastera ففر الى الشرق، فتبعه بومبي الى مملكة ارمينيا واخضع ملكها تيجرانس ، وفراتيس ملك بارتيا ووصلت جيوشه الى مناطق القوقاز بين البحرين الاسود وقزوين واستولى نائبه جابينيوس على سوريا ، ودخل دمشق بينما قام هو في العام ٦٥ ق.م بتنظيم امور آسيا الصغرى ، فجعل من بنطوس (بونت) وبتينيا ولاية رومانية واحدة [1] .

ثم اتجه جنوبا نحو سوريا التي كانت في حالة من الفوضى ، وساد النزاع بين السلطات الحاكمة فيها ، بين هيركانوس ، وارسطو بولوس الاميريين المكابيين اليهود حيث انتصر الحارث الثالث ملك الانباط الى هيركانوس ، فتدخل القائدان الرومانيين جابينيوس ، واسكاوروس الى جانب أرسطو بولوس ونصراه على أخيه ، وقد أمضى بومبي عامي ٦٤ ، ٦٣ ق.م في توطيد الامن وتنظيم الاوضاع في سوريا، ثم توجه لمحاربة البتراء عاصمة الانباط ومد نفوذ الرومان الى البحر الاحمر ، ولكن ارسطو بولوس اليهودي اثار له المشاكل ، فتحول الى القدس واستولى عليها عام ٦٣ ق.م ، عاد بعدها الى آسيا الصغرى لاعادة تنظيمها بعد موت ميتيريدات ، فاعاد تنظيم الولايات الرومانية القديمة وتوسيعها ، وانشأ ولايتين جديدتين هما

١- علي ، عبد اللطيف احمد ، (بلا) التاريخ الروماني ، عصر الثورة ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

ولاية سوريا وادمجها بالامبراطورية الرومانية لاعتبارات عسكرية خاصة ، بالدفاع عن الحدود وحماية سكانها من الغارات الخارجية ، وولاية كريت والتي شملت جزيرتي كريت وقبرص، وترك الحدود الشرقية للامبراطورية تحت حكم ملوك وامراء تابعين لروما في سياساتهم الخارجية ، ونظم بومبي الشؤون الادارية في الولايات الجديدة، فشجع حياة المدن في المنطقة ، فأحيا او انشاء (٣٩) مدينة في اسيا الصغرى وسوريا ، و (١١) مدينة في بيتينيا وبوتت ، واتبع في المدن التي اسسها والتي اعاد تنظيمها المبدأ الروماني ، الذي ينص على توافر نصاب عقاري، او دخل معين فيمن يريدون تقلد المناصب السياسية ، ومنحها قسطا وافيا من الحكم الذاتي واحترم استقلال المدن القديمة مثل انطاكيه ، وسلوقيه ، وفرض عليها الضرائب بمقدار عشر محاصيلها الزراعية .

وقد ادت تنظيماته وترتيباته الى توسيع رقعة الدولة الرومانية ، والى ازدياد وارداتها بمقادير كبيرة لم تبلغها في اي وقت سابق وإلى بدء التحول من الجمهورية الى الامبراطورية ، كما أن اقامته للمدن قد ادت الى انتشار الحضارة الهيللينية ، والى تدعيم هيبة روما في الشرق الى درجة جعلت اعداءها يفكرون طويلا قبل أن يقوموا بأي تمرد ضدها ، وبعد أن اتم عمله في الشرق عاد الى روما ، وسرح جيشه ، وقام بايداع الغنائم التي بقيت بعد توزيع انصبة الجنود والضباط في الخزانة العامة لروما ، وتقدم الى مجلس الشيوخ بطلب التصديق على ما قام به من اعمال ، واعطاء اقطاعات لحوالي ٤٠٠٠٠ جندي من جنوده المسرحين الذين قاتلوا معه ، وحققوا الانتصارات لروما .

التوسع الروماني في الغرب :

يعود الفضل في التوسع الروماني في الغرب الى يوليوس قيصر الذي استطاع أن يمد سلطات الرومان على جميع بلاد الغال ، غالة القريبة وغالة البعيدة وغالة كوماتا وعلى الجزر البريطانية من بعد ، وسنستعرض فيما يلي بايجاز تفاصيل هذا التوسع .

كانت تقطن في غالة كوماتا (اي غالة طويلة الشعر) او غالة الوسطى ثلاث مجموعات قبليه هي :

أ) الاكويتاني Aquitani وتقطن المنطقة الممتدة بين جبال البرانس ونهر اللوار جنوب

غرب فرنسا .

ب) الكلت Celtae وتقطن الاراضي الواقعة بين اللوار والسين والمارن في وسط فرنسا .

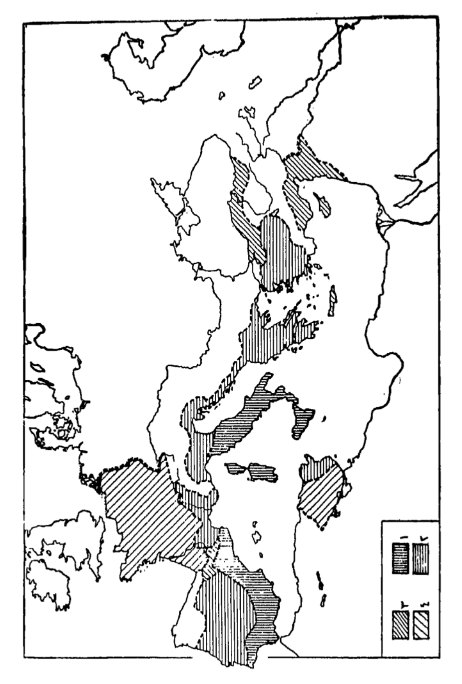
ج) البلجيك Belgae وتقطن المناطق الشمالية في الاراضي الواقعة بين نهري السين ، والمارن ، ونهر الراين .

وكانوا يعيشون في حالة من الصراع والتجزئة السياسية . ففي عام ١٢١ ق.م كانت تتنازع السيادة في غالة كوماتا (اي غالة الوسطى) قبيلتان هما : الايدوى ، والارنزني وتعيش بجوارهما قبائل السيكواني، وقد انتصر الرومان لقبيلة الايدوي التي ظلت تتحكم بالمنطقه حتى عام ٦١ ق.م ، عندما استعانت قبائل السيكواني بالجرمان وملكهم المتحالف مع الرومان اريوفستوس الذي انجدهم وانزل الهزيمة باعدائهم الأيدوي، ولكنه لم ينسحب عائدا الى بلاده واستقر في الالزاس مجاورا لقبائل الهلفيتين السويسريين ، الذين كانوا يخشون الجرمان وشدة وطأتهم عليهم فآثروا الهجرة الى غالة الغربية البعيدة عن الجرمان ، وكانت طريق هجرتهم تمر عبر أراضي السيكواني ، من هنا كان عليهم الاستئذان بالمرور من قيصر ولكنه لم يسمح لهم بالمرور خوفا من قيامهم بالاضطرابات في المنطقة الجديدة ، ولكنهم عبروا أراضي السيكواني ، ووصلوا الى أراضي الأيدوي الموالين للرومان. فاستنجدوا بقيصر لحمايتهم فاستجاب لهم وانتصر على الهلفيتي ، ثم اوقع الهزيمة بالجرمان وزعيمهم اريوفستوس الذي تزايد خطره ، في معركة جرت بين الطرفين في شمال الالزاس ، ثم قام سنة ٥٧ ق.م باخضاع قبائل البلجيك . وفي شتاء عام ٥٦ / ٥٥ ق.م تعرضت بلاد الغال إلى غزو قبائل جرمانية فقابلها قيصروقضى على افرادها بوحشية وتبعها الى عمق المانيا وفي عام ٥٥ ق.م قرر القيام بحملة استكشافيه على الجزر البريطانية اتبعها عام ٥٥/ ٥٤ ق.م بحملة جديدة استطاع أن يحقق فيها الانتصار على ملك المنطقة الواقعة شمال نهر التيمز كاسيفللاونوس الذي اختارته القبائل البريطانية لقيادة مقاومتها لغزو قيصر. وفرض عليهم قيصر بعض الشروط المتضمنه دفع جزية وتسليم بعض الرهائن للرومان ثم عاد الى بلاد الغال نتيجة قيام بعض الاضطرابات فيها. وقد استطاع قيصر القضاء على هذه الثورات في الاعوام ٥٢/٥١ ق.م. وهكذا توسع الرومان في الغرب في منطقة تعتبر ذات اهمية كبيرة بالنسبة لروما واوروبا كان

احتلال قيصر لبلاد الغال وحملاته على بريطانيا آخر اعماله في الغرب ، اذ انه اضطر للعودة الى ايطاليا بسبب الأخبار التي وصلته عن الحركات المناوئه له التي يقوم بها مجلس الشيوخ وزميله في الحكم القائد بومبي ، الذي انسحب من ايطاليا الى اليونان مع انصاره من اعضاء مجلس الشيوخ فتبعة قيصر، واستطاع الحاق الهزيمة بة وبانصارة في معركة فرسالوس، التي قتل فيها عدد كبير من القادة العسكريين واعضاء مجلس الشيوخ. وعندما رآهم قيصر قال « لقد ارادوا ذلك ، ولولم استعن بالجيش عليهم ، لقضوا عليّ أنا نفسي بالموت برغم ما قمت به من اعمال جليلة » .

انسحب بومبي بعد هزيمته الى مصر متوقعا أن يجد فيها المأوى بعيدا عن قيصر ولكنه قتل عند نزوله من المركب الذي أقلّه الى الشاطىء وكان قيصر يتعقبه بجنوده ووصل بعد موته بأيام قلائل وعندما علم بمصرعه حزن عليه حزناً شديداً وتألم لمصيره ، ثم دخل قيصر مدينة الاسكندرية في احتفالات مهيبة اثارت بعض سكانها فحدثت بعض الاضطرابات ولكنه تغلب عليها ، إلا أنها عادت للثورة والتمرد من جديد وبعنف هذه المرة مسنودة بقوات الملك بطليموس الثالث عشر التي كان يقودها أخيلاس وكادت الدائرة تدور على قيصر، بسبب قلة قواته. ولكن وصول الامدادات لقيصر من آسيا الصغرى ورودس والانباط واليهود مكنه من الانتصار على الاسكندريين وعلى بطليموس. وبعدها قام بتنصيب كليوباترة السابعة واخيها بطليموس الخامس عشر ملكين على مصر بعد تزويجهما من بعضهما ورفض بذلك تحويل مصر الى ولاية رومانية خوفا من أن يستغل واليها الروماني غناها ويستقل بها ويتمرد عليه ولكنه وضع فيها حامية رومانية تتكون من ثلاث فرق. وبعد ذلك غادرها بحرا مع بعض جنوده في أيار، ٤٧ ق.م الى سواحل فلسطين فنزل في عكا (بتوليمايس آكي)، وكافأ حلفاءه اليهود على ولائهم له، فالغى التنظيمات الرومانية التي كانت تحد من حريتهم وسمح لهم ببناء سور لمدينتهم واعاد لهم مدينة يافا واعفاهم من دفع الجزية مؤقتا ، ثم انتقل الى انطاكية حيث اتم تنظيم سوريا وهناك بلغته انباء الثورة التي قام بها فرناكيس الثاني ابن ميتيريدات الاكبر فزحف اليه وهزمه هزيمة نكراء في معركة زيلا zela ، وأعاد بعدها تنظيم شؤون آسيا الصغرى وعهد بالحكم الى مساعديه من القادة الرومان العسكرين وعاد الى روما ، فوجد أن انصاره قد اعادوا إنتخابه دكتاتوراً اي قنصلا أوحدا عام ٤٧ ق.م، ووجد فيها بعض الفوضى نتيجة

للازمة الاقتصادية الناجمة عن الحرب ، فاعاد الأمن الى نصابه . عمل قيصر واعوانه ومن قبلهم بومبي واعوانه على تقليص صلاحيات مجلس الشيوخ وتحول الحكم من جمهوري اوليفاركي الى حكم دكتاتوري، كان بدوره خطوة لا بد منها للتحول الى الحكم الامبراطوري الذي بدأه اوكتافيوس (الذي سمى نفسه الامبراطور اغسطس) .



الشكل ٦ — الفتوح الرومانية في عهد الجمهورية

١ — مقاطعات خضعت لروما في اواخر القرن الثالث اثر الحروب البونيقية الثانية؛ ٢- فتوح القرن الثاني ؛ ٣- فتوح القرن الاول قبيل قنصلية قيصر (٥٩)؛ ٤ - فتوح قام بها قيصر وعرف اوغسطس ان يحافظ عليها.

الفصل السابع
عصر الامبراطورية[1]

ادى حكم قيصر الانفرادي الذي نشأ بعد القضاء على شريكيه بومبي وكراسوس، والذي استند الى الاعمال الباهرة التي قام بها قيصر سنة ٥٩ق.م الى ما زود به الخزانة العامة في روما من اموال ومبالغ كبيرة . وقد عمل قيصر على بسط سلطانه ونفوذه على الجميع في روما افرادا ومؤسسات ، واوضح للجميع بأنه على استعداد لاستخدام مختلف انواع الوسائل للوصول إلى غايته، وأخذ يحول مؤسسات الجمهورية إلى مؤوسسات خاضعة لسيطرته الدكتاتورية بحيث تكون ادوات طيعة في يديه ، وكان في اعماله يهدف للقضاء على سلطات مجلس الشيوخ وسيطرة الارستوقراطيين وتقوية نفوذ الطبقات الشعبية التي يستند إليها في حكمه. ولذلك لم تسلم منه الا اللجان القبليه، وكان يبذل لأفرادها العطايا ، ويظهر لهم الاحترام ، فبادلته احسانا باحسان، حيث صوتت له بعد عودته من الشرق على قانون يمنحه سلطة المحاماة بصورة دائمة، وان يشارك المحامين اعمالهم وصلاحياتهم ،واستثمر قيصر هذا الحق ليفرض سيطرته على اللجان المئوية والقادة والرؤساء ومجلس الشيوخ ممهدا الطريق امام الأنظمة الدكتاتورية التي جاءت بعده في تحجيم السلطة الشعبية ، فقد اصبحت انتخابات اللجان المئوية خاضعة لمشيئة قيصر فلا يوجد من يرشح نفسه لمنصب من المناصب العليا إلا إذا كان من أنصار قيصر وكان قيصر نفسه يعطل عملية انتخاب القناصل حتى يبقى هو نفسه منفردا بمنصب القنصل ، منذ ٤٧ .ق.م حيث اننتخب دكتاتورا وقنصلا لعدة سنوات ، وقد أحس معظم الرومان بهذه الميول لذا نجد احد المحامين يقترح بعد معركة موندا ان يعطى قيصر حق ملء شواغر المناصب العليا، وفي اول سنة ٤٤ق.م اصدر مجلس الشيوخ مرسوما يمنح قيصر الحق بانتخاب القنصلين ونصف شاغلي المناصب الكبرى الأخرى ، وقد استخدم قيصر هذا الحق واصبح بذلك يسيطر على معظم السلطات التشريعية

١- انظر جيبون :اضمحلال الامبراطورية، ص ٦٥-٧٤

عبد الحق : روما والرق الروماني ، ص ٥٥٣-٦١١

والتنفيذية في روما ، واصبح يتصرف بها بحرية فقلل من شأن المنصب القنصلي ، وزاد عدد القضاه من ٨-١٦، والخازنين من ٢٠-٤٠ خازنا وزاد عدد اعضاء مجلس الشيوخ من ٦٠٠-٩٠٠، وقام بانتخاب الشيوخ وتقليص صلاحياته، فحرمه من حق النظر في الامور المالية، وحرمه من حق منح الولايات للقناصل والقضاة السابقين ، واستأثر بذلك، منذ حملته الافريقية، وأخذ لنفسه حق تعيين القادة العسكريين .[1]

وبعد أن استخدم قيصر الجمعيات والاحزاب الشعبية كعوامل مساعدة في تحقيق أهدافه عمد الى القضاء عليها وعلى سلطاتها حتى لا تكون وسيلة غيره في الوصول ايضا ، ولم يبق الا على الجمعيات المهنية والدينية .

وقد ادت اعماله هذه الى القضاء على النظام الجمهوري وارساء قواعد واسس النظام الدكتاتوري، ومهد بذلك الطريق لظهور الامبراطورية التي أنشأها اوكتافيوس. وكان لقب الامبرطور الذي حمله قيصر لقب شرفي يعني القائد الاعلى المنتصر ، وكان الجنود يحيون به قائدهم بعد انتصاره في المعركة. وكان امتيازًا يكسب صاحبه الحق في ان تحتفى به الدولة رسميا باقامة موكب نصر يدخل به العاصمة بعد عودتة الى ايطاليا ، ولكن حمل اللقب كان موقوتا بمدة تمتع القائد بسلطة الامبريوم، ولم يكن يجوز له حمل هذا اللقب داخل حدود المدينة المقدسة، وكل صاحب الامبريوم(اي صاحب السلطة العسكرية) كان يعتبر «امبراطورا» من الوجهة القانونية. وقد حمل قيصر هذا اللقب في كل مرة كان ينتصر فيها على اعدائه، كما حمله قبله كراسوس، وشيشرون، وبومبي، ولكن قيصر يختلف عنهم في انه حمله مرات عديدة اكثر من اي واحد منهم. ويشير بعض المؤرخين الى ان قيصر قد وافق على الحق الذي منحه له مجلس الشيوخ باستخدام لقب امبرطور كجزء ثابت في اول اسمه [3] ، ثم سار اغسطوس على نهجه. بينما يناقض مؤرخون آخرون هذا الزعم ، ولكن من الثابت انه كان يحب ان يحمل هذا اللقب وان يُنادى به كما كان يحرص على حمل لقب الكاهن الاعظم كرمز

١- عبدالحق ، سليم عادل ، (١٩٥٩)روما الشرق الروماني ، مرجع سابق ، ص ٥٩٤.

٢- علي ، عبد اللطيف احمد ، (بلا) التاريخ الروماني- عصر الثورة- ص ٣٣٢.

٣-علي ، عبد اللطيف احمد نفس المرجع ، ص٣٣٢.

لسلطته الدينية ، كما انه تخطى العرف الجمهوري الذي ينص على التخلي عن اللقب وعلى تسريح الجيش قبل دخول روما ولكنه ظل يحمل اللقب عندما دخل روما وبذا أطاح بقاعدة درجت عليها روما من قبل .

مقتل قيصر: اثار قيصر بسلوكه الاستبدادي الحقد في قلوبالاوليجاركية الارستوقراطية التي ضاقت بالقيود التي فرضها بسياسته الدكتاتورية عليها والحط من قيمة وشأن مجلس الشيوخ ، وتحالفت من خلال هذا الشعور والحقد على قيصر مجموعة من الشيوخ الارستوقراطيين وبعض أتباع قيصر نفسه، وبعض الذين عفا عنهم وسلمهم مناصب ورد لهم اعتبارهم ، فدبروا مؤامرة لاغتياله كان على رأسها جايوس كاسيوس ، احد انصار بومبي الذي عفا عنه قيصر وعينه قنصلا عام ٤٤ق.م، وماركوس بروتوس الذي كان موضع عناية ورعاية قيصر ودكيموس بروتوس، وجايوس تريبونيوس، وكلاهما من انصار قيصر وكان الى جانبهم حوالى ٦٠ رجلاً من اعضاء السناتو، وقام المتآمرون باغتياله لحظة دخوله قاعة مجلس الشيوخ ، وكان المتآمرون يتوقعون ان تنتقل السلطة إليهم ولكن الشعب لم يرحب بجريمتهم، ولان حزب قيصر كان لايزال قويا رغم مقتل زعيمه وكان على رأسه ماركوس انطونيوس وماركوس ليبيدوس رئيس الفرسان ، يؤيدهما عدد من المحاربين القدماء . وعندما فُتحت وصيته اثارت عامة الرومان على قتلته لانه ترك حدائقه لتكون منتزها عاما للشعب الروماني ، كما أوصى لكل روماني بهبة مقدارها ٣٠٠ سستريوس وتبنّى جايوس اكتافيوس ابن ابنة اخته جوليا وجعله وريثا لثلاثة ارباع ثروته، هذه الوصية اثارت الشعب ضد قتلة قيصر ففروا من روما، وسيطر انطونيوس على السلطة وعمل على تعيين القادة وحكام الولايات فاعطى اسبانيا الى ليبدوس، واسند ولاية سوريا الى دولابلا Dolla-Pilla استمرارا لتعيينات قيصر، واسند مقدونيا ا الى دكيموس بروتوس ، وولايتي برقة وكريت الى جايوس كاسيوس وماركوس بروتوس وأخذ لنفسه حكم غالة القريبة وغالة عبر الالب ولمدة خمسة سنوات، وهنا ظهر جايوس اكتافيوس الذي كان ضَمنَ الفرَق الرومانية التي اعدها قيصر لغزو باريثا . فعندما علـم ما حل بابيه بالتبني وما أوصى به له ، بادر بالعودة الى روما ليطالب بميراثه الذي كان انطونيوس قد انفقه، وحاول انطونيوس، تجاهل اكتافيوس. ولكن هذا جمع جيشا من انصار قيصر وتعاون مع مجلس الشيوخ ضد انطونيوس، فاستطاع مع حلفائه هزيمة انطونيوس في

معركة موتينا سنة ٤٣ق. م وقد حاول مجلس الشيوخ بعد هذا الانتصار تجاهل اكتافيوس الذي ساءه هذا الموقف فقام بالزحف على روما واحتلالها، وتم انتخابه قنصلا في ١٩ اغسطس ٤٣ ق م مع بديوس وأنشأ محكمة لمحاكمة قتلة قيصر ، وفي هذه الاثناء كان انطونيوس قد التقى بزميله القديم ماركوس ليبيدوس فتحالف الاثنان من جديد ضد اكتافيوس وزحفا على روما فقابلهما اكتافيوس بجيوشه عند بلدة بونونيا ولكنهم بدلا من القتال اتفقوا على تكوين إدارة ثلاثية مدتهاخمسة سنوات يتمتع فيها كل منهم بالسلطة القنصلية وتعيين الموظفين دون الحاجة للرجوع الى مجلس الشيوخ وتقاسموا الولايات الرومانية الغربية على النحو الآتي :

١- يأخذ انطونيوس ولاية غالة القريبة ، وكل بلاد الغال عبر الالب ماعدا غالة البعيدة.

٢- يأخذ ليبيدوس غالة البعيدة واسبانيا القريبة.

٣- يأخذ اكتافيوس سردينيا وصقلية وافريقيا .

ثم بدأوا حربا ضد الحزب الجمهوري واستطاع انطونيوس واكتافيوس هزيمة الجيش الجمهوري في معركة فيلبي في ايلول ٤٣ق.م وبعدها اعاد انطونيوس واكتافيوس توزيع الحكم بينهما حيث يأخذ انطونيوس ولايات الشرق ويعود اكتافيوس الى ايطاليا ويتولى توزيع الاقطاعات الزراعية على الجنود القدماء ، واضطر لتحقيق ذلك الى مصادرة بعض الاراضي من السكان واصطدم نتيجة لذلك مع أصحاب وأقارب أنطونيوس وبدأت العلاقات تتوتر بين انطونيوس وأكتافيوس ولكنهما دخلا في نوع من الهدنة والاتفاق بموجب اتفاقية برنديزي حيث أخذ أكتافيوس ولايات اسبانيا وبلاد الغال وسردينيا وصقليه ودلماسيا، واخذ أنطونيوس الولايات االواقعة شرق الادرياتيكي، ولكنهما تعرضا الى مضايقات من قبل سكستوس بومبي ابن القائد بومبي الكبير ، والذي قطع عنهما تموينات القمح الوارد من افريقيا أو الشرق ، الامر الذي ترتب عليه مجاعة حلت بروما ، فاضطرا الى الاتفاق معه مؤقتا في اتفاقية مسينيوم التي أعطى بومبي بموجبها حكم صقلية وسردينيا وجنوب بلاد إليونان ولمدة خمسة سنوات ، وفي عام ٣٧ ق. م اتفق اكتافيوس وانطونيوس من جديد ضد سكستوس بومبي واستطاع اكتافيوس هزيمته ثم استطاع هزيمة ليبيديوس .

وفي عام ٣٢ق.م توترت العلاقات من جديد بين انطونيوس واكتافيوس بسبب علاقة

انطونيوس بكليوبترا وزواجه منها وانصرافه عن الحكم الى اللهو معها ، وطلاقه لزوجته اكتافيا الامر الذي اغضب عليه الرومان وجعلهم يميلون الى جانب أكتافيوس فقام هذا بابطال سلطة انطونيوس العليا وألغى ترشيحه قنصلا عام ٣١ق.م، ثم اعلن الحرب عليه رسميا واستطاع هزيمته في خليج اكتيوم فهرب الى مصر فتبعه اكتافيوس واحتل الاسكندريه عام ٣٠ ق. م ثم عاد إلى روما عام ٢٩ق.م بعد ان اعاد تنظيم الولايات الشرقية، وكان عمره عندما تحقق له ذلك ٣٣ سنة وبذلك بدأت روما تحت حكمه عهدا جديدا من السلام مع أكتافيوس الذي لقب امبراطوراً وحمل لقب اغسطس واعتبره الرومان منقد البشرية ولقبوه بمؤسس العصر الذهبي وعبدوه الها .

قام اكتافيوس بعد ذلك باصلاح نظام الدولة وقد مهد للاصلاحات بعدة اجراءات:

١-إعادة الطمانينة إلى نفوس الناس وتنمية شعورهم بالاستقرار وذلك من خلال القيام بالأعمال التالية:

× -اغداق الهبات والعطايا على الشعب والشروع في انشاء الطرق وتشييد المباني العامة ليشعر الناس بأن الامور قد عادت الى طبيعتها .

× -اغلاق معبد اله الحرب (جانوس JanUs) .

×- منح الامان لأصدقاء انطونيوس واتباعه وأحراق كافة الوثائق التي تدين معارضيه.

×- تسريح قسم كبير من جيشه ودفع التعويضات كاملة لجنوده المسرحين واسكنهم في المقاطعات الرومانية الجديدة.

٢- توطيد حكمه ومركزه السياسي في الدولة كقائد قوي يسنده جيش قوي ، وكان شخصه قد اصبح مقدسا لا تخرق له حرمه[(١)] .

وفي سبيل توطيد حكمه حصل عام ٣٠ ق. م على صلاحيات تربيونية غير محددة (كحقه في ممارسة صلاحياته خارج مدينة روما)، كما حمل لقب امبراطور منذ عام ٤٠ق.م ولبس الثوب الامبراطوري الارجواني.

٣- اظهار الحرص على التقاليد الرومانية ومن ذلك إعادة الحياة الدينية الرومانية الى سابق

١- الزين محمد (١٩٨٥) ، دراسات في تاريخ الرومان ج٢ جامعة دمشق ، دمشق ص ٣٥.

عهدها ، فاهتم بمجالس الكهنة، وأعاد النظر في لوائحهم وملأ الشواغر ، واتخذ لنفسه لقب عراف ، فقدر له الكهنة هذا الاهتمام فتغنوا باسمه في عباداتهم ، واوجب مجلس الشيوخ الصلاة من اجله ، وسكب الخمور على شرفه في جميع المآدب العامة.

٤- اصدار عفو عام عن كل ما جرى قبل عام ٢٨ ق. م واعتبر نفسه حارس حرية الشعب الروماني.

وبعد ذلك وضع نظامه الجديد الذي كان يمهّد له، موضع التطبيق فتسلم سلطة البروقنصلية Imperium proconslate لاسبانيا والغال وسوريا، وهي اغنى الولايات الرومانية لمدة عشرة سنوات، ثم وسعت فيما بعد لتشمل كافة اجزاء الامبراطورية بما فيها روما، وبذلك عسكر حرسه الخاص داخل مدينة روما، بعد ان كان يعسكر خارجها وفي ١٦ كانون ثاني ٢٧ق. م منحه مجلس الشيوخ لقب اغسطس (بمعنى الجليل، المعظم أو المقدس) كما منحه حق زراعة شجرة غار امام منزله كرمز لانتصاراته، وقام المجلس ايضا بتعليق ترس ذهبي في قاعة المجلس يحمل صفات اغسطس الاربع وهي : الرجوله، العدالة، الرحمة، البر .

كما قام بإنشاء لجنة عرفت باسم اصدقاء قيصر مهمتها اعداد جدول باعمال مجلس الشيوخ، وتتألف من القناصل وممثلين عن السلطات الحكومية فسيطر بذلك على اعمال مجلس الشيوخ ثم حصل على حق دعوة مجلس الشيوخ إلى الانعقاد وعرض الامور التي يريدها عليه ثم قام في عام ٢٣ق.م بأستحداث السلطة التربيونيةTribunica potestas محامي الشعب.

ثم قام في سنة ٢٢/٢٣ ق.م بسبب الوباء الذي انتشر في ايطاليا واهلك المزارعين وأدى إلى نقص الحبوب الى استلام مسؤولية الاشراف على الحبوب والمياه والاطفاء، وهي مسؤوليات كانت للقناصل وبذا يكون قد استلم سلطات القناصل دون أن يسمي نفسه قنصلا.

وقام سنة ١٨ ق.م باشراك صديقه وصهره غريبا معه في السلطة التربيونيه ليضمن وجود خلف له في روما في حال غيابه عنها .

كما اعاد تنظيم عضوية مجلس الشيوخ وحدد عدده ٦٠٠ بدلا من ١٠٠٠ او ٨٠٠ كما كان في السابق.

وقام باصدار القوانين الايولية(Ieiliae) التي تحدد انواع الجرائم واصول المرافعات مبادىء الآداب العامة ، وبموجبها يعتبر خائنا كل شخص يتعرض بالقول أو بالفعل لشخص

اغسطس ، الذي اصبح من حقه ان ينظر في ابرام احكام الاعدام أو الغائها وانشأ مجلساً قضائيا استشاريا يقدم له النصح والمشورة في مايرفع إليه من أحكام قضائية. ثم انتقل إلى إصلاح الاوضاع الاجتماعية فأصدر قانون الزواج عام ٨١ ق.م وعدّله سنة٩ ق.م، شجّع فيه الزواج وحاول أن يحد من ظاهرة العزوبة الي أخذت تتفشى في المجتمع الروماني وحاول أن يحد من الطلاق وعاقب بشدة على الزنا.

وبعد ان أتم اصلاحاته اعلن ذلك للرومان واشار إلى أن عهداً جديداً قد بدأ وأمر باقامة احتفالات شعبية ودينية بهذه المناسبة التي خلدها الشاعر الروماني هوراس Horas في قصيدة مجد فيها اغسطس ، واعلن ميلاد العصر الذهبي والسلام الاوغسطي، كما اشرف بنفسه على سك النقود الذهبية التي كانت سابقا من مهمات مجلس الشيوخ، وتولى الاشراف على الخزينة العسكرية وعلى خزينة الولايات وأبقى لمجلس الشيوخ الاشراف على خزينة ساتورنوس (الخزينة العامة)، وكانت هذه الخزينة تتحمل نفقات الانشاءات العمومية والطرقات والمعابد وغالبا ماكانت هذه الخزينة تعجز عن الوفاء بالتزاماتها فتلجأ الى الاستعانة بالخزينة الامبراطورية الأمر الذي جعلها تحت اشرافه (اي الامبراطور) بشكل فعلي، كما عمل على الحد من نفوذ طبقة الفرسان وامتيازاتها وذلك باصلاح نظام تعهد الضرائب التي كانوا يتولّون جبايتها .

كما اهتم اوكتافيوس باصلاح الاقتصاد في زمنه فازدهرت التجارة ازدهارا عظيما ، كما ازدهرت الزراعة، والصناعة حيث ظهرت مدن صناعية مهمة كالاسكندرية، والمدن الكامبانية بريتولي ، وبومبي، واكويليا وتميزت الحياة الاقتصادية عموما في زمنه بميزتين اساسيتين:-

١- عدم تدخل الحكومة في الحياة الاقتصادية وسيطرة الليبرالية.

٢- بروز اهمية ايطاليا كمركز للحياة الاقتصادية.

وهكذا تكاملت صورة الدولة الرومانية في اوائل عهد الامبراطورية وقد تعاقب على عرش الامبراطورية الرومانية بعد اغسطوس مجموعة من الاباطرة اشتهر منهم الامبراطور كلاوديوس (٤١م-٥٤م) الذي اشتهر بحروبه في الشرق وفي شمال افريقيا حيث قام بضم موريتانيا ، كما قام بغزو بريطانيا ، اما في الناحية المدنية فقد توسع في فتح حق المواطنة الرومانية ضمن شروط.

وفي عام ٦٨م مات نيرون واعقبه فترة من الاضطراب حيث تولى اربعة اباطرة الحكم في سنة واحدة عرفت بأسم عام الأباطرة الأربعة جالبا Galba واوتين وقيتللوس، وأخيراً فسباسيان ويعود ذلك الى تدخل الجيش في تولية الإباطرة، ويعتبر فسباسيان من الأباطرة العظام حيث قام بالقضاء على ثورة بلاد الغال. كما قضى على ثورة اليهود واحتلت جيوشه اورشليم وخربت المعبد سنة ٦٩م، ثم قام بأشراك ابنه معه في الحكم وابتدأت بذلك اسرة امبراطورية جديدة تعاقب فيها علي الحكم ثلاثة اباطرة هم فيسباسيان ونيتوس ودوميتيان، وبعد موته سنة ٩٦م تولى الحكم احد اعضاء مجلس الشيوخ امبراطوراً هو نيرفا Nervaالذي شرع بسياسة جديدة في الوصول الى الامبراطورية وهي ان يقوم الامبراطور الحالي بتبني خلفه حيث تبنّى نيرفا قائد جرماني هوا تراجان الذي اشتهر بحروبه في داشيا، وفي بلاد الفرس وبلاد ما بين النهرين وخلفه مجموعة من الأباطرة العظام مثل هادريان، وانطونيوس بيوس وماركوس اوريليوس.

نشأة الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطة). (٢٨٤-٣٠٥م)

تربع على عرش الامبراطورية الرومانية في واخر القرن الثالث الميلادي الامبراطور دقليانوس ، وهو اعظم سياسي أخرجه العالم الروماني منذ اغسطس، وقد نفّذ هذا برنامجا اصلاحيا شاملا في شتى النواحي فلم يسمح للمواطن الروماني بالتحلل من التزاماته، بل أجبره بالتزام وظيفته ، وألزم الابن بان يشغل وظيفة أبيه . كما أدخل عدة اصلاحات في شؤون الحكم والشؤون العسكرية فوضع الجيش تحت أمرة الحكومة وفصل السلطتين العسكرية والمدنية عن بعضهما ، وجعل الكفاءة العسكرية هي الشرط الأول للتعيين ، كما عمل على تثبيت العملة، ورفع من مكانة الامبراطور، فجعله في مرتبة أقرب الى الآلهه . منه الى البشر ، فاستمد أفكارا شرقية فارسية فأضحى نفوذه مستمداً من الحق الالهي ، وسلطاته هبة من السماء ، ولعل هذا اعتراف ضمني من روما بما للشرق عليها من أفضال[1].

وقد قام د قلديانوس باجراء ذي اهمية بالغة لمعالجة قضيتين اساسيتين هما ، مسألة

١- يوسف جوزيف نسيم .(١٩٨٤)، تاريخ الدولة البيزنطيه ، الاسكندرية، مؤسسه شباب الجامعه ، ص ٣٦

الاختلاف والنزاع حول وراثة العرش وثانيا مسألة الضعف الاداري وفوضى الحكم في الولايات والتي نتجت عن اتساع رقعة الامبراطورية ، وعن تدخل الجيش ممثلاً بفرقه المختلفة في مسألة تعيين الاباطرة عند موت الامبراطور ، فبرزت الحاجة ماسة منذ ايام الاباطرة الاوائل الى ضرورة احكام السيطرة على الامبراطورية وذلك بتعيين وزيرين احدهما لاتيني للقسم الغربي ، والاخر يوناني للقسم الشرقي [1] فقام بتقسيم الامبراطورية الى اربعة مقاطعات كبرى واستبدل العاصمة روما باربعة مدن كبرى يقيم فيها اربعة حكام يحمل اثنان منهما لقب امبراطور «اوغسطس» وفيما يحمل الاثنان الآخران لقب قيصر ويكونان نائبين عن الامبراطور.

ويشير بعض المؤرخين الى ان دقلديانوس أمر بأن يكون للامبراطورية حاكمان يقيم كل منهما في احد شقي الامبراطورية الشرقي او الغربي ، واعاد تقسيم الامبراطورية الى اربع ولايات هي: الغال ، ايطاليا، وايليريا ، والشرق وجعل كل ولاية تحت حكم والي Practor ثم قام بتجزئة كل ولاية إلى عدد من المقاطعات Diacoses يحكم كلا منهما حاكم محلي Vicarius ، وقد احتفظت مقاطعات آسيا وافريقيا بحكامها الذين كان لهم حق الاتصال المباشر بالامبراطوروهم أل Proconsuls وقد تمكن قسطنطين ان يرث الدولة الشرقية خاصة بعد أن حقق النصر بتنازل خصمه حاكم الغرب ليسينيوسLicinus له عن الحكم، واصبح بذلك الحاكم الفرد سنة ٣٢٤ق.م[2]. وقد استطاع قسطنطين ان يحقق للجزء الشرقي مكانة عسكرية ودينية واقتصادية مرموقة، وبذلك اتجه الحكم الروماني تدريجيا من روما مركز العالم القديم الى الشرق . ولم يكن مستغربا ان يتجه الحاكم الروماني العظيم إلى الشرق ليبني فيها عاصمة جديدة ينقل إليها مركز الحكم مقتفياً بذلك اثر سلفه دقلديانوس الذي نقل عاصمته الى نيقوميديا في آسيا الصغرى . ويعود ذلك الى مجموعة عوامل منها:

١- تزايد الاخطار التي كانت تحيط بالامبراطور فيما لو جعل مركز امبراطوريته في روما ، حيث انه وبنتيجة انصراف الجيش عن مهمته الأساسية وهي القتال دفاعا عن الامبراطورية

١-رستم اسد (١٩٥٥)، الروم وصلاتهم بالعرب ، حدا بيروت ، دارالمكشوف

٢- اليوسف عبدالقادر احمد ١٩٦٦، الامبراطورية البيزنطيه ، بيروت المكتبه العصريه ص ١٢٩.

الى الانخراط في منافسة مستمرة حول تعيين قادته أباطرة وقد تطورت هذه المنافسة الى درجة ان قادة هذا الجيش جاءوا بفرقهم ليعسكروا بجوار روما منتهزين اية فرصة سانحة للانقضاض على الحكم ، الامر الذي ادى إلى عدم الاستقرار وإلى زعزعة مركز الامبراطور الذي اصبح يعيش تحت تهديد دائم ، ولذا عمل دقلديانوس ومن بعده قسطنطين الى النأي بنفسهما وعرشهما بعيد عن روما واخطارها .

٢- تزايد الاخطار التي اصبحت تهدد الامبراطورية من و اجهتها الشرقية والتي كانت تأتي من مصدرين : الفرس ، الجرمان (القوط الشرقيون ، والغربيون وغيرهم) والتي حتمت على الامبراطور ان يجعل مركزه قريبا من مصادر هذه الاخطار ليتمكن من الدفاع عنها بشكل فعال .

٣- انتشار المسيحية بشكل متسارع في الامبراطورية وخاصة في جزئها الشرقي دفع ا لامبراطور دقلديانوس الى محاولة القضاء عليها في منطقة انتشارها في آسيا الصغرى ، وذلك بنقل مقر حكمه ليكون قريبا منها .

٤- ويمكن ان نضيف الى هذه العوامل عاملاً رابعا قد لايكون منظوراً بدرجة كافية جليلة، وهو ان الجزء الشرقي كان مركز الثقافة والعلم إليوناني التي بقيت حية متقدة بينما كانت مثيلتها في ايطاليا قد بدأت تخبو وتضعف ، ولذا فمن المحتمل ان الاباطرة كانوا يفضلون اقامة مركز حكمهم في بيئة علمية وثقافية مزدهرة، بدلا من جعلها في منطقة بدأ الجهل والتفكك الاجتماعي ، والاقتصادي والعسكري والديني ، والاداري ينهش بها ولم تعد روما تفي بمطالب العصر [1].

وقد غلب على هذا الجزء من الامبراطورية اسم الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وذلك تميزا لها عن الامبراطورية الرومانية القديمة الغربية، التي تم احياؤها في بداية القرن التاسع الميلادي في عهد شارلمان ثم تحول الاسم الى الدولة البيزنطية.

يعود تسمية الدولة الرومانية الشرقية باسم الدولة البيزنطية الى الموقع الذي اقيمت فيه بيزنطه Byzantium إلى اسم احد القادة البحريين Byzas الذي اختار الموقع وخطط

١- هارقان ، لد. م، بارا كلاف ج ترجمة يوسف جوزيف نسيم (١٩٧٠) الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ص.

٣١.

المدينة[1] وعندما اراد قسطنطين بناء مدينته بعد ان كره الاقامة في نيقوميديا عاصمة خلفه دقلديانوس. اختار لهذه المدينة موقعا قريبا من هذا الموقع ، وقد بناها على سبعة تلال تطل على التقاء مضيق البسفور ببحرمرمرة . وقد انتقل إليها الامبراطور قسطنطين سنه ٣٣٠م بعد ان استغرقت اعمال التصميم والتخطيط والبناء زهاء خمسة سنوات، وجاءت المدينة أعجوبة من اعاجيب الدهر وتليق بمقرحكومة عالمية تسيطر على أغلب بلدان البحر الابيض المتوسط بسبب موقعها الاستراتيجي والتجاري الممتاز .[2]

لقد اقتطعت الدولة البيزنطية من تاريخ الانسانية ما يزيد على عشرة قرون فهي تبدأ من قبل عصر قسطنطين من القرن الرابع الميلادي ، وتنتهي في اواسط القرن الخامس عشر على يدالسلطان العثماني محمد الفاتح ١٤٥٣ق.م.[3] ولعل استمرار الدولة البيزنطية في الحياة لمدة عشرة قرون على الرغم من كل المصاعب والغزوات التي تعرضت لها من الجرمان والمسلمين والصليبيين والفرس ، يعود بالدرجة الاولى كما يعتقد الى حصانة موقع عاصمتها القسطنطينية التي تميزت باسوارها المنيعة، بالاضافة الى نهر الدانوب الذي كان يشكل حداًطبيعيا من الشمال ، والى وجود عدد من الاباطرة العظماء والقادة العسكريين الذين اسهموا في صنع تاريخها .

وقد شهدت الدولة الرومانية في الفترة الاولى من عهد قسطنطين ٣٠٦-٣١٢ صراعاً حاداً حول السلطة بين كل الذين كانوا يتولون السلطة، بأي من أشكالها، حيث بلغ عددهم ستة تقريبامن الاباطرة و هم [جاليريوس في مقاطعة الدانوب وآسيا الصغرى ، وسيفيريوس في الغرب (ميلانو، ماكسيميان ، وابنه ماكيسنيوس) وقد عالج قسطنطين هذا الموقف تارة بالشدة والعنف ، طوراً بالدهاء و المداهنه. وقد اعترف قسطنطين بالمسيحية دينا مسموحاً به في الدولة في الاتفاقية التي عقدها مع غريمه لوسينيوس في ميلان سنه٣١٣م. وقد استتبع هذه الخطوة

١- يوسف ، جوزيف نسيم ، تاريخ الدولة البيزنطية مرجع سابق ص ٣٠

٢- يوسف ، جوزيف نسيم ، تاريخ الدولة البيزنطية ، مرجع سابق، ص،٥

٣- إلهالي ، سامي (١٩٦٢(الحضارة) الانسانية بين الشرق والغرب ، القاهرة مطبعة العالم العربي ص ٣٢

انه وجد نفسه مضطراً الى التدخل في القضايا الدينية الخلافية وبخاصة الانشقاق الديني العظيم بين الآريوسية والاثناسيوسية، فعقد تبعاً لذلك مجمع نيقية المسكوني سنه٣٢٥م. للنظر في الخلاف بين الفريقين المختلفين ، وقد اعتبرت رئاسة قسطنطين لهذا المجمع بأنها اشارة واضحة لرغبتة في توسيع سلطته لتشمل الدين والدنيا . وقد ادى الخلاف الديني بين الآريوسية والاثناسيوسية الى انقسام الامبراطورية الرومانية دينيا إلى قسمين ، الغرب وساد فيه المذهب الاثناسيوسي، والشرق وساد فيه المذهب الآريوسي.

ويؤكد هذا الاتجاه ماذهب إليه المؤرخ Hussey بأن بوادر افتراق القسم الشرقي عن نظيرة الغربي تلاحظ في اتجاهات قسطنطين الشرقية في المجالات الدينية والسياسية منذ اعترافه بالمسيحية وتبنيه لها وتشييده القسطنطنية جاعلاً منها مقراً لحكمه ورمزا لجديد الاتجاهات في امبراطورية الرومان. (١)

وعلى الرغم من ذلك فان قسطنطين استطاع الاحتفاظ بوحدة الامبراطورية وظلت موحدة الى سنة ٣٩٥ حينما توفي الامبراطور تيودوسيوس الاول العظيم، وقسمت الامبراطورية الى قسمين : شرقي ويحكمه اركاديوس ٣٩٥-٤٠٨ ويدين بالآريوسية وغربي ويحكمه اونوريوس ٣٩٥-٤٢٢ ويدين بالاثناسيوسية، واكتسب التقسيم طابعاً سياسياً ودينياً رغم ان والدهما ثيودسيوس حاول ان يحافظ على وحدة الامبراطورية الدينية بشدة وعنف. وقد شهد القسم الغربي من الامبراطورية ضعفا مستمرا وتدهوراً متلاحقاً بسبب هجمات الجرمان المتلاحقه عليه ، والتي ادت الى استيلاء اودواكر على روما وانهاء حكم آخر اباطرة الغرب رومولوس اوجستولوس سنة ٤٧٦م. وارسل شارات الامبراطورية الى الجالس على عرش الامبراطورية الشرقية الامبراطور زينو، الذي اقر حكمه على روما وعينه ممثلاً له فيها . وتدل هذه الحادثة على ان اودواكر رغم استباحته لروما إلاانه لم يجعل نفسه في منزلة يغتصب فيها اللقب الامبراطوري كما يدل إرساله اشارات الامبراطورية الى روما الجديدة (القسطنطينية) على ان النفوذ الادبي للامبراطورية في الشرق قد امتد الى الغرب. (٢)

١- اليوسف ، عبد القادر احمد ، الامبرطورية البيزنطية مرجع ص ٨.

٢-هارتمان مرجع سابق ص ٢٠

ومنذ ذلك الوقت بقيت فكرة إعادة توحيد الامبراطورية بشقيها الشرقي والغربي تراود عقول اباطرة بيزنطية ففي هذا السبيل قام الامبراطور جستنيان(٥٢٧-٥٦٥) باستعادة الاراضي التي سيطر عليها الجرمان وقد نجح في استعادة ولاية افريقيا من الوندال . واستعادة ايطاليا من القوط الشرقيين ، كما قضى على ملك القوط الغربيين في اسبانيا ، واقتطع الجزء الجنوبي الشرقي من مملكتهم وضمه الى بيزنطة ، وقد دفعت هذه المحاولة البعض إلى الاعتقاد ببعث الامبراطورية الرومانية ثانية الى الوجود [١] بينما يرى البعض ان الانفصال بين الشعبين كان اعمق من الجانب السياسي ، لأن الانفصال كان قد كرس حقيقة دينيا وثقافيا واجتماعيا وسياسياً . ولذا فان الملاحظ انه ما ان مات حستنيان حتى تهاوت دولته ثانية فتقلصت حدودها الشرقية في أسيا الصغرى والبلقان كما استولى اللمبارديون على ايطاليا سنه ٥٦٨م.

كل هذا دفع كلا من الشرق البيزنطي ، والغرب اللاتيني الجرماني الى السير كل في طريق مغاير للآخر [٢] فلم يعد الشرق يتطلع الى احياء الدولة الرومانية القديمة فترك الأباطرة اللاحقون الغرب وشأنه وانصرفوا الى معالجة أوضاع حكمهم في جزئهم الشرقي ، واستمر الجفاء والتباعد بين الغرب وبيزنطة.

وقد ساعد في هذا التباعد وأكده الاختلاف في المسيرة الدينيه لكل منهما . فبالاضافة الى الاختلاف المذهبي لعبت الجوانب السياسية دوراً في ذلك . فبينما نجد الامبراطور البيزنطي في الشرق يجمع في شخصه ويمسك بيديه السلطتين الدينية والدنيوية ، فاننا نجد أن الكنيسة الغربية[البابوية] وكنتيجة منطقية لضعف السلطة الدنيوية (الامبراطورية الرومانية) تتقوى كسلطة دينية وتقوم بدور دنيوي، حيث أخذ رجال الكنيسة على عاتقهم امر حماية السكان من الجرمان الغزاة ومن الحكام الدنيويين المستغلين . وتدريجيا بدأت كنيسة روما تقوى لتصبح زعيمة الغرب المسيحي وتمارس استقلالاً عن السلطات الدنيوية بل وتحاول ان تؤكد بان سلطتها فوق السلطة الدنيوية ولذا نراها ترفض محاولات أباطرة القسطنطينية السيطرة

١- هارقان، وباراكلاف، الدولة والامبراطورية، مرجع سابق ص. ٣٠

٢- هارقان، وباراكلاف، الدولة والامبراطورية، مرجع سابق ص. ٣٠

عليها وإخضاعها، وبلغت ذروة الشقاق بين الجانبين عندما قام ليو الثالث الايسوري(٧١٧-٧٤١) بتبني سياسة اللايقونية، فقاومت البابوية هذه السياسة ، واصدر البابا جريجوري الثاني (٧١٥-٧٣١) قراراً بحرمان الامبراطور بينما رد الامبراطور بحرمان بابوية روما من حقوقها واملاكها في صقلية وجنوب ايطاليا ، وفصل عنها جميع الكراسي الاسقفيه [1] وهكذانجد انه كلما تقدم الزمن تزداد الهوة اتساعاً بين الجانبين ، حتى نصل الى القرن التاسع الميلادي وفي سنه ٨٠٠ بالذات حيث توج البابا ليوالثالث (٧٩٥-٨١٦) شارلمان امبراطور اً مقدساً ، فكان هذا نهاية لكل الآمال والاحلام التي كانت ترجو احياء الامبراطورية الرومانية القديمة الواحدة، الموحدة وتاكد هذا مرة ثانية عندما توج ملوك المانيا اباطرة مقدسين بعد نهاية امبرطورية شارلمان، وقد ترتب على احياء الامبراطورية الرومانية الغربية، قيام حالة من المنافسة والعداء بين الامبراطورية الشرقية والامبراطورية الغربية، أدت إلى الانفصال التام بين القسمين ، رغم بعض المحاولات الواهنه لاعادة اللحمة بين الشقين والتي قامت بها ايرين(٧٩٧-٨٠٢) ومن ثم ميخائيل الاول(٨١١-٨١٣).

وهكذا فاننا نجد ان الامبراطوريةالبيزنطية قد نشأت نتيجة الانفصال السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي بين شقي الامبراطورية الرومانية، منذ القرن الرابع الميلادي، حيث انهى وجودهمابصورة فعلية الخليفة العثماني محمد الفاتح عام ١٤٥٣م.

١- هارفان ، باراكلاف ، مرجع سابق ص ٣٦-٣٧

حضارة الرومان

الفصل الثاني: المظاهر الحضارية والنظم.

- نظام الحكم والادارة وتطورهما، ومجلس الشيوخ الروماني وأدواره.
- المجتمع الروماني، المركز والولايات.
- العمران والفن.
- المظاهر الأدبية الثقافية، وأدوات الكتابة.

مظاهر الحضارة الرومانية

١–**نظام الحكم** : كان نظام الحكم الروماني في عصر الجمهورية نظام حكم ارستوقراطي اوليغاركي ، يقوم على سيطرة اقلية من المجتمع الروماني على الحكم، يتألف من افراد الطبقة الارستوقراطية البطارقة النبلاء ، ولم يكن هذا الحكم الجمهوري يستند إلى دستور مدون وانما يستند إلى الاعراف والتقاليد الرومانية القديمة ، ولم يلغ الجمهوريون الرومان المنصب الملكي بل حافظوا عليه وجردوه من جميع السلطات القديمة وابقوا له الجانب الديني واشركوا معه مواطنا آخر هو الكاهن الاعظم ويعود ذلك الى طبيعة الرومان المحافظة، فقد كان ينظر الى القنصل على انه يملك السلطة العليا Imperium اي انه يملك السلطة التي كان يملكها الملك ، غير انها حددت بمبدأين اساسيين تميز بهما نظام الحكم الجمهوري الروماني وهما :–

١–مبدأ المشاركة الثنائية في منصب القنصلية حيث من حق كل قنصل ان يحاسب زميله.

٢– تحديد مدة القنصل لسنة واحدة .

ويتكون نظام الحكم الجمهوري من عناصر ثلاثة اساسية هي :

- الحكام
- مجلس الشيوخ
- الهيئات الشعبية .

الحكام: يمكن تقسيم الحكام الرومانيين في العصر الجمهوري الى ماياتي :

ا) اولئك الذين يملكون السلطة العليا Imperium واولئك الذين لا يملكونها وهذه السلطة هي اعلى سلطة تنفيذية وعسكرية ومدنية وتشريعية وكانت هذه السلطة تمنح للملوك سابقا واصبحت تعني قيادة الجيش بشكل خاص وهؤلاء الحكام هم:

القنصل ، والقاضي ، والدكتاتور ، وماجستر اكويتوم.

اما الذين لا يملكون سلطة الامبريوم فهم:

الرقيب Censor والمدعي العام Tribune والمحتسب Aedle او ناظر الشؤون البلدية ، وموظف المالية (القسطور) Questor او الخازن وجميع هؤلاء الحكام لهم صلاحية تنفيذ جميع متطلبات مناصبهم.

ب) اولئك الذين لهم سلطة منح السلطان Qmperom واولئك الذين لا يملكون مثل هذه السلطة ويعتمد هذا التقسيم على حق الجلوس على كرسي خاص في الدولة يدعى Sellacurulis اما الحكام الذين لم يكن لهم مثل هذا الحق فمنهم المدعي العام والمشرف على الشؤون البلدية والخازن.

جـ) الحكام العاديون والحكام فوق العادة فهم الدكتاتور ونائبه .Magistor equitum

وسنعرض بايجاز فيما يلي لاهم مناصب الحكام في العهد الجمهوري ووظائفهم:

١. القنصل C onsul أو البريتورPraetor سابقا.

وهو الحاكم الذي يعتبر اعلى سلطة تنفيذية في الدولة حيث كان يتمتع بسلطة الملك ، ولكن طبقة العوام قاومت هذا الشكل من اشكال السلطة فحولت بعض هذه السلطات الى الحكام الآخرين مثل : الرقيب ، والخازن وأصبحت صلاحياته:

- قيادة الجيش فعليا في ساحة المعركة وتتضمن حق اختيار المجندين واقرار الضرائب الضروريةللحملة.
- الاشراف على الانتخابات ذات الاهمية.
- دعوة مجلس الشيوخ والمجالس المئوية ومجالس الجماعات الى الاجتماع ورئاسة اجتماعاتها.
- انزال العقوبات بدون محاكمة في حق الضباط والجنود الخاضعين لسلطته، وبشكل خاص خارج اسوار مدينة روما وقد يصل ذلك الى حد انزال عقوبة الاعدام بحق الجندي المخالف لأنه يفقد بعض حقوقه الدستورية خارج سور المدينة التي تحميه كمواطن .
- اقتراح القوانين على مجلس الشيوخ لاقرارها ولتكسب الصفة التنفيذية القطعية الالزامية.
- مراقبة الاجانب واخماد القلاقل والقضاء على الاضطرابات الداخلية.

وكان يشغل منصب القنصلية قنصلان وذلك خشية استئثار احدهما وانفراده بالحكم ويحكمان بصورة مشتركة أو بالتناوب ويحق لاحدهما الاعتراض على تصرفات زميله، وقد يمنح مجلس الشيوخ القنصل صلاحيات استثنائية في أوقات الازمات والشدة وتسمى السلطات الدكتاتورية وينتخب القنصلان لمدة سنة ويطلق اسمهما في العادة على تلك السنة ويؤرخ

باسمهما.

وكان القنصلان يتمتعان بمكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع الروماني ويلعبان دوراأساسيا في الحياة السياسية ولذا حرصت طبقة الخواص النبلاء على الاستئثار بهذه السلطة الى عام ٣٦٧ق.م حيث سمح للعوام بحق اشغال احد المنصبين القنصليين .

٢- القاضي العدلي Praetor:

وكان القضاه العدنيون من اكبر رجال الدولة مكانة في اول عهد الجمهورية ولكنهم تراجعوا للمركز الثاني بعد اقرار منصب القنصلية. وقد انتخب اول بريتور عام ٣٦٦ ق. م ومنح سلطات القنصل القضائية ، وفي عام ٢٤٢ ق.م تم تعيين بريتور آخر للنظر في قضايا الاجانب وسمي البريتور الاول ، اما البريتور السابق فاطلق عليه اسم القاضي الاعظم Praetor Maximus والذي اصبح يحتل مرتبة رفيعة من القنصلين، واصبحت الاحكام التي يصدرها والتي تحتوي على المباديء والقضايا خلال سنة حكمه مصدرا هاما للقانون ، وكان القاضي يكلف بأدارة المقاطعات الخارجية ولذلك نجد ان عدد القضاة سيزداد تدريجيا حيث زاد سلاعددهم الى (٨) وعندما جاء قيصر زاد عددهم الى (١٦) وقد احاطت بهم الشبهات ، وخاصة عند النظر في القضايا المتعلقة بأفراد من الطبقة الارستوقراطيه ، وبانهم يرتشون.

الرقيب:Censor

وجد هذا المنصب في عام ٤٤٣ق. م [1] وكان عدد الرقباء اثنان يختاران كل خمسة سنوات تقريبا، غير انهما كانا في الغالب يحتلان هذا المنصب لمدة (١٨) شهرا ، وكان منصب الرقيب يعتبر دورة مناصب الدولة العامة، لذا كان القناصل يشغلونه في الغالب واهم واجباته:

١- تسجيل النفوس واعداد قائمة المواطنين وممتلكاتهم لتحديد منزلتهم.

٢- اعداد قائمة باعضاء مجلس الشيوخ.

٣- ادارة الامور المالية.

١- يحيى ، السكندر . عزيز ، يوئيل يوسف مترجم (١٩٧٧) تاريخ الرومان وادبهم وآثارهم ، ص٠ ٥٧.

٤- الاشراف على النواحي الخلقية للمواطنين.

ولا ينتخب الرقيب انتخابا بل كان مجلس الشيوخ يعينه .

الدكتاتور: ادت القيود التي فرضها الرومان على سلوك وتصرفات القنصلين ، وحق كل قنصل في الاعتراض على تصرفات واعمال زميله ، الى تقييد حرية القنصلين في العمل والى عجزهما عن مواجهة المشكلات الخطيرة التي تواجه الدولة الرومانية والى الابطاء في تصريف الاعمال التي تتطلب سرعة البت فيها فلجأوا الى معالجة هذا الوضع باستحداث منصب الدكتاتور ومنحه سلطات استثنائية مطلقة داخل مدينة روما وخارجها ، وخشية من احتمال استئثاره بالحكم الفردي المطلق بشكل غير محدود ولمدة طويلة قاموا بتحديد المدة التي يمارس خلالها الدكتاتور سلطاته بستة اشهر لايمكن تجديدها وجعلوا الى جانبه موظفا أخر يسمى رئيس الفرسان Magistor Equitum ومن مميزات هذا المنصب : انه يخضع لحكمه وسلطته جميع موظفي الدولة وينصاعون لاوامره ، وانه لا يحاسب على اعماله وتصرفاته بعد انتهاء مدة حكمه.

وقد نجح الرومان بايجاد منصبي في الظروف الطبيعية والدكتاتور في الظروف العصبية الإستثنائية في الوصول الى حل لقضية السلطة التنفذية التي واجهوها بعد قضائهم على النظام الملكي ، رغم انهم ابقوا على جميع سلطات الملك واعطوها للقنصل ، الذي كان يحمل شارات الملك ويرتدي ثيابه الارجوانيه ويحيط نفسه بالحراس والاتباع ، ويمارس سلطاته القضائية والمدنية والعسكرية كما ان موكب الدكتاتور كان في ابهته وفخامته مشابها لمواكب الملوك حيث كان يسير امامه اربع وعشرون تابعا وبايديهم العصي والفؤوس رمزاً لتمتعهم بالحكم المطلق .

المحاميTribune حصلت الطبقة العامة نتيجة اتفاق الجبل المقدس [1] على حق انشاء مؤسسة المحاماة عن الشعب، حيث أصبح من حق العامة انتخاب عدة اشخاص أطلق عليهم

١- اتفاق الجبل المقدس هو اتفاق عقد بين العامة الذين كانوا يناضلون من اجل الحصول على حقوقهم من النبلاء الارستقراطيين الذين رفضوا ذلك فانسحب العامة من روما الى الجبل المقدس ، جبل كافو Cavo على بعد ٣ اميال من روما ، وقرروا انشاء مدينة جديدة لهم ، فاضطر الارستقراطيين الذين لا يستطعون الاستغناء عنهم الى القبول بمطالبهم واعادوهم الى روما، وكان ذلك سنة ٤٩٤ ق. م.

اسم المحامين عن الشعب او نقباء العوام ، وكان عددهم اربعة في البداية ثم اصبح عددهم (١٠) منذ عام ٤٧١ . م بعد ان تكاثر عدد القبائل وبعد تعاظم اهمية العوام في المجتمع الروماني ، وقد جعل هؤلاء النقباء مقدسين باشخاصهم وممتلكاتهم، ولايجوز لاي انسان ان يمسهم بأذى ، ومن يتجرأ عليهم يحكم عليه بالاعدام ، ويحق لهم حماية من يلجأ الى بيوتهم (حق المساعدة) ويمتلك هؤلاء المحامون حق النقض (الفيتوVeto) حيث يستطيع ان يوقف وأن يمنع محاكمة اي فرد، و يمنع تنفيذ اي قرار يصدر عن مجلس الشيوخ أو أي حاكم اداري مهما علت مكانته كما كان المحامي يتمتع بسلطة مطلقة في معارضة او رفض اي اجراء يمس مصالح طبقة العامة.

وقد حاول النبلاء تقييد حرية المحامين، باستمالة بعضهم الى جانب النبلاء وذلك ان قرارات المحامين لا تكون نافذة الا اذا صوت عليها المحامون العشرة بالاجماع ويكفي ان يخالف واحد منهم رأي زملائه ليصبح قرارهم باطلا . كما انه لايحق للمحامي ان يمارس صلاحياته خارج اسوار مدينة روما .

وكان العوام يجددون انتخاب المحامين سنويا ، وقد لعب المحامون دورا كبيرا في تنظيم الحركة الشعبية.

الخازن القسطور Quaestor

وهم وكلاء الشؤون المالية ويتولون الادارة المالية لصناديق المال العامة، وتقع مرتبتهم في ادنى مراتب هرم الادارة والحكم الروماني وكان عددهم اولا اثنان يختاران من طبقة الخواص (النبلاء)، ولكن اعتباراً من عام ٤٢١ق. م اخذ العوام يشغلون هذا المنصب بالتساوي مع النبلاء وازداد عددهم الى (٤) اثنان من العوام واثنان من النبلاء الخواص ، وكانوا يسمون بخزنةساتورنوس لانهم كانوا يودعون الاموال في معبد الاله ساتورنوس ، وفي ايام سلا Sulla ارتفع عددهم الى (٢٠) خازنا ، واصبحوا في ايام قيصر (٤٠) خازنا.

نظار الشؤون البلدية Aediles المحتسب :

وكانت مهمتهم حراسة الابنية العامة وصيانة الشوارع ومراقبة سير الاعمال في الاسواق

والاشراف على الحمامات العامة والينابيع والقنوات ومجاري المياه، كما اوكل اليهم مراقبة المواد الاستهلاكية في الأسواق وتأمين المؤن الضرورية من الحبوب وغيرها من المواد الغذائية لسكان العاصمة، كما كانوا يراقبون نظافة المدينة من الناحيتين المادية والاخلاقية. ويأتون في مرتبة تلي القضاة المدنيين والمتنقلين ، ولم يكونوا متمتعين بالامبريوم (السلطان)

وفي سنة ٣٦٦ق. م اضيف إليهما ناظران آخران تنتخبهما المجالس القبلية، كما اضيف إلى مهماتهما وظيفة تنظيم الالعاب في مواسم الاعياد الدينية فاكتسبوا بذلك شهرة شعبية.

السلطة التشريعية والمجالس الانتخابية:

يلاحظ في روما وجود ثلاثة مجالس شعبية هي مجالس الجماعات والمجالس القبلية والمجالس المئوية :

(١) مجلس الجماعات: وتسمى ايضا مجالس : الوحدات Comitia Curiata كان النبلاء واتباعهم يؤلفون ثلاثين وحدة أو جماعة Curia تتكون منها القبائل الثلاث التي اشرنا إليها في حديثنا عن العصر الملكي ، وقد تغير تركيب مجلس الجماعات نتيجة لازدياد عدد المواطنين الرومان وانضمام قبائل جديدة الى روما ، ولكن مهماتها تضاءلت وضعفت واصبحت مهمتها الجوهرية هي التصويت على قانون منح السلطات Imperium للموظفين السامين الذين تكون الجمعية المئوية قد انتخبتهم .

ب) المجالس المئوية camilia centuriat

ادت اصلاحات سرفيوس توليوس الى توزيع المواطنين على خمسة فئات تبعا لثروتهم، وقد اعتمد ذلك التصنيف لتشكيل المجالس المئوية، وقد ارتبط التصنيف المئوي بتنظيم الجيش، اذ ان الوحدات المئوية ، هي في الواقع الشعب المعبأ عسكريا ، والذي يتوزع على طبقات يحددها الاحصاء بعد التحقيق الذي يجريه مراقبو الأحصاء والأخلاق العامة كل خمسة سنوات ويتم عقد المجالس المئوية في ساحة الاله مارس، خارج مدينة روما حيث يحضر المواطنين الاجتماع متقلدين أسلحتهم وكان الأمر بالاجتماعات يوجه إلى المواطنين بالابواق ، ويترأس الاجتماعات حاكم يتمتع بالسلطان (الامبريوم)، ويتم توزيع المواطنين على الوحدات المئوية

بحسب اعمارهم (اي قابليتهم للقتال) وبموجب ثرواتهم (طاقتهم على تجهيز انفسهم).

كانت المجالس تضم (١٩٣) وحدة مئوية منها (١٨) وحدة مئوية من الفرسان و (٥) وحدات مئوية حيث ضمت اثنتان منها العمال ، واثنتان للموسيقيين وواحدة للفقراء المعدمين وقد وزعت الوحدات المئوية على الفئات الخمس على النحو الآتي:

ا- الفئة الاولى التي يملك افرادها مبلغ (١٠٠) الف آس (١٨) وحدة مئوية من الفرسان ينتمي إليها أعضاء مجلس الشيوخ وفئة الفرسان (٤٠) وحدة مئوية المشاة الشبان (اعمارهم ١٨-٤٦) ، و (٤٠) وحدة مئوية من العاقلين (٤٦سنة فما فوق).

ب-الفئات الثانية والثالثة والرابعة تضم (٦٠) وحدة مئوية بمعدل (٢٠) وحدة مئوية لكل فئة وهم من المشاة المسلحين باسلحة خفيفة.

جـ- الفئة الخامسة (٣٠) وحدة مئوية أفرادها من المشاة المسلحين سلاحا اخف من الفئة(ب).

وكانت كل وحدة تقدم (١٠٠) محارب وبذلك يكون عدد المشاه ١٧ الف والفرسان ١٨٠٠، وقد ظل هذا النظام معمولا به الى منتصف القرن الثالث ق. م.

كان المواطنون يعبرون عن رأيهم بالتصويت شفويا ثم تغير الوضع واصبح التصويت يتم بالاقتراع السري سنة ١٣٩ق.م وكان الاقتراح يتم على مرحلتين :

المرحلة الاولى : ويتم فيها التصويت داخل الوحدات المئوية.

المرحلة الثانية: تصوت الوحدات المئوية بمعدل صوت لكل وحدة ، ويكون مجموع الاصوات ١٩٣ صوتا وبذا يفوز الراي الذي يحصل على سبع وتسعين صوتا .

وعندما نرى توزيع الوحدات المئوية على الطبقات نرى الطبقة الاولى اختصت بِ (٩٨) صوتا مما يعطيها باستمرار اكثرية، وعندما كان التصويت يتم، كانت كل فئة تصوت وحدها ، فتصوت الفئة الاولى اولا ثم تليها الثانية وهكذا ، ولم يرض هذا النظام في التصويت الطبقة العامة التي اعترضت عليه ووصفته بانه مكرس لمنح الطبقات الثرية نفوذاً كاسحا في التصويت ولذا جرى في منتصف القرن الثالث ق.م اصلاح ينص على مزج النظام المئوي والنظام القبلي حيث منحت الطبقة الاولى ٧٠ مجموعة مئوية والفئة الثانية (٣٠) مجموعة مئوية وكانت واجبات المجالس المئوية هي:

ا) انتخاب حكام المناصب العليا (القناصل ، والبريتور والرقيب).

ب) اعلان الحرب والسلم ولكن كان يمارسه في الواقع مجلس الشيوخ.

جـ) تقوم بواجبات محكمة الاستئناف في الاحكام الجنائية التي يصدرها الحكام (حق العودة الى الشعب).

(٣)المجالس القبلية: Comitia Trbuta

كان سكان مدينة روما يتوزعون على ٣٥ قبيلةأوعشيرة Gentis سكنية منها (٤) قبائل مدنية و (٣١) قبيلة ريفية ، وكانت هذه الجمعيات جمعيات مخصصة لعامة الشعب يدعوها للاجتماع المحامون عن الشعب وكانت هذه الجمعيات تقرر الاستفتاءات التي تقيد افراد الطبقة العامة، ولذلك سميت المراسم إو مراسم عامة الشعب، ولكن في سنة ٢٤١ ق.م أقرت المساواة بين القانون والاستفتاء، وتجتمع هذه المجالس (المئوية والقبلية) برئاسة القاضي الذي يوجه الدعوات الى اعضائها، ويقرر القاضي (الحاكم) وحده جدول الاعمال ويوجه سير المناقشات .

وكانت المجالس القبلية تقوم بانتخاب حكام المستوى الثاني في الهرم الاداري الروماني كالمحامين والقسطور ، والخازن وتنظر في قضايا الاستئناف ماعدا عقوبة الاعدام ، واصبحت قرارتها مصدرا مهما للتشريع الروماني ، وقد راينا ان اكتافيوس قد استند إلى السلطات التريبونية في التجاوزات التي كان يقوم بها غن القوانين والاعراف الرومانية.

مجلس الشيوخ: Senatus

ويمثل المظهر الارستوقراطي في نظام الحكم الروماني ، ويشكل اقوى عنصر في الحياة السياسية الرومانية في عصر الجمهورية، وقد كان مجلس الشيوخ في العصر الملكي يتألف من رؤساء الاسر الكبيرة patres ، وكان عدد اعضائه اول الامر (١٠٠) ثم اصبح(٣٠٠) شيخا . الى مطلع القرن الاول ق. م كان يعينهم القناصل ، ثم اصبحت هذه المهمة من واجبات الرقيب الذي يضع كل خمسة سنوات قائمة باعضاء مجلس الشيوخ ، ويظل الشيخ في

١- زاد سولا عدده الى (٦٠٠) ثم زاد قيصر الى (٩٠٠) ، ثم خفض العددالى (٦٠٠).

منصبه مدى الحياة وقد يقوم الرقيب بحذف اسماء بعض الشيوخ لاعتبارات اخلاقية ولكن هذة الحالة كانت نادرة الحدوث ، ويبدأ الرقباء عادة في اثناء اعدادهم لائحة المجلس بتسجيل اسماء الحكام السابقين اولا ثم يدرجون غيرهم وقد زاد يوليوس قيصر عدد أعضاء مجلس الشيوخ وأضاف إليه أعضاء من الشعوب الجديدة التي نالت حق المواطنة الرومانية.

يجتمع مجلس الشيوخ بناء على دعوة احد الحكام أو عدة حكام اذا كانوا مشتركين بالحكم كالقناصل والحكام العدليين ، ويعقد جلساته عادة في قاعة Curia Hostilla او في معبد الاله جوبيتر، ويترأس اجتماعاته الحاكم او الحكام الذين دعوه للاجتماع ، وتبقى ابواب قاعة الاجتماع مفتوحة ويستطيع العضو فيه اذا أعطي الحق في الكلام ان يتكلم ساعات طويلة وان يقترح مواضيع جديدة للاجتماع المقبل ويكون الاجتماع قانونيا اذا حضره (٤٠٠) عضو، ويحدد الرئيس موضوع البحث ثم يطلب الى الأعضاء التكلم فيتكلمون حسب منزلتهم، وكانت المدة المسموح بها للعضو محدودة ، الاانه كان من المألوف تجاوزها ، ويتم التصويت عن طريق انقسام المجلس الى قسمين، واذا حصل شك في التصويت يجري العد مرتين عند تغيير اماكن الجلوس للنصفين ، ويطلق على التصويت إذا جرى بطريقة صحيحة اسم المشورة التي يقوم بصياغتها مجموعة من الشيوخ يختارهم الرئيس وتتم الموافقة عليه، أما إذا تم نقضه من قبل احد المتمتعين بحق النقض(الفيتو) فيطلق عليه اسم التعبير عن الرأي .

اما النواحي التي كان مجلس الشيوخ يمارس سلطاته فيها فهي:

١–الميادين التشريعية.

٢–النواحيالمالية.

٣–ادارة الاقاليم .

٤–السياسة الخارجية بما في ذلك حق استقبال السفراء الاجانب وارسال السفراء إلى الخارج، وإعلان الحرب والسلم رغم أنها من صلاحيات المجلس المئوي، إلا أن اقتراح مجلس الشيوخ كان يلقى الموافقة في الغالب.

٥–الديانة حيث كان رجال الدين يزاولون اعمالهم باشراف مجلس الشيوخ وكان المجلس يمارس السلطة في جميع القضايا الدينية ولاسيما عبادة آلهة جديدة واتباع طقوس تجنب

٦–كان للمجلس حق ابقاء الحاكم في منصبه.

٧-كان للمجلس حق اعفاء الافراد من اجراءات قانونية.

٨-للمجلس حق منح القنصل سلطات دكتاتورية.

٩-للمجلس حق منح او رفض تنظيم موكب نصر للقائد المنتصر.

١٠-المجلس هو الذي يحدد عدد الجيوش ، والاساطيل، والاموال اللازمة لتجهيز هذه الجيوش والاساطيل.

نظام الحكم الروماني في العهد الامبراطوري

ادى انهيار الجمهورية على يد قادة الجيش مثل سلا وماريوس وبومبيوس وقيصر الى قيام نوع جديد من الحكم يقوم على حكومة ثلاثية سنة ٦٠ق.م (قيصر -بومبيوس- كراسوس)، ثم ونتيجة للتنافس والصراعات بين القناصل الثلاثة استطاع قيصر الانفراد بالحكم، ولكن اعضاء مجلس الشيوخ الذين هالهم تسرب السلطة من ايديهم قاموا بقتله، ولكن ذلك لم يؤد الى استعادة المجلس لسلطته رغم انه دخل في حرب مع اتباع قيصر لتحقيق ذلك، حيث تشكلت حكومة ثلاثية ثانية سنة ٤٣ق.م (اكتافيوس-انطونيوس- ليبيدوس)، ثم انفرد اكتافيوس بالحكم وانشأ النظام الامبراطوري سنة ٣٠ ق.م.

حافظ النظام الامبراطوري على بقاء معظم المؤسسات والمجالس التي كانت قائمة في العهد الجمهوري مع تغيير في مهماتها وصلاحياتها بالاضافة الى استحداث مؤسسات ومناصب جديدة، فقد ابقى الامبراطور اوكتافيوس على منصبي القنصلين ونقيبي العامة ومجلس الشيوخ ومجلس القبائل (الوحدات)رغم انه جمع في يده كل السلطات.

وقد ادخل الاباطرة الى نظام الحكم الامبراطوري مبدأ الوراثة الذي اقتبسوه عن مصر وبلاد الفرس. ولكنهم لم يضعوا نظاما ثابتا لوراثة العرش مما جعل قضية وراثة العرش سببا في المشاكل والخلافات في المستقبل وخاصة بعد ان اصبح تدخل الجيش لمصلحة تولي قائده المنصب الامبراطوري شائعا ومألوفا، (عام الاباطرة الاربعة) وقد حاول بعض الاباطرة حل مشكلة تدخل الجيش في السلطة فقاموا بحل فرقة الحرس الامبراطوري الرومانية وشكلوا فرقة جديدة من عناصر اجنبية ولكن دون جدوى.

وعندما وصل الامبراطور دقلديانوس الى الحكم(٢٨٤-٣٠٥م)، حاول حل مشكلات وراثة العرش، وضعف الجهاز الاداري وفصل السلطة العسكرية عن السلطة الادارية فوضع نظام الحكم الرباعي الذي يحكم بموجبه الامبراطورية اربعة حكام (اثنان يحملان لقب اغسطس) واثنان يحملان لقب قيصر، حيث قسم الامبراطورية الى قسمين شرقي، وغربي يقوم بحكم كل منهما اغسطس ويساعد كل منهما قيصر، يحل محل الاغسطس عندما يموت او ينسحب من الحياة السياسية ويعين لنفسه قيصرا يساعده، وأكمل قسطنطين

الكبير اصلاحات دقلديانوس ونقل العاصمة الى القسطنطينية على ضفاف البسفور، واعترف بالديانة المسيحية التي منحته السلطة الالهية ولم يعد عند ذلك لمجلس الشيوخ ايةأهمية، وأدى نقل العاصمة إلى القسطنطينية إلى التمهيد لانقسام الامبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقي وعاصمته القسطنطينية وغربي عاصمته روما، واصبحت الامبراطورية الشرقية اساسا للامبراطورية البيزنطية فيما بعد .

القوانين الرومانية

لم يكن الفقه الروماني في العهد الملكي مدونا بل يعتمد على الاعراف والتقاليد والاساطير الدينية وبعض المراسيم والتشريعات الملكية، وكان القضاة في الغالب من رجال الدين الذين كانوا يفسرون الاعراف والتقاليد حسب اهوائهم ومصالح طبقة النبلاء بشكل خاص، فأخذ العامة الذين اضرت بهم احكام النبلاء يناضلون من اجل الحصول على حقوقهم وفي مقدمتها ضرورة وجود قانون مكتوب يمكن الرجوع اليه، فاستطاعوا بموجب اتفاق الجبل المقدس اجبار الكهنه والنبلاء والقضاة الذين يمثلونهم على تدوين القانون في الألواح الاثني عشر وتعليقها في الفوروم ليطلع عليها الجميع وليعرف الجميع بموجب اي قانون يحاكمون، ولم يكونوا مهتمين بالمحتوى بقدر اهتمامهم وتمسكهم بضرورة وجودقانون مكتوب ولو كان مجرد تسجيل للاعراف والتقاليد والاحكام التي اصدرها قضاة سابقون.

ولكن هذه القوانين لم تستطع مسايرة التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولذا جرى تعديلها منذ اواسط القرن الثاني ق.م. وامتد ذلك الى ٣٠٥م وسميت هذه الفترة العصر المدرسي للفقه الروماني [1] لتعدد مصادر التشريع وتطور احكامه واتساع هذه الاحكام وشمولها مدى واسعا من جوانب الحياة الرومانية، كما ظهر فيها بعض المشرعين الكبار مثل بابنيانوس، اولبيانوس وبولس.

كانت اهم مصادرالتشريع الروماني: القوانين التي أصدرتها المجالس المختصة، ومراسم مجلس الشيوخ، والاوامر الامبراطورية، واحكام القضاة واجتهادات وفتاوى الفقهاء

١- فرح، نعيم (١٩٨٩) التاريخ القديم ومالهله، جامعة دمشق ص ٣٥٢.

القانونيين، والفقه اليوناني والقانون المصري ويعتبر الفقه القانوني الروماني من القوانين التي تتميز بالرقي والكمال الى حد كبير والتي وصلتنا من العصور القديمة سواء في الشكل ام في المضمون توضع. ومن اهم مميزات الفقه القانوني الروماني:

اعتماده على العقل، الأخذ بمبدأ روح القانون لا بنصّه، انه كان مرآة انعكست عليها التطورات الاقتصادية والفكرية والاجتماعية والسياسية.

كانت السلطة القضائية اي سلطة تطبيق القانون بيد جميع الحكام وخاصة في الامور التي تخص وظائفهم، ولكن اكثر القضايا المدنية كانت من اختصاص احد الحكام ممن هم في درجة بريتور (أي قاضي مدني) للقضايا التي تقع بين المواطنين الرومان والقاضي المتجول للقضايا التي تقع بين الرومان والاجانب.

اما اساليب المحاكمات، فكانت تتم بطريقتين[1]:

أ) الأسلوب القانوني.

ب) التعليمات.

وبالطريقة الاولى يفترض في المشتكي أن يثير قضيته استنادا الى صيغة قانونية ضمن النص الحرفي للوحات الاثني عشرة وبعد ان يتاكد البريتور (القاضي الاعلى) من قانونيتها يرسلها الى احد الحكام للنظر فيها، وكان هذا الاسلوب صعب التطبيق، مما دفعهم الى الاستعاضة عنه بالاسلوب الثاني، الذي يتكون من جزأين :

الأول: يقوم فيه المدعي بطلب المُدّعى عليه ويتفقان على موعد المحاكمة حيث يحضران أمام القاضي الذي يستمع الى بياناتهما ثم يقوم بتعيين حاكم وتثبيت القضية المعروضة عليه، ويزوده بارشادات فيما يخص الغرامة ويتفوه بثلاث جمل رسمية هي اوافق على المحاكمة Do Iudicium اعلن عن القانون Dicoius . اعلن عن الدعوى† Adico litem (خاصة بالقاضي عندما يشرف بنفسه على المحاكمة).

الثاني : تجري فيه المحاكمة الفعلية امام الحاكم بالشهادة المدعومة بالقسم ويستطيع المدّعى عليه الدفاع عن نفسه، واذا خسر القضية يمهل (٣٠) يوما لدفع الغرامة، ويستطيع

٢- بقري، مرجع سابق، ص ١٦٧.

المدعي ان ينيب عنه وكيلا في هذا النوع من المحاكمة وان يستعين بمحامين محترفين للدفاع عنه، اما في الاسلوب القانوني فعليه حضور القضية بنفسه، اما القضايا الجنائية فقد كان الانتقام الشخصي متبعاً ولذوي القتيل الحق في رفع قضايا جنائية فقد كان يتولاها القاضي، اما الجرائم السياسية فكانت من اختصاص المجالس المئوية أو المجلس القبلي وكان القنصل الذي يترأس جلساتها يقترح العقوبة.

وقد عرف النظام الروماني الاستئناف الذي كان بالدرجة الاولى لحماية المواطن من القبض عليه او معاقبته بشكل تعسفي استبدادي، وقد قام الدكتاتورسولا بتنظيم اسلوب القضاء والمحاكمات ووضع لها نظاما جديدا، وابرز مافيه انشاء المحاكم الدائمة، وقد انشأت اول محكمة دائمة عام ١٤٩ ق.م وتتكون من محلفين من اعضاء مجلس الشيوخ ويترأسها أحد الحكام الذين لهم سلطان امبريوم وخصصت لمحاكمة حكام الاقاليم المتهمين بالابتزاز والرشوه، ثم قام سولا بانشاء سبعة محاكم كان قضاتها (بريتور) أو رقباء ومحلفيها من التجار، او اعضاء مجلس الشيوخ ثم اصبحوا يعينون بالتساوي من التجار وأعضاء مجلس الشيوخ وكان إسلوبها في المحاكمة يشابه الى حد كبير ما يجري في محاكمنا الحديثه.

الجيش الروماني

العهد الملكي : كان الجيش يتكون اولا من فيلق†Legio تعداده (٣٠٠٠) رجل مقسمين الى ثلاث وحدات كل منها (١٠٠٠) رجل يقودها ضابط خاص، يلحق بها وحدة من الفرسان مقسمة الى عشرة سرايا كل منه (٣٠٠) رجل وكل سرية مقسمة الى ٣ وحدات كل منها عشرة افراد. وكان الجيش في هذا العهد يتكون من النبلاء وعندما قام سيرفيوس توللوس باصلاحاته قرر انه يتوجب على كل مواطن ان يخدم في صنف ملائم. لممتلكاته، فكان الاغنياء يخدمون في وحدات الفرسان وتزودهم الدولة بالخيل، اما افراد الفئة الثانية فيخدمون في المشاه الثقيلة بكامل عدتهم الحربية التي كانت تتألف من الخوذه والدرع وغطاء الرأس والترس الدائري والرمح ويخف تسليح المشاه بانخفاض درجة غناهم. وكانت المشاه تتكون من اربع وحدات اثنتان منها من الذين اعمارهم بين (١٧-٤٥) واثنتان ممن

اعمارهم بين (٤٦– ٦٠).

اما تنظيم الجيش فكان يقوم على نظام الصفوف حيث ينتظم في (٦)صفوف عدد كل منها (٥٠٠) رجل، والثاني (١٢٠٠) رجل والثالث (٦٠٠)، ينتظم الشباب في المقدمة والاكثر خبره في الخلف وكانت مقدمة الجيش من الشباب الاكثر فقراً، ثم قام ماريوس بادخال تنظيمات جديدة على الجيش الروماني ظلت سائدة في العهود التالية، فبموجب هذه الاصلاحات كانت المواطنة هي الشرط للانخراط في الحي. واستبدل الطريقة القديمة.في تجنيد المواطنين لمعركة واحدة وحل محلها التجنيد الاختياري الذي يستمر طيلة خدمة القائد، اما ترتيب الوحدة العسكرية فقد تغيرترتيبها وتسليحها فقد اختفى نظام الصفوف واستبدل بنظام الكوهورت Cohort التي تنقسم إلى ثلاثة اجزاء، وكل جزء يتكون من كتيبتين كتيبة مقدمة ، وكتيبة مؤخرة ولكل وحدة راية خاصة بها هي صقر فضي Aquilla.

وكان الجنود يحملون الاسلحة ذاتها، ويتم التجنيد بطريقة القرعة كل سنة لتكوين(٤) فيالق من القبائل الرومانية الاربعة، وبعد اتمام عملية التجنيد يُقْسِم الجنود القَسَمْ العسكري الذي يعتبر ملزما لمدة الخدمة العسكرية. ثم اصبح القَسم في العهد الامبراطوري هو يمين الولاء للامبراطور ويقسمه الجنود مرتان في السنة، ثم اخذ الرومان بعد ذلك جنودا من الامم الحليفة او المنطوية تحت سلطة الدولة الرومانية التي تمتعت بحق المواطنه، كما جندوا جندا مرتزقه اسموها الجنود المساعدة.

كان قائد الجيش في العهد الملكي هو الملك اما في العهد الجمهوري فكان القنصل او الدكتاتور او نائب القنصل من رتبه بريتور، اما في العهد الامبراطوري فكان القائد هو الامبراطور الذي يستطيع ان يعين قادَة نُوابًا عنه لكل فيلق من فيالق الجيش ويليهم قادة الكوهورت ويليهم ضباط مشاة Centurion والاقدمية في الخدمة الحربية هي المؤهل للمرتبه القيادية للضباط.

اما ملابس الجنود فكانت درعا من الجلد Lorica، وقد يرصع بصفائح معدنية لتقويته ويلبس تحته رداء من الصوف يدعى Tunic يصل حتى الركبة، كما يلبس حذاء في اسفله مسامير ويثبت بأشرطة. اما القائد فيلبس رداءاً ارجوانيا طويلا، كما يلبس الجنود دروعا تتكون من خوذة جلدية على الرأس، ثم اصبحت من المعدن، ويحمل ترسا من الجلد

والمعدن ويلبس درعا اسطواني الشكل يغطي الجسم، وقد ادخل الرومان نظام الاجور الى جيوشهم ليحصلوا على أعداد كافية من المجندين.

وقد اتقن الرومان فن محاصرة قلاع الاعداء ومدنهم الحصينة، واستخدموا آلات حربية متنوعة كآلات الدك وصنارات الحصار لاقتلاع احجار الاسوار، وآلات الرمي (المجانيق والعرادة والعقرب).

كما ضم الرومان إلى جيوشهم الاساطيل، وذلك بعد الحرب البونية الاولى، ومنذ ذلك الوقت اصبح الاسطول جزءا اساسيا من اداة الحرب الرومانية، وقد اخذوا تصاميم سفنهم من القرطاجيين واضافوا اليها السلالم التي يلقونها على سفن الاعداء. اما طواقم سفنهم فكانوا من غير الرومان، وهم الذين يخدمون في الاسطول لمدة (٢٠) سنة ويسرحون بعدها ويعطون حق المواطنه الرومانية.

الحياة الاجتماعية :

الاسرة : كانت الاسرة عماد المجتمع الروماني والتي تضم الاب والام واطفالهما وخدمهما، وكان الاب رئيس الاسرة وصاحب السلطة المطلقه على جميع افرادها، فهو المالك الوحيد لكل ممتلكات الاسرة ، ولا يملك الابن او العبد شيئا الا اذا اراد له والده ذلك، وقد وصلت سلطة الاب الى حد الحكم بالموت على زوجته او اولاده ولكن القانون الروماني تدخل وحدّ من هذه السلطة المطلقة.

كانت المرأة الرومانية خاضعة لسلطة رجل فهي تحت الوصاية الدائمة للرجل الاب او الاخ او الزوج او اقرب الاقارب لها، وكان هدف هذه الوصاية المشددة هو منع المراة من التصرف باملاك الاسرة كيفما تشاء. ولكن المرآة الرومانية كانت تملك الحرية في تسيير امور بيتها فهي سيدة الاسرة المكرمة وتقوم باعمالها في الغرفة الرئيسة في البيت، وتخرج من البيت وتحضر الاحتفالات الدينيه والولائم، وقد ظهر في اواخر العصر الجمهوري بعض الانحلال الخلقي بشكل خيانات زوجية وهذا دعا اكتافيوس إلى التشدد بمعاقبه الزنا والعلاقات غير الشرعية بين الرجال والنساء ويتشدد في مقاومة ظاهرة العزوبية التي انتشرت في المجتمع الروماني.

الزواج : كانت الدولة الرومانية تشجع الزواج كما رأينا ، فقد شجعت الامبراطورية ذلك عن طريق تقديم امتيازات خاصة للأب الذي ينجب ثلاثة أطفال فاكثر. والزواج الروماني على عدة انواع ويتم باساليب متنوعة ، فهناك نوع من الزواج تنتقل فيه الزوجة الى سيطرة الزوج المطلقة ، وفي بعضها الآخر لا يتم ذلك ، ويتم الزواج باحدى الطرق التالية :

الاولى – الزواج الديني ويقتصر على النبلاء.

الثانية – ويقتصر على الطبقة العامة وتباع فيه المرأة باسلوب رمزي بحضور حامل الميزان وخمسة شهود.

الثالثة – وفيه تقضي الزوجة سنة مع زوجها ولا تغيب عن بيته اكثر من ثلاث ليال طيلة هذه السنة (١).

وايا كان نوع الزواج فانها تشترك بالصفات والاعمال الاتيه :

١- الخطبة : وفيها يقدم الرجل للمرأة عهدا بالزواج على شكل خاتم.

٢- مراسيم الزواج الحقيقية وتكون باستشارة الفال والعرافين وتوقيع عقد الزواج، ولباس ملابس خاصة بالعروس، وغطاء للوجه له لون الشعلة، ويرتب شعرها على ستة خصل تثبت بمشط على شكل سهم، وتصحب العروس وصيفة من صديقاتها، وبعد الصلاة، وتقديم الذبيحة تنتهي مراسيم الزواج بتمنيات الضيوف الطيبة للعروس والعريس ثم تقام وليمة في بيت والد العروس.

٣- ثم تنتقل العروس من بيت ابيها إلى بيت زوجها في موكب يتقدمه حملة الاعلام والمشاعل والمغنون ويصحبه عدد كبير من الناس، وفي الليلة التالية تقام وليمة في بيت العريس.

تربية الابناء : يهتم الاب بالعناية باطفاله رغم ان ذلك ليس من مهماته، ويرمز إلى ذلك قيامه برفع ابنه من الارض الى الأعلى، ويُعطي الطفل اسمه في اليوم التاسع لميلاده حينما يطهر وتوضع في عنقه تميمة ذهبية ان كان من الاغنياء وجلدية للفقراء، ويظل يحملها الى ان يبلغ مبلغ الرجال، وهناك مؤشرات تشير الى ان الرومان كانوا يتركون اولادهم المشوهين

١- يحيى، مرجع سابق، ص ٨٥.

في العزاء عند ولادتهم.

وتتم تربية الأبناء في البيت اولاً على يد الامهات، ويقوم الوالدان بتزويدهم بالنصائح والارشادات وحثهم على التمسك بالفضائل الرومانية الاساسية كالاقتصاد، والجد، واحترام التقاليد. وعند بلوغهم السابعة ينتقلون الى المدارس التي تاثرت الى حد كبير في تنظيمها ومضمونها واساليبها بالمدارس الاغريقية وانقسمت الى ثلاثة مراحل هي :

١-المدرسة الابتدائية : ويعلم فيها الاطفال القراءة والكتابة والحساب.

٢-المدرسة النحوية : ويدرس فيها الطفل الشعر، وخاصة الياذة هوميروس ثم قصائد الشعراء الرومان ايضا.

٣-مدرسة البلاغة : ويتمرن فيها المتعلمون على الخطابة وكتابة الانشاء.

وفي العهد الامبراطوري زاد الاهتمام بالمرحلة الثالثة كثيراً واخذ الطلاب يسافرون الى اثينا لزيادة ورفع مستوى تعليمهم ، وكانت المدرسة تعطل مرتين في السنة الاولى في كانون الاول والثانية في اعياد منيرفا (١٩-٢٥ اذار)، وكان النظام في المدرسة الرومانية جافاً والعصا سيدة وسائل التاديب.

اما بيوت الرومان فكانت في الاصل مكونة من غرفة واحدة مستطيلة الشكل تسمى اتريومAtrium ينحني سقفها نحو فتحة جانبيه حيث يوجد بئر لجمع الماء، كان الرومان يستخدمون هذه الغرفة للجلوس والمعيشة ثم الحقوا بها غرفة أخرى للاستقبال وغرفا لخزن المؤن ، وللنوم، وغرفة صغيرة لوضع تماثيل الاجداد، ويصلها بالشارع ممر يغلق بباب ذي مصراعين، وتقوم على جانبي هذا الممر ، دكاكين تؤجر للتجار ويقع وراء هذه الغرف جميعا حديقة داخلية لها باب يؤدي إلى الشارع وتقع على جانبها الأعمدة وبيوت الاغنياء وحديقه ثانية.

وكانت وجبات الطعام تقدم في غرفة الجلوس او الاستقبال ثم بنيت غرفة خاصة للطعام، وبالاضافه الى هذا النوع من البيوت الخاصة كان هناك عمارات كبيرة من عدة طوابق ، وقصور ريفية يملكها الاغنياء تتميز بالسعة وتحتفظ بخصائص البيت الروماني التقليدي.

اما ملابس الرومان فكانت تختلف بين الرجال والنساء فكان الرجل يلبس رداء

يسمى التوجا Toga هو قطعة كبيرة من القماش مصنوعة من الصوف الابيض على هيئة شبه دائرة طولها حوالي ١٨ قدم وسعتها ٧ اقدام يلبسها بعد طيها عدة طيات مرتبة ابتداء من كتفه الايسر ثم الى الظهر فالجانب الايمن، ويلبس تحتها نوعا من القميص يصل الى ما تحت الركبة بقليل، اما الاغنياء فرداء التوجا الخاص بهم ينتهي باطراف ارجوانية، كما يلبس الرجل ايضا رداء خاصاً للمطر هو باينولا Paenola، ورداء لاكيرنا Lacerna المفتوح الذي يثبت على الكتف الايمن بدبوس او مشبك خاص.

اما المرأة فترتدي رداء الستولا Stola ، وهو ثوب طويل يصل الى القدم بكمين قصيرين، ويربط بزنار حول الخصر، وتحته ترتدي رداء يسمى بالا pala مصنوع من الصوف اما البنات والنساء الاجنبيات فيرتدين ثوب التونيك Tunic وفوقه البالا.

ولا يلبس الرومان شيئا على رؤوسهم إلا في بعض حالات التعرض لأشعة الشمس او المناخ القاسي حيث يضعون قبعة صوفية او غطاء خاصا للرأس، اما احذيتهم فهي الجزمات الثقيلة للجنود، او الاحذية الحمراء التي يلبسها النبلاء الحكام، وحذاء الكاكي الذي يغطي كامل القدم، والصندل الذي يلبس في المنزل.

وسائل التسلية :

يمكن تقسيم وسائل واساليب التسلية عند الرومان الى قسمين :

أ - وسائل التسلية العامة.

ب - وسائل التسلية الخاصة.

الوسائل العامة :

كانت التسلية في العهد الجمهوري جزءا من الاحتفالات الدينية العامة مثل الالعاب الرومانية في عيد الاله جوبيتر، والاله ابوللو وعيد ام الآلهه، وكانت هذه الاعياد تشغل ما لا يقل عن ٦٧ يوما في السنة.

التسليات الخاصة :

وهي التي ينظمها بعض المواطنين وتضم عرض المسرحيات، والعاب السيرك كسباق العربات، والعاب المصارعة بين البشر ، ومصارعة الحيوانات، والعاب النرد.

الحياة الدينيه الرومانية

سبق واشرنا عند الحديث عن الديانة الرومانية في العهد الملكي، الى أنها كانت تقوم في أساسها على الفكرة البدائية التي تؤمن بوجود بعض القوى الخفية، التي تتحكم بحياة البشر اليومية في ادق تفاصيلها، ثم بدأوا يطلقون عليها اسماء ملائمة تشير الى المجال الذي تمارس فيها نفوذها مثل اله الزرع، واله الغابات واله الجنود، وينبغي على الناس إرضاء هذه القوى لكي يتجنب المرء شرها، ولكنهم لم يجسدوها بشخصيات معينة محددة مثل الغريق وتركوها غامضة، الأمر الذي جعل ديانتهم جافة شكلية تفتقر الى العناصر الخلقية والروحية التي تتضمنها كلمة الدين.

الالهة الرومانية :

آلهة الرومان عديدة أهمها جوبيتر، إله السماء الصافية وكان يعبد باسماء عديدة تتنوع باختلاف الطرق التي عبد بها هذا الاله والتي يظهر بها قوته فهو (جوبيتر الضارب) تارة، حيث يقوم القائد الروماني المنتصر الذي قتل قائد العدو في المعركة بتقديم القرابين له، وهو جوبيتر ستيتور Stator اي اله الصمود في المعركة الذي يمنح الدولة وجيوشها الصمود في وجه الاعداء، وقد اقيم له معبد كبير في الكابيتول يعتبر مركز الديانة القومية عند الرومان.

وهناك الالهه فيستا آلهة الموقد والبيت وقد أشرنا إليها وإلى كاهناتهاسابقا.

ومن الآلهة الاخرى الاله مارس إله النمو والرجولة والقوة الخلاقة، والذي يبدو اثره في الحرب، والذي أقيم له معبد خارج روما يُفتح في حالة الحرب ويُغلق في حالة السلم وتجتمع في ساحته المجالس المئويه.

والاله ساتورنوس اله الزرع أحد أقدم الالهة عند الرومان الذي علّم السكان الزراعة، ويعتقد بان اصله يوناني جاء الى سهل اللاتيوم واختفى فيه بعد صراعه مع زيوس كبير آلهة اليونان والالهة سيرس Ceris الهة الخصوبة والمحاصيل الزراعية وهناك آلهة اخرى مثل باليس Pales وفرنوس حاميا القطعان، ومنيرفا آلهة الحكمة، وجونو آلهة السماء،

وفينوس الهه الحب والجمال، وديانا إلهة القمر ونبتون إله المياه.

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ظاهرة تميز بها الرومان وهي تسامحهم مع الآلهة الأجنبية والسماح باقامة المعابد لها في روما كايزيس واوزيريس المصريين، وقد اشرنا الى طقوس العبادة والتي يشرف عليها في العادة رب الاسرة وتمارس في البيوت.

ومنْ العبادات التي انتشرت عند الرومان عبادة الاباطرة، وقد بدأ ذلك من القرن الاول ق.م وخاصة في عهد اوغسطس وتيبريوس، وكانت هذه العبادة تتم في الولايات الامبراطورية وليس في روما نفسها في أثناء حياة الامبراطور، أما في روما فلا يؤلّه الامبراطور الا بعد موته، ولم يكن التأليه لجميع الاباطرة، ومن أهم الأباطرة الذين أُلهوا من قبل مجلس الشيوخ اكتافيوس وفسبازيان وتراجان وهادريان وانطونيوس وماركوس اوريليوس. وعندما كان الامبراطور يؤله كانت تقام له المعابد ويشرف على طقوس العبادة فيها كهنه ينتمون الى اسر الاباطرة انفسهم او الى الاسر الارستوقراطية المهمة.

المعابد والكهنه :

كانت المعابد الرومانية في باديء الامر بسيطة تتكون من غرفة واحدة فيها صورة الاله وأمامها (اي امام الصورة) هيكل و مذبح تمارس أمامه العبادة، ثم اصبح الرومان يعنون ببناء معابد كبيرة ضخمه استخدمت للعبادة وللاغراض المدنية.

اما الكهنة فلا يؤلفون طبقة خاصة متميزه عن غيرهم من الطبقات الاجتماعية، ولا تتطلب وظيفتهم إعداداً خاصا او تمرينا وممارسة، حيث كانت المناصب الدينية تشغل من قبل اشخاص اظهروا تميزاً كرجال دولة او قادة جيش، وهو دليل قوي على مدى ارتباط الدين بالدولة.

ويمكن تمييز طبقتين من رجال الدين :

أ- رجال دين يكلفون بالاشراف على ديانة الدولة.

ب- كهنة الآلهة.

أ- طبقة رجال الدين الرسميين وتضم مجموعتين :-كبار رجال الدين والعرافين، وتشرف على التقويم السنوي، ويبلغ عددهم خمسة كهنة يرأسهم الكاهن الاعظم الذي يعتبر الزعيم

الديني الاعلى للدولة، اما العرافون فعملهم هو معرفة مشيئة الآلهة في اي عمل تريد الدولة القيام به، ووسيلتهم في ذلك الفال ومراقبة حركات الطيور أو اصواتها طبقا لقوانين ثابتة معروفة لديهم وهناك طائفة قريبة من العرافين وهم متنبئي اتروريا الذين كانوا يفحصون احشاء القرابين التي تقدم للآلهة وتفسر معنى البرق.

ب- كهنة الالهة فاهمهم الكنهه الثلاثة آلذين يوقدون شعلة جوبيتر ومارس وكويريتوس واخوة ارفلليس الاثنا عشر، وكانوا يقدمون الترانيم إلى مارس والى آلهة البذر وقت الزراعة وكنهة مارس وعذارى فيستا اللواتي كان واجبهن العناية بالنار الازلية المتقدة في معبد فيستا اقدم معابد روما.

اما طقوس العبادة فكانت تتألف من طقسين متلازمين هي الصلاة والذبيحة، فبعد ان يرش على الضحيه الخمر وتنثر عليها فتات الكعكة المقدسة، يقوم مساعد الكاهن بذبحها ثم تفحص الاحشاء فحصا دقيقا وخاصة الكبد فإذا وجدها بشير للخير وضعت على المذبح واكل ما تبقى من الحيوان، ويقوم الكاهن بتلاوة نوع من الصلاة بصوت منخفض وقد غطى رأسه، ويقوم آخر بنفخ المزمار ليطغى صوته على اصوات الشر بينما يقف السامعون صامتين. ومن شروط هذه الطقوس ممارستها بدقة والا فان اي خطأ كفيل بإعادة الصلاة من جديد وتقديم ذبيحة جديدة ككفارة.

الحياة الفنية والعمران

لم يهتم الرومان بادىء امرهم بالفن بل كانوا أميل الى الواقعية، ولكن تدفق الثروة على روما نتيجة للتوسع الاستعماري في افريقيا واوروبا والشرق أدى الى رواج السلع الفنية، وتحول الرومان الى اقتنائها، ولكنهم ظلوا يترفعون عن الاشتغال بالفن ويحتقرون الى حد كبير مبدعيه، واوضح مثال على ذلك قول سينيكا المفكرالسياسي الروماني « إنا وان كنا نعبد التماثيل الا اننا نحتقر صانعيها » ولذلك يضعونهم مع الخدم، ومن هنا نستطيع القول بان الرومان كانوا عالة على الامم الاخرى في حياتهم الفنية، ولا سيما اليونان او فناني الشرق، وغدا طابع الحياة الفنية في روما يقوم على المزج بين مختلف الفنون، ويصف ديورانت ذلك بقوله « لقد اصابت الفن الروماني القوي الاصيل الذي اعان على

نحت الصور على القبور التوسكانيه سنة من النوم بين فتح بلاد اليونان وافتتان نيرون بفنونها، ولكنه في آخر الامر حطم القالب اليوناني الصبغة واحدث في الفن القديم انقلابا كاملا بما ادخله فيه من النحت الواقعي، والتصوير التأثري، وهندسة العقود والقباب واضحت روما بفضل هذه الخصائص، وبفضل جمالها المستعار العاصمة الفنية للعالم الغربي" [1]

واهم جوانب الحياة الفنية عند الرومان :

أ-النحت : كان اهم ما تفوق فيه الرومان النقوش البارزة على الجدران والاعمدة ويستخدمون هذه النقوش كزخارف وزينة، ومن امثلتها الواضحة : نقوش عمود تراجان الذي ينسب صنعه الى المهندس السوري أبولو دور، وزخارف الصلصال المحروق على جدران المعابد، ثم اتجه فنانو روما الى نحت الحجر وصناعة شواهد القبور والمذابح وقد تجلى في نحتهم رقة الشعور ودقة العمل، وروعة الشكل ومراعاته للتشكيل والمنظور مما جعل منتجاتهم آية في الروعة قل ان وجد مثيل لها عند غيرهم، ولعل اروع ما نحته الفنان الروماني مذبح السلم الذي اقامه مجلس الشيوخ عام ١٣ ق.م بمناسبة عودة اغسطس منتصرا من اسبانيا، ويقع في ساحة الاله مارس، وقد اقيم حوله سور من المرمر المنقوش بقي منه حتى الآن قطع شاهدة عليه وعلى ما بلغه من اتقان وروعة جمال، فترى عليه نقشا يمثل الآلهة الام تللسTellus وبين ذراعيها طفلان والى جانبها ينمو الحب والزهر، وعند قدميها ترقد جيوانات وادعة راضية [2].

ومن روائع فن النحت الروماني ايضا النقوش الموجودة على اقواس النصر التي كانت تقام تخليدا لانتصارات القادة العظام والاباطرة واجملها جميعا قوس الامبراطور تيتوس. وقد خلد قمع ثورة اليهود الكبرى في النصف الثاني من القرن الاول الميلادي ودخول

١- حاطوم، موجز تاريخ الحضارة، مرجع سابق، ص ٦٦٣.

٢- حاطوم، موجز تاريخ الحضارة ، مرجع سابق، ص ٦٦٤.

القوات الرومانية القدس ومناظر احتراقها ونهب ثرواتها ثم عودة تيتوس الى روما. واهم ما تميز به النحت الروماني واقعيته الشديدة، ومن الشواهد على دقة وروعة النحت الروماني وواقعيته تمثال رأس قيصر المصنوع من حجر البازلت، وتمثال بومبي النصفي وتماثيل اغسطس، التي عثر على اكثر من مائة تمثال منها اشهرها ثلاثة، تمثال اغسطس الغلام، وتمثال اغسطس الثلاثيني العمر، ويلاحظ عليه قوة العزيمة وصدقها، وتمثال أغسطس المقاتل الذي يبرز مهارة الفنان ودقته وتمثيله للواقع صادقا كل الصدق، وفي الفترة ما بين (٤١-٦٨م) ابتعد الفن الروماني قليلا عن واقعيته وخاصة في تمثالي الامبراطورين كلوديوس ونيرون ولكنه عاد الى واقعيته من جديد، وقد اشتهر الفنانون الرومان بصنع تماثيل الاطفال من اشهرها تمثال« الغلام» وتمثال الطفلة البريئة.

التصوير :

انتشر التصوير في روما اكثر من النحت، فقد كانت التصاوير منتشرة في الهياكل والبيوت والأروقة ذات الاعمدة والساحات العامة، ويعتبر فن التصوير احد فنون الرومان الاصليه التي برعوا فيها منذ فجر تاريخهم ورغم ذلك نلاحظ طغيان فن التصوير اليوناني على انتاج الرومان، وقد ازدهرت صناعة تصوير الاشخاص من قبل مصورين محترفين ينتشرون على قارعة الطرق يصورون على قطع من الخشب، وقد شاركت مختلف طبقات الشعب الروماني بهذا الفن بطارقة، نبلاء وعامة وعبيد، ومن اشهر مصوري الرومان فابيوس بكتور، والنبيل كونتس بديوس، والمصور الشهير امليوس الذي صور الامبراطور نيرون ، ومن اهم واثمن الصور التي عثر عليها في روما صورة لميديا وتمثل امرأة ترتدي ثيابا فاخرة وهي مطرقه تفكر في مصرع اولادها ويعتقد انها من صنع المصور البيزنطي تيمو ماخوس، كما عثر في إحدى غرف ليفيا زوجة اغسطس على جدارية تمثل منظرا طبيعيا بلغ من الاتقان حدا كبيرا لدرجة ان الانسان يخالها حقيقية وليس رسما.

فن العمارة :

يعتبر فن العمارة اكثر فنون الرومان اصالة، لان معماريي الرومان لم يكونوا مقلدين لليونان بل كانوا مبتكرين، وجاء فنهم العمراني مزيجا من المعمار التوسكاني واليوناني والمصري، ويمثل هذا التأثير الخارجي اصدق تمثيل المهندس المعماري أبولو دور الذي عهد اليه تراجان بصنع نصبه « عمود تراجان » و تنسب اليه معظم الابنية الرائعة التي بنيت في روما والاقاليم في فترة حكم تراجان، ومنها سوق تراجان في روما، والبازيليك (وهو بناء مخصص لتصريف العدالة، وفيه كان التجار يجتمعون لعقد الصفقات الكبرى) والذي تحول الى كنيسة واصبح اسم بازيليك يطلق على اكبر واهم الكنائس في العالم المسيحي-كنيسة القديس بطرس تدعى بازيليك القديس بطرس، ولذلك يرد كثير من المؤرخين الى السوريين تأثيرهم الواضح على فن المعمار الروماني وخاصة ما اتصف بالضخامة. اما اهم ما اقتبسه الرومان عن اليونان فهو الاعمده الدورية والايونية والكورنثيه، كما اخذوا عن آسيا الصغرى العقود والاقواس والقباب، هذا المزيج من الفنون المعمارية عند الامم الاخرى الذي انصهر في بوتقة الرومان، جعل من روما اجمل واعظم عواصم العالم.

وقد عزا بعض المؤرخين متانة الابنية الرومانية وبقائها سليمة الى ايامنا هذه الى متانة مواد البناء التي استخدمها الرومان في البناء وخاصة نوع من الآجر المصنوع من الرمل والجير وتراب الرخام والماء والذي استعمل في بناء مدرج الكولوزيوم. كما صنعوا نوعا من الخرسانة من الرماد البركاني، والجيروالماء وقطعا من الآجر والفخار والرخام والحجارة حيث يكتسب صلابة قريبة من صلابة الصخور، ويصب في قوالب من الواح خشبيه ويأخذ بسهولة الشكل الذي يريده المهندس المعماري، كما استخدموا في البناء نوعا من الحجارة النصف شفافة التي كانت تستخرج من كبا دوكيا في آسيا الصغرى تنفذ الضوء، ثم بدأ الرومان يستخدمون الرخام في بنائهم فكانوا يستوردونه من اليونان على شكل اعمدة والواح رخامية ، ثم عثروا عليه في كرارة في ولاية توسكانيا، وقد بدأوا في العهد الامبراطوري بتغطية ابنيتهم به.

وكان المعماريون الرومان يعدلون ما يقتبسونه من الامم الاخرى فقد عدلوا الاعمدة الدرورية، والايونيةو تيجان الاعمدة اليونانية، والكورنتيه فاكسبوها مزيدا من الجمال

والروعة.

ومن اهم المنجزات المعمارية الرومانية معبد الاله ابوللون من الرخام الخالص على تل البالاتان وقد زين هذا المعبد بتماثيل رائعة صنعها ميرون وسكوباس، وحمامات أغريبا، وحمامات دقلديانوس المزدانة الداخل بحجيرات الرخام والفسيفساء والاعمدة الملونه، وحجرات خلع الملابس، والحمامات الساخنة والباردة، وبرك السباحة، وأرائك الراحة بعد الحمام، والمسارح التي تعتبر اكبر واعظم المسارح في العالم، من امثلة مسرح بالبس Balbus ويتسع لسبعة آلاف شخص، ومسرح مارسيللوس وحلبات السباق واشهرها حلبهتفلامينوس في ساحة الاله مارس، وبناء الكولوزيوم وهو بنا، بيضوي شرع ببنائه فسباسيان وانتهى بناؤه زمن الامبراطور تيتوس، طول محيطه ٥٧٧ م وارتفاع سوره الخارجي ٥٢ مترا ويتألف من ثلاثة طوابق صنعت مقاعده من الرخام وله (٨٠) مدخلا اثنان منها للامبراطور ورجال حاشيته، ومساحة المدرج ٥٧٦٠ متراً مربعاًويحيط بالحلبة الداخلية سور ارتفاعه خمسة امتار وهو مخصص للمصارعة بين الاشخاص او بين العبيد والحيوانات.

التقويم والتاريخ :

كان الرومان يقسمون الزمن الى سنين وشهور اما التقسيم الى اسابيع فلم يستعمل الا بعد دخول المسيحية وكانت السنه الاعتيادية قبل عهد يوليوس قيصر تقسم الى اثني عشر شهرا قمريا أولها آذار وآخرها شباط وتسميتها بنفس الاسماء المستعملة الآن في اللغة الانجليزية اما شهري يوليو، واوغست فقد اطلق عليهما هذا الاسم تكريما ليوليوس قيصر واوكتافيوس، وكانا يسميان قبلا الشهر الخامس والسادس. وفي هذه السنة القمرية كانت أشهر اذار ومايو وتموز وتشرين الثاني «٣١» يوما وشهر إشباط «٢٨» يوما، اما بقية الاشهر فيضم كل منها «٢٩» يوما ولكي تعادل هذه السنة القمرية بالسنه الشمسيه كانت تضاف ٢٢ او ٢٣ يوما الى السنة الكبيسة التي تكرر كل سنتين وذلك بعد «٢٣» شباط، ويهمل ما تبقى من هذا الشهر.

وكان كبار رجال الدين يشرفون على تنظيم في حساب التقويم ويقومون بتقليل السنة او زيادتها لاسباب سياسية الامر الذي يؤدي الى ارتباك واوضح مثل على ذلك أنه حدث في زمن يوليوس قيصر ان اصدر يوليوس قيصر قانونا اعتبر بموجبه عام ٤٦ ق.م مساويا ٤٤٥ يوما ثم قام باستعمال التقويم المنقح والذي اصبحت الاشهر بموجبه كما هي الآن، وكانت السنة حسب تقويم يوليوس قيصر ٣٦٥, ٢٥ يوما.

وقد اعتاد الرومان ان يؤرخوا السنين بالسنة التي اسست فيها مدينة روما وهي سنة ٧٥٣ ق.م. اما في الاشهر فكانوا يؤرخون بالنسبة لأحد ثلاثة ايام في الشهر هي اول الشهر ومنتصفه، واليوم الخامس منه واليوم الثالث عشر منه واسماؤها هي : كالانداي Kalendae، ونوناي Nonae، وايدوسIdus ، ويقع نوناي بالنسبة للاشهر الطويلة في اليوم السابع منه بينما يقع ايدوس في اليوم الخامس عشر منه، اما كيف كانوا يستعملون ذلك فاليوم الرابع من اذار هو حسب تأريخهم اليوم الرابع قبل يوم نوناي، وبنفس الصورة فان يوم الثالث عشر هو اليوم الثالث قبل ايدوس، اما الايام التي تقع بعد يوم ايدوس فتعرف بمدى قربها او بعدها عن فاتح الشهر التالي.

اللغة الرومانية

كانت اللغة اللاتينة هي اللغة التي يتكلم بها سكان لاتيوم الذي نشات فيه مدينة روما، ومن ثم انتشرت في بقية انحاء ايطاليا نتيجة التوسع الروماني، ولكنها تطورت بفعل اختلاطها باللغات المحلية فنشأ منها اللغة الايطالية الدارجة، وعندما تفككت اوصال الامبراطورية ظلت اللاتينية لغة الكنيسة التي حافظت عليها حتى الآن.

الادب الروماني :

لم يظهر الادب الروماني كظاهرة فنية الا بعد توسع روما، وقد تأثر الادباء الرومان الاوائل بالادباء الاغريق وكتاباتهم حيث تبنوا بعض الاساليب الأدبية الاغريقيه وتكييفها لتلائم اللغة اللاتينيه.

وقد مر الادب اللاتيني في اربعة ادوار :

الاول (٢٤٠ -٨٠) ق.م :

ويتميز بالقالب الشعري الذي ظهر قبل النثر، واول كاتب روماني هو ليفيوس اندورنيكوس (٢٨٤-٢٤٠) ق.م وهو اغريقي من تارنتوم أسر ونقل الى روما حيث تعلم اللاتينيه، وحصل على المواطنة الرومانية، واشتهر بكتابة المسرحيات، المقتبسة او المترجمة عن الاغريقية، وقد ظهر بعده عدد من الأدباء اشهرهم تايفيو، وآنيوس ٢٣٩-١٦٩ ق.م وأشهر مؤلفاته ماحمة شعرية على الوزن الشعري المسمى الساتوريني. وأسمهاانالس Annales وهي سرد لتاريخ روما، كما استخدم في قصيدته تفعيلة سرعان ما اصبحت الاساس الذي استخدمه الشعراء بعده ، وبلوتوس اهتم بالمسرحيه الملهاه، وتيرنس.

وهكذا يمكن القول بأان العصر الاول هو عصر اقتباس النماذج اليونانية في الادب وتطويرها لتلائم اللغة اللاتينيه، وقد بلغ فيها الادب المسرحي بنوعيه التراجيديا (المأساه والملهاة) أوجُه، كما ازدهر الشعر وبدأ النثر يشق طريقه بثبات.

الثاني (٨٠-٤٠) ق.م :

ويعرف باسم عصر شيشرون وفيه بلغ النثر ذروته على يد مجموعة من الادباء والكتاب مثل شيشرون (الخطابة)، وقيصر وسالوست (التاريخ)، وقد بلغت عدد رسائله التي وجهها الى اصدقائه وتضمنت افكاره وآراءه حوالي ١٠٠ رسالة، ويكمن سحرها في انها اتصفت بالصراحة، لانها لم تكتب لتنشر وتكشف عن نفس المؤلف ولذا فهي مرآة صادقة لمجتمع شيشرون في روما.

اما قيصر فقد كتب يؤرخ ويصف حروبه وفتوحاته في بلاد الغال. واهم مؤلفاته كتاب « ملاحظات »ويتكون من سبعة اجزاء.

اما كراسوس فقد كتب واصفا الحروب ضد يوجورتا، ومن كتّاب هذه الفترة فارو المختص بالآثار القديمة ، وينبوس صاحب كتاب المشاهير [1].

١- بترى، تاريخ الرومان، مرجع سابق، ص ١٠٨.

الثالث : عصر اوغسطوس ٤٠ ق.م-١٧ م :

وفيه عاد الشعر الى احتلال منزله مرموقة في التعبير الادبي، في حين تسرب الضعف والوهن إلى الخطابة والبلاغة، ويعود ذلك إلى الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة الرومانية، وإلى إرادة الاباطرة في تسخير الشعر لاغراضهم السياسية ولدعم حكمهم وتمجيد أعمالهم ومنجزاتهم وفي هذه المرحلة ظهر اكبر الشعراء الرومان اطلاقا امثال فيرجيل ، وهوراس، وتيبولوس واوفيد والمؤرخ ليفيوس الذي كتب مؤلفا ضخما في التاريخ ويروي تاريخ روما حتى عصر اوغسطس.

الرابع العصر الفضي (١٧-١٣٠)

رغم ان العصر الذي تلا اوغسطس كان عصر اضراب سياسي إلا أنه شهدّ فترة من الازدهار الادبي حيث لقي الادب تشجيعا من نيرون الذي كان هو نفسه يمارس الادب، وقد ظهر فيهأديبين شهيرين هما سينيكا (٤ ق.م-٦٥ م) ، وابن اخيه لوكانوس، وقد كتب سينيكا في الاخلاق، وفي الفلسفه، وكان رواقيا، كما الف عددا من المسرحيات التراجيدية، اثرت في المسرحيات الانجليزية في القرن السادس عشر، اما ابن اخيه لوكانس فقد كتب قصيدة فارساليا التي تصف الحرب بين قيصر وبومبي.

وفي اواخر هذه الفتره برز اسمان بارزان هما تاسيتوس وجرفينالس، وقد اشتهر تاسينوس بكتبه في التاريخ (التاريخ) و(الوقائع) و (أجريكولا).

أدوات الكتابة

كان الرومان يكتبون على الالواح الخشبية المطلية بالشمع، وعلى اوراق البردى وجلود الاغنام ، وكانت أداة الكتابة على الواح الخشب باقلام حادة مدببة الرأس (Stillus) أما اداة الكتابة على ورق البردى ورقاع الجلد فكانت باقلام القصب التي تغرس في سناج الزيت المحروق والصمغ.

قائمة المراجع

- اومان، س،ت عمر، مصطفى طه، (١٩٥٣)،الامبراطورية البيزنطية، القاهرة.
- ايمار، اندريه وآخرون،ت داغر، فريد وآخرون، (١٩٦٤-١٩٧٠) تاريخ الحضارات العام جـ١ . ٢ ،منشورات عويدات، بيروت.
- بتري الكسندر، ترجمة عزيز، يوئيل يوسف، (١٩٧٧)، تاريخ اليونان. وادبهم وآثارهم،دار الكتب،بغداد .
- بتري الكسندر، ترجمة عزيز ، يوئيل يوسف (١٩٧٧) تاريخ الرومان وادبهم وآثارهم،دار الكتب، بغداد.
- برستد جـ،هـ، ترجمة قربان ،داود (١٩٨٣)، العصور القديمة، مؤسسة عز الدين للطباعه والنشر،بيروت.
- بينخر،ن، ترجمة، مؤنس ، حسين، زايد، محمود يوسف،(١٩٥٠)، الامبراطورية البيزنطية، القاهرة.
- توينبي: ارنولد، ترجمة، جرجس، رمزي عبده ، (١٩٦٣)، تاريخ الحضارة الهيللينية، الانجلو المصرية، القاهرة
-تشارلز، دورت، ترجمة جرجس، رمزي عبده،(١٩٦١)، الامبراطورية الرومانية، الانجلو المصرية، القاهرة،
-جيبون، ادوارد، ترجمة ابودرة، محمد علي، (١٩٦٩)، اضمحلال ، الامبراطورية الرومانية، جـ١ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
-حاطوم، نورالدين وآخرون،(١٩٦٨)موجز تاريخ الحضارة، مطبعة الكمال، دمشق.
- رستم، اسد ، (١٩٥٣) الروم وصلاتهم بالعرب ،جـ١ دار المكشوف، بيروت.
- رستم، اسد،(١٩٥٥) تاريخ اليونان فتوحات الاسكندر المقدوني، بيروت.
- دستور، فتزيف ،م ترجمة علي زكي، سالم، محمد سليم،(١٩٥٧)، تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الزين، محمد،(١٩٨٥)، دراسات في تاريخ الرومان، جامعة دمشق، دمشق.
-سارتون، جورج، ترجمة، الطويل توفيق وآخرون، (١٩٦١)، تاريخ العلم، دار المعارف، القاهرة.

- الشيخ حسين، (١٩٨٧)دراسات في تاريخ وحضارة اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية.
- الصفدي، هشام، (١٩٧٧)، تاريخ الرومان في عهد الملكية. الجمهورية. الامبراطورية حتى عهد الامبراطور قسطنطين، دار الفكر الحديث، بيروت.
- عاشور، سعيد عبدالفتاح.تاريخ اوروبا في العصور الوسطى،
-عبد الحق، سليم عادل، (١٩٥٩)، روما والشرق الروماني، المطبعة الهاشمية، دمشق
- عبد الساتر، لبيب، (١٩٨٣)، الحضارات، ط١، دارالمشرق، بيروت.
-العريني،السيدالباز،(١٩٦٥)،الدولةالبيزنطية،القاهرة.
- علي، عبد اللطيف احمد،(بلا)، التاريخ اليوناني، العصر الهيلاوي، مكتبة النهضة العربية، بيروت
- علي عبد اللطيف احمد ،(بلا)، التاريخ الروماني عصر الثورة، مكتبة النهضة العربية، بيروت.
- عمران، محمود سعيد، (١٩٨٠) ادارة الامبراطورية البيزنطية للامبراطور قسطنطين الرابع دار النهضة العربية بيروت.
- عياد، محمد كامل،(١٩٦٩)، تاريخ اليونان، ط١، جامعة دمشق، دمشق.
- فرزات، محمد حرب،(١٩٦٤)، موجز تاريخ روما في العصر الجمهوري، محاضرات القيت على طلبه قسم التاريخ جامعة دمشق، دمشق.
- فرح، نعيم، (١٩٨٩) التاريخ القديم. مطبعة دار الكتاب، دمشق.
-لنتون، رالف ، شجرة الحضارة.
- محض، محمد، (١٩٨٥) دراسات في تاريخ الرومان،ج١ جامعة دمشق، دمشق.
- مدني، صلاح، ١٩٦٥/١٩٦٦، تاريخ اليونان، محاضرات القيت على طلاب السنة الثانية قسم التاريخ. جامعة دمشق، دمشق.
- هاتمان، ل.م، باراكلاف، ج، ترجمة يوسف ، جوزيف نسيم(١٩٧٠) الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ، دار المعارف، القاهرة.
- هوسي، ح.م، ترجمة عبد الحميد رأفت ((١٩٧٧)، العالم البيزنطي، القاهرة.
- نصحي ابراهيم، (١٩٨٣) تاريخ الرومان مكتبة الانجلو المصرية القاهرة.
- يحي، لطفي عبد الوهاب، (١٩٧٩) ، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة العربية، بيروت.

- اليوسف، عبد القادر احمد، (١٩٦٦) الامبراطورية البيزنطية، المكتبة العصرية بيروت،
- يافي، سامي، (١٩٦٢)، الحضارة الانسانية بين الشرق والغرب، مطبعة العالم العربي القاهرة.
- يوسف جوريف نسيم ، (١٩٨٤) تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية.

Bury , J.o.(1956). A history of Greece, 3rd ed., McMillam and co, London.

الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

الفصل الرابع



الشركة الجديدة للطباعة والتجليد